

مِرَاةُ الْحَرَمِ



الرَّحَدَاتُ الْحَازِمَةُ وَالْمَجْمُوعَةُ الدِّبِيَّةُ

مُحَدَّثَةٌ

بِمَاتِ الصُّورِ السَّمِيَّةِ

تَأَلِيفٌ وَرَسْمٌ

اللُّؤَاءُ

أَبْرَاهِيمُ زَيْدٌ

تومندان حرس الحرفي ١٣١١ هـ وأمين في ١٣٢٠ هـ و١٣٢١ هـ و١٣٢٥ هـ
١٩٠١ و١٩٠٦ و١٩٠٩ و١٩٠٨ م

(حقوق الطبع والرسم محفوظة للتأليف)

الجزء الأول

(الطبعة الأولى)

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م

إهداء من دار الكتب المصرية

عند ما اطلع على الكتاب حضرة صاحب الدولة الرئيس الجليل سعد زغلول باشا
محى مجد مصر ورافع لواء نهضتها تفضل فبعث الى المؤلف كتابه الذى هو آية البيان
ونقشة من سحر البلاغة .

حضرة صاحب السعادة اللواء ابراهيم رفعت باشا

تسلمت كتابكم "مرآة الحرمين" الذى تفضلتم باهداء نسخة
منه الى ، فأشكركم على إهدائه أوفر الشكر ، وأهنىكم على ما وفقتم
اليه من وضعه فى موضوع جليل القدر عظيم الفائدة ، ومن تحرير
مسائله وتحقيق مباحثه فى عبارات مهذبة ومع رسوم متقنة
فى شكل جميل وطبع حسن ، حتى جاء كتابا فيه هدى للسائلين ،
وغنى للباحثين ، ومسرة للناظرين ، جزاكم الله عن جميع هؤلاء
أحسن الجزاء والسلام ما

سعد زغلول

مسعد وصيف فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٢٦

(أنظر الفهرس الهجائى فى آخر الجزء)

مرآة الحرمين

أو

الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية

الجزء الأول

محتويات الجزء الأول

صحيفة

- ٣٦ التراور بمكة
- ٤٠ غسل الكعبة
- ٤١ فتح الكعبة
- ٤٢ السير الى عرفات - وصف الطريق ...
- ٤٤ جبل عرفات وما يميداه المسيح ...
- ٤٥ الوقوف بعرفات
- ٤٧ الافاضة الى المزدلفة ...
- السير الى منى - رمى جرة العقبة - نحر
الهدى - السير الى مكة لطواف
الافاضة والعودة الى منى - رمى
- ٤٨ الجمار الثلاث
- ٤٩ الاحتفال بتلاوة القرمان السلطاني
- ٥٢ التهنئة بالعيد في منى
- الريبات بمنى - ذبائح منى وسوقها -
- ٥٣ الرجوع من منى الى مكة
- ٥٤ الاحتمال بفتح المسامر حانة السلطانية ...
- ٥٦ زيارة نار حراء "جبل المور"
- ٦٠ زيارة عار نور الذي اختفى فيه النبي (ص)
- ٦٣ عادات المكئين بعد موسم الحج ...
- ٦٤ الشريف عون الرفوق و سلطته بمكة
- ٦٥ أجر الجمال والمكوس ...
- ٦٩ تاريخ المكوس
- ٧٠ ضيافات بمكة
- ٧١ إغاثة السكة الحديدية الحجازية

صحيفة

- ١ مقدمة الكتاب
- انرحلة الأولى سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م
الأعمال التمهيدية قبل سفر المحل -
- ٥ ركب المحمل
- صرة المحمل - الكسوة ووصفها -
- ٦ نص الاشهاد الشرعى بتسليم الكسوة
- ٩ الاحتفال بالكسوة ...
- ١٢ سفر المحمل وركبه من القاهرة الى جدة
- ١٥ الإحرام تحاه رابع
- وصول المحمل الى حدة - نقل الأمتعة
من الباخرة الى ساحل حدة - عوائد
- ١٦ الحجر الصحي وإحازة السفر ...
- ١٧ نقل الأمتعة من الساحل الى المعسكر ...
- ١٩ الإقامة في حدة
- تبادل الزيارات بحدّة - معارفا بحدّة
- ما يلزم الحاج بحدّة - وصف جدة
بشكلها الحاضر - ترجمة الطبيب
محمد حسين اهدى نائب قنصل إنجلترا
للعرايا الهنود ...
- ٢١ سكان جدة - تجارتها - ابتداء اتخاذ
جده ثمرا لمكة ...
- ٢٣ السفر من حدة الى مكة - وصف الطريق
- الدخول الى مكة - ثنية كداء - المعلاة
وما بها من مقابر السلف ...
- ٣٠ طواف القدوم ...
- ٣٣

صفحة

- منحراهدى ١٢٧
الانتفاع بالهدى ١٢٨
جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب
الأربعة ١٢٩
حكم المناسك وأسرارها ١٣١
حكمة استلام الحجر الأسود ١٣٢
حكمة رمي الجمار ١٣٦
حكمة الرمل في الطواف والسعي بين الصفا
والمروة ١٣٩
حكمة ذبائح النسك ١٤٠
جملة القول في حكمة الحج والاعتبار به ١٤١

فصل جغرافي موجز

في وصف بلاد العرب

- حدودها - شواطئها ١٤٣
أهمية موقعها - الجو والنبات والحيوان
الوصف الطبوغرافي - بلاد العرب المتصلة
بالبحر - الحجاز ١٤٥
عسير - اليمن - حضرموت ١٤٦
مهرة - عمان - الاحساء - بلاد
العرب الداخلية - البادية ١٤٧
نجد - الدهناء - صيد - التقسيم
السياسي الحاضر ١٤٨
فصل تاريخي موجز في حال العرب
قبل الاسلام وقيام الدولة الاسلامية
واتنشار الدين الاسلامي - الدول
العربية قبل الاسلام ١٤٩
قيام الدولة الاسلامية وامتداد سلطانها -
نشأة محمد عليه الصلاة والسلام ... ١٥٥

صفحة

- حبس الحجاج بمكة ٧٢
مرتببات الأشراف والعربان والأهالي
وطريقة صرفها ٧٣
القسم الديني
حجة الوداع ٧٥
فقه المذاهب في الحج - الجنس الأول -
معرفة وجوب الحج وشروطه وعلى
من يجب ومتى يجب - وجوب
الحج وشروطه ٩٧
متى يجب الحج - حكم العمرة - الجنس
الثاني في أفعال هذه العبادة نوعا نوعا
والترتكب المشتركة فيها ٩٩
الإحرام وميقاته ١٠٠
محظورات الاحرام ١٠١
أنواع الاحرام ١٠٣
صفة الاحرام ١٠٥
الطواف بالبيت ١٠٧
السعي بين الصفا والمروة ١٠٩
الخروج الى عرفة ١١٠
الوقوف بعرفة ١١١
أفعال المزدلفة - رمي الجمار ١١٣
الجنس الثالث في الأحكام - الاحصار
أحكام جزاء الصيد والنبات ١١٦
حكم إتيان المحظورات في الاحرام ... ١١٩
كفارة المتمتع - مفسدات الحج ومفواته
الكفارات المسكوت عنها ١٢٤
القول في الهدى - حكمه ١٢٥
جنسه - سنه - كيفية سوقه - من
أين يساق ١٢٦

محتويات الجزء الأول

(٥)

صفحة	مكة المكرمة	صفحة	
١٧٧	أسمائها - مواقعها - جبالها - شوارعها -	١٥٦	فتح بلاد العرب - غزوة بدر ...
١٧٨	حاراتها - أقسامها الهامة ...	١٥٧	الحديدية ...
١٨٢	مبانيها ...	١٥٨	كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى
١٨٤	مستشفى الغرباء ...	١٥٩	المقوقس ...
١٨٥	التكية المصرية ...	١٦٠	فتح خيبر - فتح مكة ...
١٨٦	مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وداره	١٦١	غزوة حنين - غزوة تبوك - حجة
١٨٩	دار خديجة بنت خويلد ...	١٦٢	الوداع ووفاته عليه الصلاة والسلام
١٩٣	دار الأرقم ...	١٦٣	انتشار الدين الاسلامي - الحرب بين
١٩٥	بستان الشريف عون الرقيق باشا ...	١٦٤	العرب وبين الروم والفرس ...
١٩٧	تأثير السيول في مكة وتاريخها ...	١٦٥	فتح الشام - واقعة اليرموك ...
٢٠٣	سكان مكة ...	١٦٦	فتح القدس - فتح مصر والنوبة -
٢٠٦	بجوة مكة - تجارتها ...	١٦٧	زحف عمرو على مصر ...
٢٠٧	نقودها - مياهها - عين زبيدة ...	١٦٨	واقعة عين شمس - أخذ حصن بابلون
٢٢٤	الحرم - المواقيت - الأعلام ...	١٦٩	فتح الاسكندرية ...
	المسجد الحرام	١٧٠	فتح بلاد المغرب - فتح الأندلس ...
٢٢٧	وصف عام للمسجد ...	١٧١	قيام البحرية الاسلامية وفتح أكبر جرائر
٢٢٩	أبوابه ...	١٧٢	البحر الابيض المتوسط ...
٢٣٤	مآذنه ...	١٧٣	فتح العراق - واقعة القادسية ...
٢٣٥	توسعته وتاريخ ذلك ...	١٧٤	فتح فارس - فتح أواسط آسيا ودخول
٢٤٢	مقام إبراهيم ...	١٧٥	الاسلام فيها ...
٢٤٨	مواقف الأئمة ...	١٧٦	فتح الهند وانتشار الاسلام فيها ...
٢٥١	كيفية الصلاة فيها ...	١٧٧	دخول الاسلام في جنوب أوروبا الشرق
٢٥٢	المنبر ...	١٧٨	نمو الدولة التركية ...
٢٥٥	بئر زمزم ...	١٧٩	الأقطار التي دخلها الاسلام بمجرد الدعوة
٢٥٩	سقاية العباس - الماشي الأربع - المراول	١٨٠	ومقدار انتشار الاسلام في الوقت
٢٦٠	القناديل - الموظفون ...	١٨١	الحاضر - الصحراء الكبرى ..
٢٦١	أعمدة المطاف - مصلى النساء ...	١٨٢	السودان - غرب افريقية وشرقها ...
		١٨٣	الروسيا ...
		١٨٤	الصين - ارنجيل الملايو ...

صحيفة	الكعبة المشرفة
حكم البناء بمنى - الحصيات بمنى -	اسماؤها ٢٦٢
المزدلفة ٣٣١	وصف الكعبة الآن ومقاسها ٢٦٣
عرفة - ميدانها وجبالها - عرفة موقف ٣٣٥	الخطيم ٢٦٦
مسجد تَمْرَة ٣٣٦	الملتزم - المعجن ٢٦٧
مسجد الصخرات - سوق عرفة -	بناء الكعبة وعمارتها ٢٦٨
مناظر الحجاج في عرفات ٣٣٧	الميزاب وتاريخه وما كتب فيه ٢٧٥
الطريق من مكة الى عرفات ومشاعر	باب الكعبة ٢٧٦
الحج فيه ٣٣٨	محلية الكعبة ٢٧٧
التنعيم ومساجد عائشة ٣٤١	معاليق الكعبة وما أهدى اليها من الحلى ٢٧٨
الطائف ٣٤٤	كسوة الكعبة ٢٨١
أمراء مكة ٣٥٤	صورة وقفية الكسوة سنة ٩٤٧ ٢٨٥
جدول المسافات بين مكة وأمهات المدن	تفصيل أجزاء كسوة الكعبة ٢٩٢
الاسلامية ٣٦٧	سدانة الكعبة ومفتاحها ٢٩٨
الاحتفال بسفر المحمل من مكة ٣٦٩	تطويب الكعبة ٣٠٠
السفر من مكة الى المدينة من الطريق	صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة ٣٠٠
الشرق ٣٦٩	الحجر الأسود ٣٠١
دخول المدينة المنورة ٣٨٣	الخطيم والحجر ٣٠٥
وليمة المحافظ - الأحتفال بإدخال المحمل	الحج في الجاهلية وما يتبعه ٣٠٨
الى المسجد النبوى ٣٨٤	الصفاء والمروة ٣٢٠
زيارة شهداء أحد - غزوة أحد ٣٨٥	منى - مسجد الخيف ٣٢٢
مسجد سيدنا حمزة بن عبد المطلب ٣٩٠	مسجد الكوثر ٣٢٥
زيارة مسجد قباء ٣٩٤	مسجد الكبش ٣٢٦
انحراج المحمل من المسجد النبوى وزيارة	مسجد البيعة ٣٢٧
محافظ المدينة لنا ٣٩٩	مسجد منى - الجمار ٣٢٨
سلطان المكلة والشحر ٤٠٠	المنحصر ٣٢٩
المدينة المنورة ٤٠٧	المفسر ٣٣٠
مساجد المدينة - مسجد القبلتين ٤١٤	منى موطن توحيد ٣٣٠
مسجد الفتح ٤١٦	
مسجد الأجابة - مسجد الراية ٤١٧	

صفحة	محتوى	صفحة	محتوى
٤٦٠	تاريخ المسجد النبوى	٤١٨	مسجد السقيا - مسجد الفضيخ...
٤٦٨	محاريب المسجد النبوى	٤١٩	مسجد بنى قريظة - مسجد بنى ظفر...
٤٧١	المنبر النبوى		مسجد أبى بن كعب - مسجد المائدة -
٤٧٢	حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصورة	٤٢٠	مصلى العيد المعروف الآن بمسجد العامة
٤٧٦	أبواب المسجد...	٤٢٢	مكتبات المدينة...
٤٧٨	مآذن المسجد - تجمير المسجد	٤٢٤	تكايا المدينة
٤٨٠	آداب زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم	٤٢٥	مقابر المدينة - البقيع
٤٨١	زيارة القبور	٤٢٧	أراضى المدينة وأوديتها وأبارها وزروعها
٤٨٢	السفر من المدينة فى طريق الوجه	٤٣٨	أهالى المدينة
٤٩١	السفر من الوجه الى الطور...	٤٤٠	التجارة بالمدينة...
٤٩٢	السفر من الطور الى السويس	٤٤٢	عادات أهل المدينة
٤٩٣	السفر من السويس الى القاهرة...	٤٤٥	جوار المدينة
	جدول خط السير من مصر الى المجازثم	٤٤٦	قرى المدينة وتوابعها...
٤٩٤	الى مصر سنة ١٣١٨ و ١٣١٩	٤٤٧	حرم المدينة
٤٩٩	ختام الرحلة الأولى	٤٤٨	المسجد النبوى

فهرس رسوم الجزء الأول

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
٣٠	٢٦	بئر طوى بمكة	١	١	المؤلف
٣٠	٢٧	طريق الحجون	١٠	٢	كيس مفتاح الكعبة
٣١	٢٨	قبة على قبر السيدة خديجة	١١	٣	جزء من كسوة الكعبة
٣٢	٢٩	قباب على مقابر أجداد النبي صلى الله عليه وسلم .	١٣	٤	الاحتفال بالكسوة بالقاهرة
٣٢	٣٠	مقبرة المعلاة	١٤	٥	المحمل بمحطة الاسماعيلية
٣٢	٣١	« » وبها قباب السيدة خديجة والسيدة آمة وأجداد الرسول .	١٥	٦	الاحتفال بانزال المحمل الى البحر في السويس .
٣٢	٣٢	مجتمع الحجاج لسماح خطبة يوم التروية	١٦	٧	مرفأ جدة
٣٣	٣٣	الكعبة المعظمة بالمسجد الحرام بمكة المكرمة .	١٥	٦٩	رحل وامرأة هندان محرمان
٣٧	٢٣١	مسق بمنى	١٦	٨	مدينة جدة ومرفأها
٣٨	٣٤	محسن باشا وعبد الله باشا باباس عربي .	١٨	٩	ديوان الحجر الصحي بجدة
	٣٥	محسن باشا وعبد الله باشا باباس مكى		١٠	١٠
٣٨	٣٦	محسن باشا وعبد الله باشا وإبراهيم بك مصطفى والمؤلف .	١٧	١١	ساحل جدة وبه الجرك
	٢٦٧	جنائب (رکائب) أمير مكة	٢٠	١٢	احتفال أهل جدة بالمحمل
٣٩	٣٧	عون الرقيق باشا أمير مكة وجليسه ...	٢٠	١٣	مدير البريد والبرق ورئيس المحكمة ومدير الأوقاف بجدة .
٤٠	٣٨	الوالى يصاغ الضباط بمكة		١٤	١٤
	٣٩	٣٩	« » والشريف في العربية بمكة ...	١٥	١٥
٤٣	٤٠	خطاب تحديد أول ذى الحجة	٢٢	١٦	منازل جدة القيمة
٤٤	٤١	جبل عرفات	٢٢	١٧	منزل السيد عمر السقاف بجدة
٤٥	٤٢	معسكر الحجاج بعرفات به مسجد الصخرات .		١٨	١٨
	٤٥	٤٣	مسجد نيرة	١٩	١٩
٤٦	٤٤	الحجاج بجبل عرفات وبه الشيخ أبو النور طوموم .	٢٢	٢٠	قبة قبر حواء المكذوب
			٢٦	٢١	ركب المحمل بمحطة بحرة
			٢٦	٢٢	منظر بحرة وبها مسجد قديم
			٢٧	٢٣	حدة ومسجدها
			٢٨	٢٥	علها الحرم بالشمسى
			٢٨	٢٤	مؤنر الركب وبه أمير الحج بالشمسى

فهرس رسوم الجزء الأول

(٥)

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
١٨٢	٦٨	بيوت مكة وبها سراى الشريف عبد المطلب .	٤٧	٤٥	الحملان المصرى والشامى بموقف عرفات .
١٥	٦٩	رجل وامرأة هنديان محرمان ...	٤٩	٤٦	أمير الحج الشامى حامل اوصية السلطان بالحج (الفرمان) .
١٧٩	٧٠	تكية محمد على باشا بمكة ...	٥٠	٤٧	كيس الوصية السابقة (الفرمان) ...
١٨٩	٧١	مولد النبي صلى الله عليه وسلم ...	٥٠	٤٨	وفاء القرمان (مجنه) ...
١٩٦	٧٢	حديقة الشريف عون الرقيق باشا ...	٥١	٤٩	الفرمان الشاهانى بالعربية ...
١٩٧	٧٣	المشير عثمان باشا نورى العادل ...	٥١	٥٠	عنوان ومقدمة الفرمان ...
٢٠٠	٧٤	الحجاج يجتازون السيل بمكة ...	٥١	٥١	الفرمان الشاهانى بالتركية ...
٢٠٥	٧٥	مسجد السيدة ميمونة ...	٥٥	٥٢	الاحتفال بسفر المحمل من مكة للمدينة .
٢٣٧	٧٦	مسكر الحجاج بعرفات وبه حوض مياه .	٥٦	٥٣	المسافر خانه أو المضيقة المكية ...
٢١٢	٧٩	المفجر وبه آلة بخارية ...	٥٨	٥٤	جبل النور وثار حراء ...
٢٠٨	٧٧	الأحواض بعرفات ...	٦٢	٥٥	جبل ثور وصعوبة مرتفاه ...
٢١١	٧٨	خرية عرفات ...	١٧٨	٦٠	من جبل أبى قيس الى جبل ثور ...
٢١٣	٨٠	مجرى عين زبيدة ...	٦٢	٥٦	غار ثور وبه فاظر التكية ...
٢١٧	٨١	نقش خطبة قايتباى بجبل عرفات ...	٧٦	٥٧	رسم تقريبي للسير فى حجة الوداع ...
٢٢٦	٨٢	خرية المواقيت وأعلام الحرم ...	٨١	٥٨	صلاة الجمعة بالمسجد الحرام وبالرسم باب بنى شيبه .
٢٢٨	٨٣	المسجد الحرام بمكة المكرمة ...	٨٢	٥٩	الحجاج حول الكعبة وتقياهم الحجر الاسود .
	٨٤	عقود « بواكى » المسجد الحرام ...	١٧٩	٦١	مقياس المياه بجرول ...
٢٢٩	٨٥	المسجد الحرام من جهة الشمال والغرب والجنوب وبه ٣ مآذن .	١٥٨	٣٢٠	كتاب النبي صلى الله عليه لافوقس ...
	٨٦	اجتماع الحجاج لصلاة الجمعة ...	١٧٩	٦٠	خرية مكة ...
٢٢٩	٨٧	حمام الحى بالمسجد الحرام ...	١٧٩	٦٢	بيوت مكة التى على الطراز الحديث » » » » »
	٣٢٩	سلم لدخول الكعبة ...			
٢٣١	٨٨	باب سيدنا على ...	١٧٩	٦٣	نكبة الساكر الشاهانية بجياد ...
	٨٩	باب الصفا ...			
٢٣٣	٩٠	المسجد الحرام من جهة باب ابراهيم	١٨٠	٦٥	بيوت مكة الجنوبية الغربية وبالرسم قمة جياد
٢٣٥	٩١	داخل المسجد الحرام من الجهة الشالية الغربية وبه ٦ مآذن	١٨١	٦٦	بيوت مكة وبها غار حراء ومثذنة وربة مولد النبي صلى الله عليه وسلم .
٢٥٠	٩٢	الكعبة بالمسجد الحرام ...			
٢٤٦	٩٣	كسوة مقام الخليل ...			
٢٥٣	٩٤	منبر المسجد الحرام مصفرا كاملا ...	٦٧	٦٧	بيوت مكة من الشرق والشمال ...

فهرس رسوم الجزء الأول

(ك)

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
٣٢٤	١٢٢	مسجد الخيف بمبنى مكبرا	٢٥٣	٩٥	منبر المسجد الحرام مكبرا
	١٢٣	« بواكى » مسجد الخيف	٢٥٤	٩٦	ستارة باب منبر المسجد الحرام
٣٢٥	١٢٤	مسجد الكوثر بمبنى وبالرسم عمود البرق	٢٥٥	٩٧	صلاة الجمعة بالمسجد الحرام
٣٢٧	٣٢٨	قبة الكعبش			سنة ١٣٢٠ هـ
٣٢٩	١٢٥	رى الجمره الوسطى	٢٥٥	٩٨	صلاة الجمعة ونصف الكعبة
	١٢٦	« جمره العقبة		٩٩	زعمم يستقى منها الحجاج
٣٢٩	١٢٧	« الجمره الصفرى	٢٦١	١٠٠	الكعبة بالازار الأبيض من الجهة الغربيه
٣٣٧	١٢٨	سوق عرفات	٢٦٢	١٠١	قص النساء بالمسجد الحرام
٣٣٣	٣٢٧	خرية المزدلفة	٢٦٣	١٠٢	الكعبة من الجنوب والشرق وبالرسم بابها وتقيل الركن اليماني .
٣٣٧	١٢٩	الحجاج وخيامهم بعرفات وبالرسم راعح		١٠٣	ستارة باب الكعبة
	١٣٠	معسكر الحجاج بعرفات من الشرق وبه جبل الرحمة			
٣٤٢	١٣١	خرية مشاعر الحج	٢٦٤	١٠٤	« التوبة
٣٤٣	١٣٢	علما الحرم بالتنعيم	٢٧٦	١٠٥	حيزاب الكعبة وما كتب فيه
	١٣٣	مسجد السيدة عائشة وعلما الحرم	٢٧٧	١٠٦	القسم الأعلى من ستارة باب الكعبة
٣٨٢	١٣٤	معسكر المحمل خارج باب العنبريه بالمدينه سنة ١٣٢٠ هـ		١٠٧	« الأوسط » « » « »
٣٨٣	١٣٥	محافظ المدينه الفريق عثمان فريد باشا	٢٧٧	١٠٨	« الأدنى » « » « »
٣٨٤	١٣٦	الباب المصرى بالمدينه المتوره		١٠٩	الكعبة من الجنوب والشرق وبالرسم بابها وسادن الكعبة .
٣٨٩	١٣٧	منظر المدينه من جهة جبل سلع وبه قبة السبق	٢٨٤	١١٠	حزام الكعبة القصبى
	١٣٨	جبل سلع وبه كتابه كوفيه		١١١	ستارة باب الكعبة مذهبه
	١٣٩	جبل سلع به المؤلف وارايم حمدى خروبولى حافظ مكتبة عارف حكمت بك .		١١٢	كسوة الكعبة من الظاهر
٣٩٠	١٤٠	من جبل سلع الى جبل أحد	٢٩٨	١١٣	كسوة الكعبة من الداخل باللون الأحمر كالأصل .
	١٤١	ضريح سيدنا حمزة فيه المؤلف وسعودى وشيخ الضريح		١١٤	حرف « س » كأصله فى الكسوة
	١٤٢	مشهد سيدنا حمزة بالمدينه		١١٥	« و » « » « »
	١٤٣	جبل أحد وفيه ضريح ومسجد سيدنا حمزة		١١٦	ستارة باب الكعبة مكبره
٣٩٣	١٤٤	قبة الثنايا وعندها سيدات مصريات	١١٧	يا الله « أربع مرات »	
	١٤٥	« » وعندها الضباط والعسكر	٣٠١	١١٨	الحجر الأسود
			٢٦٢ ج	١١٩	معسكر الحجاج بمبنى
			٣٢٤	١٢١	مسجد الخيف مصغرا
			٣٢٣	١٢٠	خرية مئى

رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم	رقم الصفحة	رقم الرسم	نوع الرسم
.٤٢٦	١٧٠	بقيع العرقد	٣٩٣	١٤٦	جبل أحد رسم سعودي أفندى...
	١٧١	البقيع من الجهة الشرقية الجنوبية ...		١٤٧	داخل مسجد قباء به القبة والشرفات
.٤٣٢	٣٣٠	دورق مياه مضافي المسجد النبوي ...	٣٩٧	١٤٨	مسجد قباء به العسكرو إبراهيم بك مصطفى وعلى بك إسماعيل الخ
	١٧٢	معسكر المحمل بالداودية بالمدينة ...		١٤٩	مسجد السيدة فاطمة ويقال له مسجد الشمس بعوالي المدينة .
.٤٣٩	١٧٣	اجتماع من أهل المدينة بمنزل السيد الحيشي	٣٩٨		
.٤٣٨	٣٢٥	آثار قصر سعيد بن العاص	١٥٠		مسجد قباء من الشمال والشرق
.٤٤٨	١٧٤	خريفة المسجد النبوي ملونة	٣٩٩	١٥١	منظر انحراج المياه من بئر الخاتم بقباء...
	١٧٥	« بواكي » المسجد النبوي		١٥٢	« » « سواق المدينة
	١٧٦	حمام الحى بالمسجد النبوي		١٥٣	تخافية بالبقيع بها بقرتان ينظر اليهما سعودي أفندى .
.٤٥٠	١٧٧	قسم من المسجد النبوي رسم من الجهة الشمالية	١٥٤		نجل سلطان مكة والشعر عمر بن عوض القعيطي .
.٤٥١	١٧٩	قسم من المسجد النبوي رسم من الجهة القبالية وبه درابزين نحاس .	٤٠٢	١٥٥	محمد بن غالب بنجل ولى عهد مكة والشعر .
	١٧٨	قبة النبي صلى الله عليه وسلم ومعها المنذبة الرئيسية		١٥٦	
.٤٦٠	١٨٠	الروضة بها النجفة الكبيرة	٤٠٨	١٥٧	خريفة المدينة وما حولها
	١٨١	أحد الأغوات بالمسجد النبوي	٤٠٩	١٥٨	أكبر فندق بالمدينة
.٤٧٩	١٨٢	أعا آخر « »	٤٠٨	١٥٩	منظر المدينة من الجهة الغربية الجنوبية .
	١٨٣	قبة النبي صلى الله عليه وسلم وثلاث مآذن		١٦١	
.٤٦٩	١٨٤	الروضة الشريفة وفيها المحراب النبوي	٤١٢	١٦٠	خريفة المدينة المتورة
	١٨٥	محراب عثمان بن عفان	٤١٤	١٦٢	مسجد القباتين
.٤٧٠	١٨٦	المحراب السليمانى العثمانى	٤٢٠	١٦٣	مسجد عروة
.٤٧٦	١٨٧	كسوة الحجر النبوية من الداخل ...	٤٢٢	١٦٤	خارج باب قباء
.٤٧٥	١٨٨	قسم من الروضة والحجرة به السائر ...		١٦٥	
.٤٧٧	١٨٩	باب الرحمة بالمسجد النبوي	٤٢٢	١٦٦	مسجد سيدنا على رضى الله عنه
	١٩٠	باب السلام بالمسجد النبوي		١٦٧	
.٤٧٩	١٩١	مآذن المسجد النبوي وبالرسم السور من الجهة الشرقية	٤٢٢	١٦٧	منظر المدينة من فوق تكية محمد على باشا
.٤٨٥	١٩٢	قصر عجلة في طريق الوجه	٤٢٤	١٦٨	واجهة تكية المدينة المتورة
				١٦٩	

مصر
مصر
مصر
مصر
مصر
مصر
مصر
مصر
مصر
مصر



Sa Majesté Fouad I.
Roi d'Egypte

تقديم الكتاب

الى حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم فؤاد الأول
أيد الله ملكه

مولاي

لقد تسامى عصركم على الأعصار . وزهت مصر في عهدكم على الأقطار فهذه
نهضة العلوم والمعارف قد استوت . وتلك أفنانها قد اهتزت وربت . وأكمامها قد
تفتحت فأتت أكلها ضعفين . بهمة مليكها . شبل اسماعيل وعجي مجد وادى النيل .
وتلك مكة أم القرى . وطيبة مقر الهدى . والبيت المعمور وما اليها من
معاهد . بارك الله حولها . وشاد في القرآن بذكرها . بفعلها مثابة للناس وأمنا .
تلك المعاهد . تسدى اليك يا أبا الفاروق : شكران من حباها جلالته وآباؤه الغر
الميامن بفيض كرمهم وأسبغوا عليها وفيهم نعمهم . ونفروا خفافا لنصرتها فلما جار
الحجاز : رب أنى مسنى الضر . كان أسرع الأقطار لتأييده واعزازه مصر وما مصر
إلا مآثر آباءك الصيد ومكارم كل غضنفر كبير القلب حديد قد اشترى الله منهم
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الذكر الحميد فى اعلاء شأن الاسلام والمسلمين .

فقديما حمى جدكم الأعلى حمى الحرمين . وعنى بقداسة القبليتين ثم درج
على سنته أبوكم ابراهيم فاذا بتلك الأقطار وقد أمنت مسالكها وسهلت مباركها
ومهايمها .

وجاءت رعايتكم السامية في أزمانكم الزاهية مصدقة لما بين يديها من عطف
سام على الحرم الأقدس وعناية ملكية بالأثر الأشرف :

منن لكم ولآبائكم خلدات * وأياد على الدهر باقيات

يحفظها لجلالتكم المسلمون بين طيات قلوبهم . ويردها الحجيج في عرفة
يوم الحج الأكبر . وينقشها الزمان على جبين الكعبة تفيض نورا وتحديث عن
مآثركم أصائل وبكورا .

وهذا كتاب حملني على تأليفه حب شغف به قلبي لتلك البقعة المباركة التي أنزل
الله فيها على عبده الكتاب فدرج فيها الدين وأشرقت منها شمس الهداية على العالمين
جمعه وأنا أشرف كل عام بإيصال وفد بيتكم بيت اسماعيل وابراهيم الى بيت رفع
قواعده ابراهيم واسماعيل ، وبالسفارة بين موالى وملوكى الأخيار وبين ساكنى الروضة
الشريفة المعطار .

وليس فيه إلا كل نقيبة من نقائب المجد لديكم ومحمدة تنطق بالثناء عليكم فهو
منكم واليكم والحمد لله ان جاء مرآة صادقة للشاعر الطاهرة وصورة حقيقة برسومه
الوافرة .

وإني أرفعه لسدتكم العلية وأنزله بساحتكم السنية كلاً الله ذاتكم وحاط باليمن
أيامكم ورعى بتوفيقه سموولى العهد المحروس آمين ما

العبد المخلص المطيع لجلالتكم

(اللواء) ابراهيم باشا رفعت

المرء ابراهيم رفعت باشا امير الحج المصري ١٣١٧



LEWA IBRAHIM REFAAT PACHA

EX O. C. H. H. BODY GUARD
EMIR EL HAGG, YEAR 1325 H.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(١) (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) (القرة)

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (١٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّانَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (١٣٧) (إبراهيم)

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٣٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (١٣٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَيْمَاتٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (١٣٨)

(١) أرقام الآيات حسب ما جاء في المصحف الذي تم طبعه في عهد صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر (٢) مكة المكرمة . (٣) أبعدي . (٤) جعلنا مكانه . ياءة لإبراهيم ومرجعاً يرجع إليه . (٥) وأعلم الناس بالحج . (٦) مشاة جمع راجل . (٧) بعير . هزول اتعبه بعد السفر فهزله . (٨) طريق بعيد .

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ
حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ... ﴿٣٠﴾ (الحج)

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ
إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ (الحج)

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ
بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا . وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
سَبِيلًا . وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ آل عمران . (قرآن كريم)

الحمد لله على ما هدى إليه من شعائر الدين ، وسنه من شرائع لإحياء العالمين
ومناسك يصمد إليها الدانون والقاصون ويتداعى إليها الموحدون ، نحمده على بيت
جعله مثابة للناس وأمنا ، وملاذا للاسلام وحصنا ، حيث به الأمة العربية وذاع
صيتها في الأقطار العجمية ، وطهرت به النفوس من أوزارها وضرعت فيه إلى ربها
فأفاض عليها من الهدايات الروحية والكمالات الخلقية والمنافع الدنيوية والأخروية ،
ما لا يدخل تحت الضبط ولا يحصره العد . والصلاة والسلام على هادى الأمم من
غوايتها ، ومنقذها من ضلالتها ، والآخذ بها عن اللعم إلى السبيل الأمم ^(٦) محمد بن عبدالله ^(٧) ،
مطهر البيت من الأوثان ، والناشر على ربوعه راية السلام الذى وحد بين المسلمين
فى المنسك وسن لهم سنة التعارف على اختلاف أجناسهم ، وتباين لغاتهم وتباعد
أقطارهم ، فكانت بذلك وحدة لا تنقسم العرا ، وألفة لا يدركها البلى ، مادام المسلمون

(١) أى ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاضفار وتطهير النفوس من أدران المعاصى .

(٢) مبتعدا يقصدون اليه . (٣) مكة . (٤) موضع قيامه وهو بينى البيت .

(٥) يقصد . (٦) الذنوب . (٧) الوسط .

بما هداهم إليه متمسكين، وبجبل الله معتصمين وبسنة رسوله مؤتسين، وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبيله وارتسموا طريقه . (وبعد) فيقول «اللواء إبراهيم باشا رفعت» (في الرسم ١) : كنت ولوعا بالحج شغوفاً بأداء هذا الفرض متضرعاً إلى الله أن يوفقني لرؤية بيته الحرام وما اكتنفته من المناسك، فمن علي بالإجابة بعد الإهابة^(١) وبارك في دعوتي كما بارك لإبراهيم في دعوته الطيبة التي أحيت أمة إلى يوم القيامة وعمرت قطرها الجذب ونشرت فيه المدنية الصادقة والشرعة القائمة، فعينت في سنة ١٣١٨ هـ (١٩٠١ م) رئيس حرس المحمل (قومندانه) فرأيت أن نعمة الله علي لا يفي بشكرها إلا تدوين رحلتي من أول خطوة فيها إلى آخر خطوة وإخراجها للناس لينتفعوا بها وليستضيئوا بنورها إذا حجوا إلى البيت الحرام أو قصدوا الجزيرة فلم أدع صغيرة ولا كبيرة مما رأيت أو سمعت إلا قيدتها، غير أنني كنت أرى مناظر جميلة وآثاراً ثمينة ومشاهد مهما دقت في وصفها لا أصل بك إلى الحقيقة ولا أدخل من الروعة في نفسك ما تدخله المشاهدة والرؤية وكنت أتمنى مصوراً ماهراً يحبس ما نرى من المناظر وكنت أودّ أن أكون ذلك المصور فلما رجعت من حجتي الأولى تعلمت فن التصوير وجعلته مسلاتي في وقت فراغي ونزعت نفسي إلى حجة أخرى أقيد فيها الصور فأنا لاني الله بغيتي ومنّ علي منة أخرى في سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٣ م) إذ عينت أميراً للحج فكتبت علي نفسي أن أسلك سبيل الأول في تقييد كل ما أجد وتصوير كل ما يقع عليه النظر حتى أضيف إلى إخبارك — أرشدك الله — المشاهدة فيتمتع السمع والبصر كأنك تشاهد الأماكن المقدسة عن كُتَب^(٢) . ومنّ علي بحجة ثالثة في سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٤ م) فكنيت فيها أميراً للحج . وغمرني بعد ذلك بحجة رابعة عينت فيها أيضاً أميراً للحج سنة ١٣٢٥ هـ (١٩٠٨ م) فتلک حجّات أربع

ولإنها لشفعة كبيرة ومنحة جليلة تستدعى شكرا جزيلا وثناء عريضا وما ذلك الا بسط ما رأت عيني وسمعت أذني للناس في ثوب قشيب ومنظر بهيج فتقدمت الى المسلمين بهذه الرحلات المصوّرة التي حوى كل منها ما لا يغنى عن الأخرى إذ كان من حسن حظي أنى سلكت كل مرة من مكة إلى المدينة طريقا غير التي كنت أسلكها من قبل فظفرت بمعلومات قيمة عن أرض الحجاز لا أظنك تظفر بجملتها في كتاب آخر.

ولقد كانت من أكبر البواعث على إخراج هذه الرحلات وتكلف النفقات الباهظة في سبيلها أنها آيين شرح لفرض من فروض الدين وأصدق لسان يصف مهد النبوة ومبعث التشريع وأنها لتكشف لك عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن التي شرفت به حتى كأنك تراها رأى العين .

وقد رأيت أن أذكر الرحل الأربع حسب ترتيبها في الموضوع ولما كانت السنة الأولى خالية من المناظر رأيت أن أضيف إليها من مناظر السنين الأخرى إذ هي أول ما تقرأ وأوسع ما خط كما رأيت أن أشبع الكلام على كل مكان شهير أو أثر عظيم أو أمر خطير يأتي ذكره في الرحلة في فصول مستقلة .

وأسأل الله سبحانه أن يجعل عملي خالصا من الرياء وأن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ﴿هُوَ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ .

الرحلة الاولى

سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م

الأعمال التمهيدية قبل سفر المحمل

أمير الحج وقوة المحمل العسكرية - صدرت إرادة سنية بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٨ (٢٦ ديسمبر سنة ١٩٠٠) بتعيين إسماعيل صبرى باشا الطويجي أميرا للحج وصدر أمر عسكري بتاريخ ٥ ذى القعدة بتعيينى رئيسا (قومندان) لحرس المحمل وأمر آخر فى التاريخ نفسه بتعيين ١٨٠ ضابط وصف ضابط وعسكري حرسا للمحمل وكان الضباط ستة، هم رئيس المائة (اليوزباشى) عبد الوهاب حبيب افندى من المشاة (البيادة) ورئيس المائة سليمان كامل افندى الطبيب، والملازم الأول ابراهيم أحمد افندى من المشاة، والملازم الأول اسماعيل كامل افندى من المدفعية (الطويجية) والملازم الأول أحمد كامل افندى من الخيالة، والملازم الثانى محمد كامل افندى من المشاة ومن ضمن العسكر ١٤ موسيقيا .

ركب المحمل - صدرت إرادة سنية بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٨ بتعيين محمد سليمان بك أمينا للصرة وقررت وزارة المالية تعيين الشيخ يوسف المرجاوى إماما للمحمل، وحسن حلمى افندى كاتباً أول للصرة، وسعيد أحمد افندى كاتباً ثانياً وحسن قاسم افندى كاتباً للقسم العسكرى وإمارة الحج، ومحمود يوسف افندى صرافاً للصرة، والسيدة صالحه افندى طبيبة، وجملة من كان فى خدمة المحمل فى هذه السنة ٤٧٣ ما بين ضباط وعسكر وموظفين وتوابعهم وقادة الجمال والخيول وحاملي المصابيح (المشاعل) والسقائين والفراشين والزامرین (الفريجية) ولم يكن مع المحمل أحد من الأهالى غير عماله وأتباعهم .

صرة المحمل — كانت النقود التي أودعت صرة المحمل في سنة ١٣١٨ هـ وسلمت لأمين الصرة بمقتضى إشهاد شرعى رسمى عمل بمحضر ناظر المالية وأمير الحج وأمين الصرة وصرافها وصراف من المالية ومندوب من قبل حضرة صاحب الفضيلة قاضى قضاة مصر كما يأتى :

مليم	بنيه مصرى	وينو بنيه مجيدى	ريال بطاثة	ريال مصرى	قرش	مليم
٥٠٠	١٤٢٧٦	٤٩	٣٥	٣٩٠٠٠	٢٩٧٢	٥٣٢٥
١-٤						٥٩٦

وجملة ذلك بالجنيه المصرى والمليم ما يأتى :

١-٤- ٢٦٢ مليم جنيه ١٨٨٩٣ أى ربع مليم واثنان وستون ومائتا مليم وثلاثة وتسعون وثمانمائة وثمانية عشر ألفا من الجنيهات المصرية .

والمبالغ المذكورة تشمل مرتبات رجال المحمل جميعهم مدة ثلاثة شهور وهى المدة المقدرة لسفر المحمل ومرتب أمير مكة والمقدر لأشرافها وللعربان ولتكتيى مكة والمدينة وجميع النفقات الأخرى اللازمة من أجرة جمال وثمان علف للدواب الخ — أنظر مالية المحمل فى آخر الكتاب .

الكسوة ووصفها — جرت العادة أن يكتب إشهاد شرعى بتسليم الكسوة من مأمور تشغيلها الى المحمل (من فى عهدته المحمل والكسوة) ليوصلها الى البيت الحرام ويذكر فى هذا الإشهاد أجزاء الكسوة وأوصافها وقد رأينا أن ثبت هنا نص الإشهاد الشرعى الذى حرر فى سنة ١٣٢١ اذ هو أثر تاريخى يعرف منه القارئ تفاصيل الكسوة ومادتها وهى لا تختلف فى سنة عنها فى أخرى الا فى جودة ما تصنع منه .
واليك نص الإشهاد ،

بمحكمة مصر الكبرى الشرعية فى يوم الثلاثاء خامس عشر القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف الموافق ثانى فبراير سنة أربع وتسعمائة وألف أذن فضيلتو قاضى افندى مصر حالا لحضرة العلامة الشيخ محمد ناجى أحد أعضاء المحكمة المذكورة بسماع ما يأتى ذكره فيه ولكتابه هما الشيخ محمد سعيد ومحمد مصطفى افندى

الكاتب كلاهما بالمحكمة المذكورة بكتابة ما يأتي ذكره فيه فلدى حضرة العضو الموصى اليه بحضور الكاتبين المذكورين بالمجلس المنعقد بمسجد سيدنا ومولانا الامام أبي عبد الله الحسين رضى الله تعالى عنه الكائن بمصر المحروسة بالقرب من خان الخليلي والجامع الأزهر بقسم الجمالية في الساعة العاشرة صباحا من اليوم المرقوم أشهد على نفسه الحاج محمد أحمد المحاملي الساكن بالدرب الأصفر بالقسم المذكور ابن المرحوم أحمد مصطفى بن مصطفى شهوده بالإشهاد الشرعى وهو بأكل الأوصاف المعتبرة شرعا أنه قبض واستلم واستوفى ووصل اليه من حضرة عبد الله فائق بك مأمور تشغيل الكسوة الشريفة حالا الساكن بشارع المحجر بقسم الخليفة بمصر ابن المرحوم اسماعيل بك ابن المرحوم ابراهيم الحاضر هو معه بهذا المجلس جميع كسوة بيت الله الحرام المشتملة على ثمانية أحزمة وأربعة رنوكه - أى دوائر - مركبة على حملين من الثمانية أحمال الآتى ذكرها فيه، مزركشة الثمانية أحزمة والأربعة رنوكه المذكورات بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر المبطن بالبفت الأبيض والنوار القطن المركبات الثمانية أحزمة المذكورة على ثمانية أحمال حرير أسود مكتوب ومبطن بالبفت الأبيض والنوار القطن، اثنان من الثمانية أحمال المذكورة كل منهما تسعة أثواب كل ثوب منها طوله ستة وعشرون ذراعا بالذراع البلدى طول كل ذراع منهما سبعة وخمسون سانتى متر وكسور من السانتى، واثنان من الثمانية أحمال المذكورة كل منهما ثمانية أثواب من الأثواب المذكورة، والأربعة أحمال باقى الثمانية أحمال المذكورة اثنان منها سبعة أثواب ونصف من الأثواب المذكورة والاثنان الباقيان كل منهما ستة أثواب ونصف من الأثواب المذكورة. وستارة بيت الله الحرام المعبر عنها بالبرقع المزركشة بالمخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر والأحمر المبطن بالبفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر بها خمسة شراريب حرير أسود وقصب وكنتير ومخيش وستة أذرة (كذا) فضة مطلية بالبندقى الأحمر، واثنى عشرة شرابة صغيرة حرير أحمر وقصب وكنتير واثنى عشرة شمسية

مزر كشة على الحرير الأحمر . وكسوة مقام سيدنا ومولانا ابراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم المبطنة بالبفت الأبيض المزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الحرير الأخضر والأحمر، بها أربعة شراريب حرير أسود وقصب وكثير وخيش وعشر شمسيات مزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأحمر وعشرة شراريب صغيرة حرير أحمر وقصب ونحسة أذرة فضة مطلية بالبندقى الأحمر بها سحج قطن شبكة بقيطان قطن وأذرة شراريب من قطن هندی أحمر وأصفر وبها تتر أحمر . وكيس مفتاح بيت الله الحرام المزر كش بالخيش الأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الأطلس الحرير الأخضر به تتر ملون وكثير أصفر مبطن بالأطلس الحرير الأخضر به شرابتان قصب وكثير وقيطان قصب . وستارة باب سطح بيت الله الحرام المعروف بباب التوبة داخل بيت الله الحرام المزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأطلس الأخضر والأحمر المبطن بالبفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر بها تتر . وستارة باب مقصورة سيدنا ومولانا ابراهيم الخليل المشار اليه المزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأحمر، بها نحسة أذرة فضة مطلية بالبندقى الأحمر وعشر شمسيات مزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر على الأطلس الحرير الأحمر، بها عشرة شراريب صغيرة حرير وقصب المبطن بالبفت الأبيض والأطلس الحرير الأخضر . وستارة باب منبر الحرم الشريف المكي المزر كشة بالخيش الأبيض والأصفر المطلى بالبندقى الأحمر على الحرير الأسود والأحمر المبطن بالبفت الأبيض والنوار القطن والأطلس الحرير الأخضر وثلاثة مجاديل — أى حبال قطن — احتياج تعليق الكسوة الشريفة على بيت الله الحرام وإحدى وأربعين عصفورة — أى حبل قطن مجدول — احتياج الخلق وغلايتين من النحاس مغطاتين مملوءتين بماء الورد الباش احتياج غسل بيت الله الحرام حسب المعتاد قبضا وتسليما واستيفاء ووصولاً شرعيات حسب اعتراف المشهد المذكور بذلك يوم تاريخه بهذا المجلس

بم حضور كل من سعادة إبراهيم رفعت باشا أمير الحج الشريف الساكن بالدويدارى بقسم الدرب الأحمر ابن المرحوم سويفى بن المرحوم عبد الجواد ، وحضرة أحمد زكى بك مدير الأموال المقررة بنظارة المالية المصرية حالا وأمين الصرة الشريفة فى هذا العام الساكن بشارع الظاهر بقسم الأذبكية ابن المرحوم السيد يوسف الحلبي ابن المرحوم السيد عثمان الحلبي ، وحضرة السيد محمود البيلاوى شيخ مسجد ومقام سيدنا ومولانا أبى عبد الله الحسين رضى الله تبارك وتعالى عنه الساكن بحارة المناصرة بقسم الموسيقى ابن حضرة العلامة الهمام السيد الشريف على البيلاوى شيخ الجامع الأزهر الشريف حالا نجل المرحوم السيد محمد البيلاوى ومحمد عمر افندى الكاتب وأمين مخزن مصلحة الكسوة الشريفة الساكن بشارع مصر القديمة ابن عمر ابن محمد العارف كل منهم للشهد المذكور عينا واسما ونسبا وأنه الحاضر بهذا المجلس واتصافه بالأوصاف المعتبرة شرعا وعلى المشهد المذكور الخروج من عهدة ذلك جميعه وتسليمه لمن له ولاية تسلم ذلك بمكة المشرفة حسب المعتاد فى ذلك ، صدر ذلك بم حضور وشهادة من ذكر أعلاه تحريرا فى يوم الأربعاء سادس عشر القعدة المذكور الموافق ثالث فبراير المرقوم . اه .

ويعطى لمحرر الاشهاد الذى ينتدبه قاضى قضاة مصر ٣ جنيهات و ٢٨٠ مليم منها ٨٨٠ مليم تقديية و ١٤٠ قرش ثمن فروة و ١٠٠ قرش ثمن فرجية جوخ .

الاحتفال بالكسوة

فى يوم ٢٧ شوال سنة ١٣١٨ (١٦ فبراير سنة ١٩٠١) احتفل فى القاهرة بكسوة الكعبة المشرفة بالطريقة الآتية :

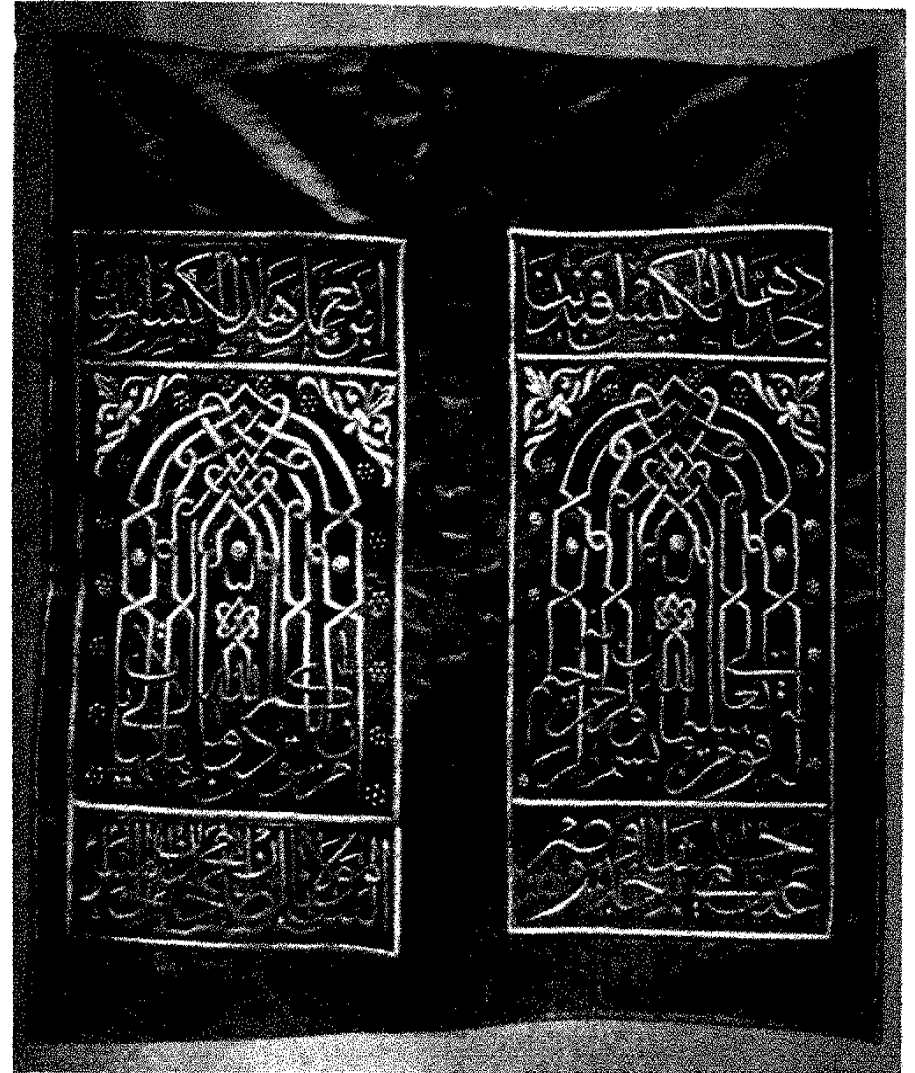
فى يوم ٢٦ شوال أتى بالمحمل من مقره بوزارة المالية ونقل داخل صناديق على عجلة الى « وكالة الست » بالجمالية حسب المعتاد من قديم ونقل جزء من كسوة الكعبة مع أحزمتها الحريرية المزركشة بالقصب^(١) من مصنعها بالخرنفس الى

(١) خيوط من الفضة طليت بالذهب .

المصطبة بميدان صلاح الدين المعروف بميدان القلعة أو ميدان محمد علي وفي عصر هذا اليوم احتفل رسمياً بنقل كسوة مقام الخليل إبراهيم عليه السلام، والجزء الباقي من كسوة الكعبة من مصنعها بالخرنفس الى ميدان صلاح الدين السابق ، وكان نقل الكسوة على أكتاف الجمالين يحيط بها رجال الشرطة ويتقدمها قسم من الجيش مابين راجل وراكب معهم الموسيقى تصدح بالأناغام المطربة ويصحبه أرباب المزار البلدى المعينون للسفر بصحبة المحمل ، وكذلك تقدم الكسوة مدير مصنعها - مأمور الكسوة - ممتطيا جواده مرتديا لباسه الرسمي - بذلة التشريفة الكبرى - وعلى يديه مبسوطتين كيس مفتاح الكعبة (في الرسم ٢) . ويتلو كسوة الكعبة كسوة مقام الخليل محمولة على الأكتاف أيضا، وسار الموكب بهذا النظام من المصنع الى «سبيل كتخدا» القريب من النحاسين حيث التقى به المحمل بكسوته الخضراء المعتادة آتيا من «وكالة الست» بالجمالية على ظهر جمل ، فسار وراء كسوة المقام وسار الموكب كله الى النحاسين فالغورية فباب زويلة (بوابة المتولى) فالدرج الأحمر فالتبانه فالمحجر في ميدان صلاح الدين حيث أقيم هناك الاحتفال فوضع المحمل مع الكسوة في المحل المقابل لردهة (لصالة) الاستقبال حتى الصباح ووضعت كسوة المقام وسط الردهة المذكورة التي زينت جدرها بقطع من كسوة الكعبة وأحزمتها القصبية وكيس مفتاح الكعبة وستارة بابها وباب التوبة ، ووضع حول كسوة المقام أربع مائلات (شمعدانات) من الفضة أحضرت من جامع القلعة ، ووضع بحجرة المحافظ التي بالجهة الغربية من ردهة الاستقبال أربع قطع يقال لها (كرداشيات) (في الرسم ٣) زينت بها جدر الحجر ، وقد أحييت المحافظة الليلة المعقبة لهذا اليوم بتلاوة آي القرآن الكريم وانشاد المنشدين في مكان شرقى مكان الاحتفال ودعت العلماء والكبراء والأعيان لمشاركتها في إحياء الليلة ، ومنهم من دعت لتناول طعام العشاء قبل الغروب ، ومنهم من دعى للإحياء بعد صلاة العشاء فحسب كما أنها دعت مشايخ الطرق من الرفاعية والسعدية والأحمدية والإبراهيمية والبيومية والقادرية والشاذلية

منظر كنين مفتاح الكعبة المعظمة

جزء من كسوة الكعبة فيه البسمة والصدية



2. The bag containing the key of the Kaaba.



3. A view of a part of the carpet of El Kaaba containing a story from the Koran.

جزء من كسوة الكعبة فيه البسمة والصدية

جزء من كسوة الكعبة فيه البسمة والصدية

مَجْمَلٌ يُرَادُ بِهِ الْمَجْمَلُ الْمَشْرِقِيُّ



مَجْمَلٌ يُرَادُ بِهِ الْمَجْمَلُ الْمَشْرِقِيُّ

4. The farewell of the Mahmal at Citadel Square in Cairo.

الْمَجْمَلُ الْمَشْرِقِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالْمَجْمَلِ الْمَشْرِقِيِّ

مَجْمَلٌ يُرَادُ بِهِ الْمَجْمَلُ الْمَشْرِقِيُّ



5. The Mahmal in the Railway Station of the Ismailia.

للسير أمام المحمل والكسوتين وللشاركة في إحياء هذه الليلة التي أنفق فيها مائة جنيهه مصرى ، واستمرت الحفلة الى ما بعد نصف الليل حيث جمعت قطع الكسوة التي في الردهة وفي حجرة المحافظ مع كسوة المقام ، ووضع كل ذلك مع المحمل في المكان المقابل لردهة الاستقبال .

وفي صباح هذه الليلة احتفل بالكسوة والمحمل إحتفالا فخما في ميدان صلاح الدين حضره سمو الخديو والوزراء والعلماء والأعيان ، وأطلق للخديو ساعة حضوره واحد وعشرون مدفعا وصدحت الموسيقى بسلامه ثلاثا أعقبها الضباط والعساكر والحضور في كل مرة بالهتاف لسموه (افند من جوق يشا) (يعيش افندينا طويلا) وكان الخديو والحضور ساعة ذلك رافعي أيديهم الى جباههم بالسلاط ثم استراح جنابه مع الحضور قايلا في بهو (صالة) الاستقبال مشاهدا دورات المحمل السبع المعتادة في الفناء الواسع الذي أمام البهو وكان يقود جمل المحمل مدير مصنع الكسوة الذي قدم المقود الى سمو الخديو فقبله وناوله قاضي القضاة فقبله أيضا مع بعض الحضور ثم أعاده الى المأمور الذي ينتظر بالمحمل قبالة الجامع المعروف بالمحمودية بالميدان ريثما يتم استعراض الكسوة ، ثم عرضت الكسوة بحملها الخفراء على سموه وقد وقف خارج الردهة مع الوزراء والحضور، والخفراء يمرون بها من أمامهم حتى إذا ما انتهت أستعرض الجيش ثم أطلق واحد وعشرون مدفعا إيذانا بانتهاء الحفلة (في الرسم ٤) وانصرف الخديو والحضور ثم سير بالكسوتين والمحمل الى مسجد الحسين رضى الله عنه يصحبها رجال الجيش والشرطة وأرباب الطرق وفي المسجد استقبل الكسوتين أمير الحج وأمين الصرة وكانا قد سبقا الناس الى المسجد وهناك ضمت بالحياطة قطع الكسوة بعضها الى بعض ثم نقلت الى العباسية مع كسوة المقام في صناديقها المعدة لها استعداد الاسفر بهما الى الجواز بعد . أما المحمل فسير به من المسجد الحسيني الى مصنع الكسوة بالخرنقش^(١) وبقى هنالك الى صبيحة يوم الاحتفال

(١) لا يخفى عليك أن هذه الأعمال ليست من الدين في شيء. وربما كان مبررا لها أنها تهيج النفوس

بمخروج المحمل الى الأقطار المجازية، ففي صبيحة هذا اليوم احتفل بنقله من المصنع الى ميدان صلاح الدين ولكن من طريق سوق السلاح، وفي ضحوة ذلك اليوم ١٣ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (٤ مارس سنة ١٩٠١) عمل احتفال بالميدان المذكور كاحتفال السابق وسلم فيه عبد الله فائق بك مدير مصنع الكسوة زمام المحمل الى سمو الخديو وسموه سلمه لأمير الحج حيث قاده محفوفاً برجال الشرطة والجيش وأرباب الطرق الى العباسية ليسافر من هنالك الى السويس فمكة مع الكسوتين والروائح العطرية والحرق الجديدة التي تغسل بها الكعبة .

سفر المحمل وركبه من القاهرة الى جدة

قبل سفر المحمل من القاهرة ببضعة أيام دعت مصلحة السكة الحديدية سعادة أمير الحج اسماعيل صبرى باشا الطوبجى لتتعرف منه العربات اللازمة فى قطارى البضاعة والركاب اللذين يقلان المحمل وركبه وأمتعته من القاهرة الى السويس فاتفق معها على أن يكون قطار الأمتعة مؤلفاً من ثمان عربات مغطاة وثلاث مسطحة وخمس مجنبة وسبع للحيوانات وقطار الركاب منظوماً من مركبتين للدرجة الأولى وآخرين للثانية وثمان للثالثة وثلثين للحيوانات .

وفى ليلة الخامس عشر من ذى القعدة سافر قطار البضاعة من العباسية يحمل الكسوتين وما يتبعهما وأمتعة المسافرين بصحبة المحمل من خدم وعسكرو قادة إبل وضوئية وفراشين وسقائين . وقد انتقدت الشحن بأن خدم المحمل أسرعوا بشحن أمتعتهم حينما وصل القطار وشغلوا بها أكثر العربات فلما حضر العسكر لشحن أمتعتهم وجدوا أكثر العربات مشغولاً فاضطروا الى إخراج بعض أمتعة الخدم حتى يخلوا لأمتعتهم عربات خاصة وفى ذلك من المشقة ما لا يخفى فلو أن (القومندان) عين ضابطاً ذا مقدرة ونباهة وفطنة وكياسة لتقسيم العربات بين الخدم والحرس وتمييز عربات كل فريق وتنفيذ ذلك بالدقة لما هرول أولئك الخدم المتمرنون على الشحن.

وشغلوا معظم العربات بأمتعتهم ، وكذلك ينبغي أن يعمل هذا النظام بالباخرة البحرية فيعين لكل طائفة أماكن خاصة ويراقب الرئيس تنفيذ ذلك فلا يعتدى قوى على ضعيف ولا يسبق المتمرن غيره الى خير الأماكن بل تكون سواسية بين الجميع .

وفي صبيحة يوم ١٥ ذى القعدة (٦ مارس) سافر قطار الركاب في منتصف الساعة الأولى العربية من العباسية يقل المحمل والأمير والموظفين وبقية الحرس وأتباعهم من الأهالي ، وقد وقف القطار بمحطات القاهرة وطوخ وبنها والزقازيق وأبي حماد ونفيشة والاسماعيلية وفايد ، وقد كان الأهالي ومشايخ الطرق وطلبة المدارس بنين وبنات ينتظرون المحمل في محطات الوقوف ومعهم الموسيقى والمزمار البلدى . ومما رأيناه من عادات الأهالي إحضارهم أولادهم الرضع ليروا المحمل ويلمسوه فيبارك لهم في ذريتهم وكانوا اذا لم يستطيعوا لمسه قذفوا بمناديلهم الى خدام المحمل بعد أن يضعوا فيها شيئاً من النقود أو يملؤها باللحوم البيضاء أو الفطير فيأخذ الخدم ذلك منها ويردونها الى أربابها بعد إمرارها على المحمل ، والذي دعا العامة الى ذلك ما يعلمونه من أن المحمل يوضع داخل المسجد الحرام كما يوضع في المقصورة النحاسية التي حول قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه مادام بالمدينة فيريدون التبرك بمحمل يزور الأماكن المقدسة ، ولما كان التمسح بالقبور منها عنه في الشرع كان الاجدر بالناس أن لا يتمسحوا بما يوضع على الأضرحة من باب أولى وخليق بالمسلمين خاصتهم وعامتهم أن تتفق عاداتهم مع آداب دينهم وهالك المحمل في عربته بالاسماعيلية (في الرسم ٥) .

وقد وصلنا السويس في اليوم نفسه في الساعة السابعة العربية والدقيقة ٤٥ وكانت المحطة غاصة بالنظارة (المتفرجين) ورجال الشرطة مصطفىين على الافريز وفي مقدمة الجميع سعادة المحافظ والموظفون وقد أطلق ساعة وصول القطار ٢١ مدفعا من قلعة السويس وصدحت الموسيقى بالسلام الخديوى وهتف الحضور بالدعاء المعتاد لولى النعم (افند من جوق يشا) وتقدم سعادة المحافظ الى أمير الحج وأمين الصرة مهنتا لهما بالوصول ثم تقرر أن يكون الاحتفال بموكب المحمل في منتصف

الساعة الحادية عشرة العربية من اليوم نفسه . ولما حان هذا الموعد اصطف حرس المحمل ورجال الشرطة صفين متقابلين بالقرب من المحطة وكذلك العساكر القائمون بمنع تجارة الرقيق اصطفوا بهجانهم صفين وجعل المحمل بينهما ثم سار الموكب بهذا النظام يتقدمه أمير الحج وعلى يمينه المحافظ وعلى يساره أمين الصرة ، والعامه ، وأرباب الطرق من دون ذلك ، وبعد أن طاف بشوارع المدينة كالمعتاد وقف حيث بدأ وإذا ذلك أطلق حرس المحمل ٢١ مدفعا رداً لتحية القدوم ، وبعد السلام الخديوى انفرط عقد الحفلة وشحن المحمل بقطار السكة الحديدية الى محطة حوض السويس التي بنتا بها الى الصباح وباتت أسر موظفي المحمل بحجر الباخرة .

وفي صباح يوم الخميس ١٦ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (٧ مارس سنة ١٩٠١) أنزلت الأمتعة والكسا والمحمل (في الرسم ٦) الى باخرة النجيلة المخصصة لنقل المحمل وركبه الى جُدّة وقد قام بتفتيش الباخرة سعادة المحافظ ومندوب من شركة البواخر الخديوية ورئيس الحرس ولما تيقنوا بنخلوها من محتبئين لا يحملون جواز سفر صرح للمحجاج والحرس بالنزول اليها . ومما لاحظته على الباخرة أن أماكن الدرجة الثالثة بها كانت دون حاجة المسافرين فكان الزحام فيها شديداً ومحل الحيوانات كان رديئاً جداً فان طولها لا يزيد على ١٥ متراً في عرض الباخرة ، وارتفاعه متران تقريباً ولا يوجد به من النوافذ التي لا يزيد قطرها عن ٢٠ سنتيمتراً إلا نافذتان في كل جهة ، وكان به ٤ حيوانا بين خيل وبغال وقد بلغ من ازدحام الحيوانات به أن العساكر ما كانت تتمكن من وضع العلف لها إلا بالسير من تحتها وأنها كانت تتصبب عرقاً بل تتساقط على الأرض من شدة الحرارة بالرغم من أننا وضعنا مروحة بحرية (منيجة) لطلب الهواء لها ، وقد تسبب عن ذلك ضعف الخيل وهزلها مع أنها مستريحة غير عاملة . وقد أخذ من كل حاج بالسويس ٣٢ ملياً ضريبة الحجر الصحي بها وقد استنفذ ذلك كثيراً من وقت الحجاج ، فلو أن الحكومة أخذت هذه الضريبة مع ضريبة محجر الطور لأراحت الحجاج ووفرت عليهم وقتاً ضيعوه في الدفع وتسلم الصكوك به . وفي منتصف الساعة التاسعة العربية من يوم الخميس أفلعت الباخرة (بسم الله محريها

منظر زوال المآل في السويس



منظر زوال المآل في السويس

(6). A view of the Mahmal coming down the Sea in Suez



7. The Port of Gedda.

رجل وامرأة هندیان محرمان



جبرائیل علیہ السلام

69. An Indian man and an Indian woman in pilgrimage (Ihram) Clothes.

ومرساها) ميممة جدة فوصلتها في صبيحة ١٩ ذى القعدة (١٠ مارس) في الساعة الثانية العربية فنكون قد قطعنا المسافة بين السويس وجدة في ست وستين ساعة وهي ٦٤٦ ميلا. وقد كان البحر هادئا من وقت القيام الى مساء اليوم التالي ثم اشتدت الرياح وهاج البحر واستمر ذلك حتى جدة وقبل الوصول اليها بما يقرب من ست ساعات مررنا برايق على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر وهناك أحرم المسافرون بعد أن اغتسلوا وحلقوا وقصوا الأظفار ولبسوا لباس المحرمين (الرسم ٦٩) فرفعوا أصواتهم بالتلبية « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

تجزدت لما أن وصلت لرايق * وأبيت للولى كما حصل النداء
وقلت إلهى عندك الفوز بالمنى * وإنى فقير قد أتيت مجردا

والتلبية مطلوبة عند الاحرام بحج أو عمرة، وكلما علا مرتفعا أو نزل منخفضا وكذلك عند تلاقى الركبان ثم من الناس من أحرم بالحج ومنهم من أحرم بالعمرة وهم جميع الركب خلا أربعة وانما آثرنا العمرة لتحلل منها اذا وصلنا الى مكة وطفنا وسعينا بين الصفا والمروة فيحل لنا ما حرم علينا بالاحرام من لبس المخيط وكشف الرأس للرجال وتغطية الوجه للنساء والتطيب والحلق الخ ، وقد جرت العادة بأن السقائين والعكامة والفراشين والضوئية لا يحرمون ولا يؤذون شيئا من مناسك الحج فأمرهم الأمير بالاحرام، فاطاعوا مرغمين وأخذوا مما عندنا من « البفتة » ما يرتدون به للأحرام وكانوا قد خرجوا من مصر غير متأهبين له دأبهم في كل مرة وكذلك اشترت للحرس (بفتة) من القاهرة بنقود دفعوها فاتخذوا منها ملابس الاحرام فكنت ترى ركب الحمل من كبيره الى صغيره محرما خلاف ما تعودوه في السنين الخالية ، ولهذا كان الناس معجبين بنا هذه المرة إذ رأوا فينا خطة جديدة هي عين ما رسمه الشرع الشريف ونذب اليه .

(١) لبيك معناها إجابته بعد إجابة . (٢) طلبت في سنة ١٣٢٠ من المسالية أن تشتري للعسكر ملابس الإحرام من ما لها الخاص فأجابت .

وصول المحمل الى ميناء جدة

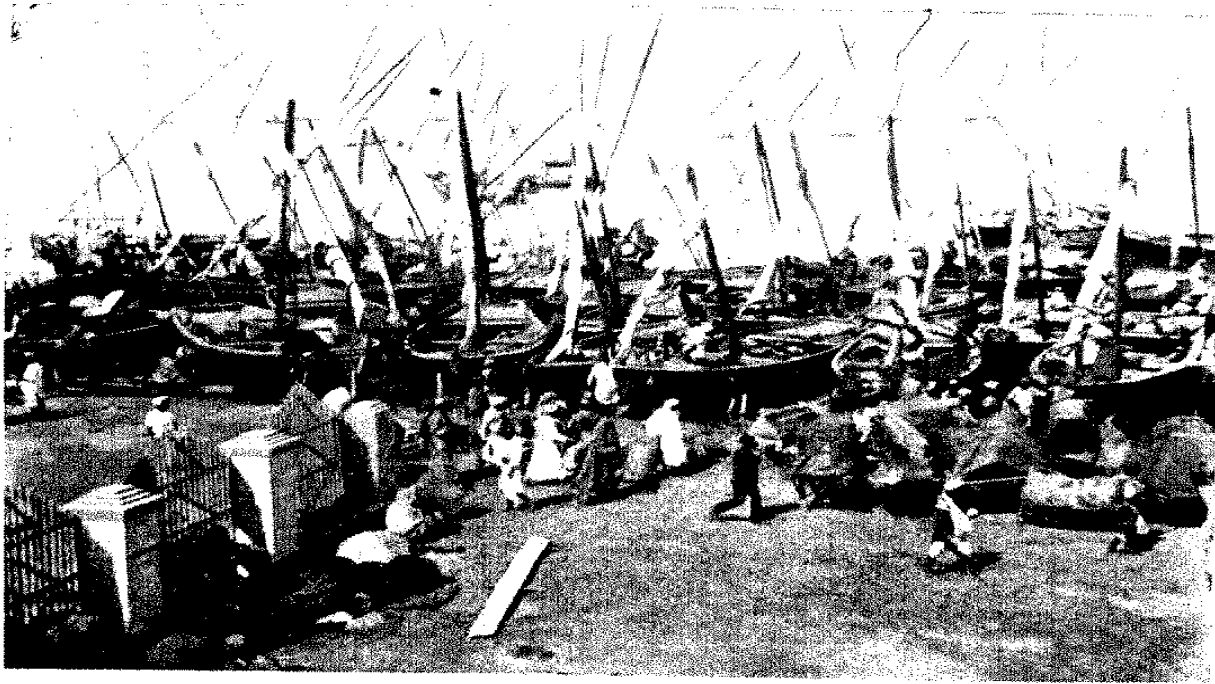
لما وصلت الباخرة مرفأ جدة لم يحضر الحاكم ولا أحد من قبله لتهنئة الأمير بالوصول حسب العادات المتبعة ولا سيما أن الباخرة بها أمير الحج وقسم عسكري ينبغي احترامه ومساعدته في نقل أمتعته وإرشاده الى المعسكر الذي ينزل به، إنما حضر طبيب الحجر الصحي للكشف على راكبي الباخرة وأصحاب السفن الشراعية (السنابك) لينقلوا المسافرين وأمتعتهم الى البر، وعند رسو الباخرة أطلقنا سبعة مدافع إيذانا بالوصول ولم ترد علينا التحية الباخرة العثمانية الحربية الراسية بالميناء باطلاق المدافع كما هو المعتاد ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ فكررنا التحية باطلاق ٢١ مدفعا وعزفت الموسيقى بسلام جلاله السلطان وأعقبته بالدعاء له ثلاثا ثم بسلام الحديو والدعاء له كذلك وبعد تلكؤ ردت التحية باطلاق المدافع من قلعة جدة .

نقل الأمتعة من الباخرة إلى ساحل جدة — الباخرة ترسو بعيدا عن

الساحل بنحو ميلين لكثرة الشعب بالمرفأ كما ترى في (الرسم ٧) وتقوم بنقل الحجاج وأمتعتهم إلى البر سفن شراعية تسمى (السنابك أو القطائر) والأجرة المقدرة للسفن التي تحمل موظفي المحمل وأمتعته خمسة جنيهات مصرية وللنجارين (النوتية) الذين ينزلون الأمتعة الى السفن ويخرجونها منها الى البر جنيهان ومثلهما للحمالين الذين ينقلون الأمتعة من الساحل الى المعسكر «نصيبا مفروضا» أما الحجاج التابعون للمحمل فننقلهم من القلعة الى الساحل (انظر الميناء والقوارب في الرسم ٨) .

عوائد الحجر الصحي وإجازة السفر — قضت قوانين الدولة العلية في جدة

بأن يؤخذ من كل حاج ثمانية قروش رسم الحجر الصحي (انظر ديوان الكورنتينا في الرسم ٩) وقرشان رسم إجازة السفر (في سنة ١٣٤٢ هـ كانت الرسوم على كل حاج ٨٩ قرشا — الله يرحم المعداوى القديم) ويعطى لكل حاج صكان بما دفع



(8) Geddah and Harbour.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِنْ مَطْبَعَةِ مَكْتَبَةِ مَدِينَةِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ
سَنَةِ ١٣٢١ هـ

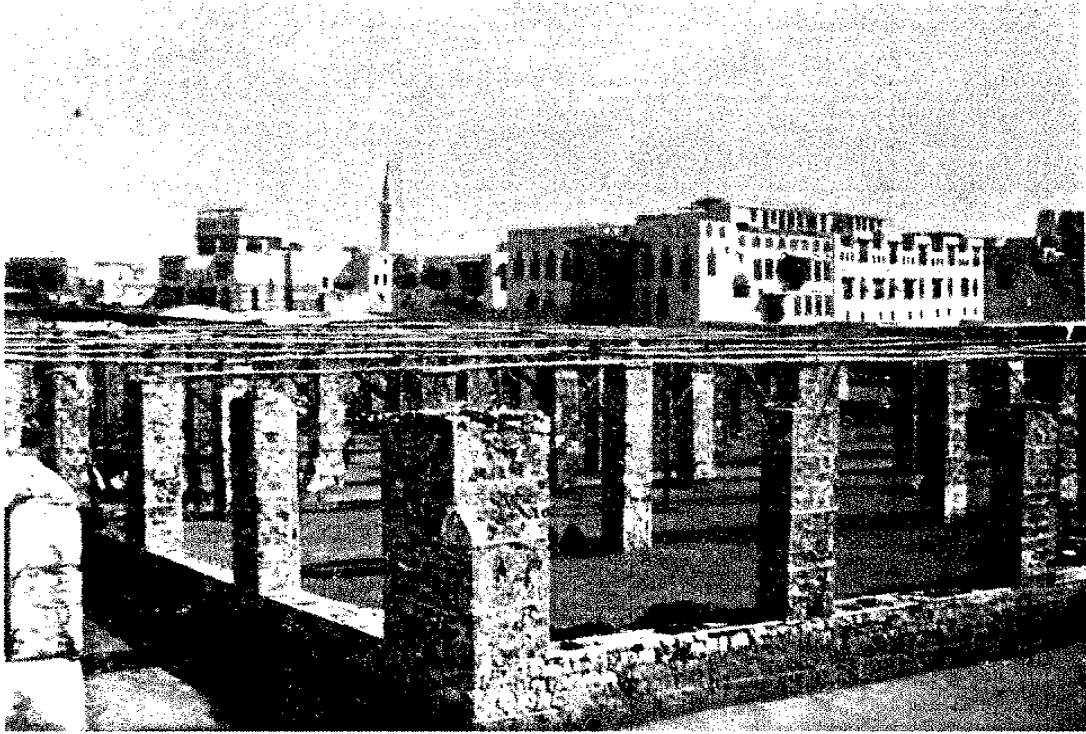
مِنْ مَطْبَعَةِ مَكْتَبَةِ مَدِينَةِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِنْ مَطْبَعَةِ مَكْتَبَةِ مَدِينَةِ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ
سَنَةِ ١٣٢١ هـ

(9) A view of the quarantine disinfection in Gedda in 1321.

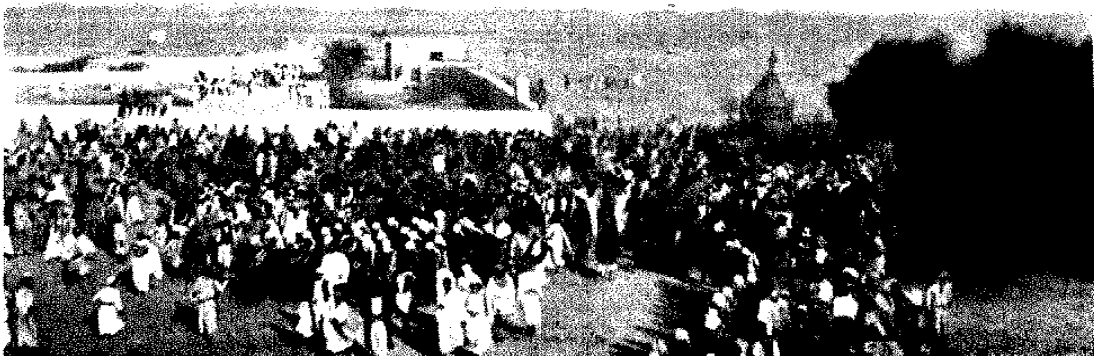
مِنْ طَرَسَاخِلِ جَدَّةَ وَبَيْتِ الْجَمْرَةِ



11. Geddah and Customs House

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَعْتَقْنَا هَذَا جَدَّةَ وَبَيْتِ الْجَمْرَةِ الشَّرِيفِ



12. Procession of the Mahmal at Jeddah & the (falsely ascribed) mausoleum of Hawa (Eve)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وان أخذ الرسوم يستغرق زمنا طويلا ولذلك اضطر الحجاج الى اقتراض الأرض الرطبة ليلتهم حتى انتهت مهمة التحصيل التي تستنفد من كل حاج نحو خمس دقائق، وفي الباخرة ما لا يقل عن ستمائة حاج — وكان خيرا من هذا أن تسلم الرسوم كلها من أمير الحج الى المحافظ دفعة واحدة وتحصل من الحجاج مع رسوم إجازات السفر من مصر كما يؤخذ مع هذه الرسوم أيضا أجرة نقل أمتعة الحجاج من الباخرة الى الساحل ويتولى الأمير دفعها الى رئيس المنجلين (الجمالين) وأر باب السفن حتى لا توجد منازعات ما بينهم وبين الحجيج، وقد كتبت الى الحكومة بهذا مقترحا تنفيذه فأجابت، ولما عينت أميرا للحج في سنة ١٣٢٠ وبلغت جدة كلمت محافظها سعادة علي يميني بك أن يأذن لمراقبي المحمل بالخروج من الميناء قبل دفع الرسوم وتعهدت بدفعها له مرة واحدة فأذن بذلك وكنت طبعت بطاقات بأرقام متتابعة كتب على كل منها «حاج مرافق للمحمل المصرى» وأعطى لكل حاج واحدة منها وكانت تؤخذ منه ساعة خروجه وتضم الى غيرها ودفعت الرسوم الى المحافظ بعدها بعد أن أرسل لى مأمور «الكورتينه» الكتاب التركى الذى تراه فى (الرسم ١٠)، وبهذا تمكنا من إراحة الحج ومنع التراحم وإنقاذهم من المكث زمنا طويلا على أرض رطبة فى جورطب، وكذلك اتفقت فى هذه السنة مع أر باب السفن والمنجلين، وبهذا انقطعت المنازعات والاختلافات .

نقل الأمتعة من الساحل الى المعسكر — نقلت الأمتعة من الباخرة الى البر ووضعت فى الطريق أمام بناء الجمرك (أنظر الرسم ١١ وترى فيه أعمدة البناء فوقها قوائم الخشب بدون سقف) وأحيطت بسور من عساكرنا ثم أخذ الجمالون فى نقلها الى المعسكر بجوار القبر المكذوب على أمنا حواء على مسافة ميل تقريبا . ولما كان نقل المتاع على ظهورهم يستنفد يومين أو ثلاثة قصدت رئيس البلدية فى مكانه القريب منا ورجوته مساعدتنا فى نقل الأشياء الثقيلة التى منها كسوة الكعبة وساعتئذ حضر «القائمقام» خالد بك (قومندان) العساكر فرجوته

أيضا فبعثنا مندوبين من قبلهما للتجار أصحاب العربات ، وبعد ساعة أحضروا سبع عربات صغيرة أشبه بعربات نقل الرمل عندنا ولكنها دونها فساعدتنا كثيرا ، ولما جئنا الليل واقترب غلق أبواب الجمرك وخفت أن يبیت بعض الأمتعة بالميناء ويتعطل لديها قسم من العساكر لحراسته — رجوت رئيس الشرطة (الحكيمدار) في تأخير الغلق مدة وجيزة فلبى الرجاء ووقتئذ أمرت بحمل الأشياء الخفيفة وعلف الدواب على ظهور الخيل والبغال وأمرت العساكر أن يحملوا ما استطاعوا حمله فلم تأت الساعة الثالثة ليلا إلا وقد تم نقل جميع الأمتعة الى المعسكر، ومع أن النقل كان في الظلام الحالك والزحام بالغ أشده والمسافة بعيدة — لم يفقد شيء ما ، وان هذا لدليل قاطع على همة الحراس بجدة وكمال يقظتهم وتنبيه رجالنا ، على أنه — والحمد لله — تكاد السرقات بجدة تكون معدومة مع شدة الزحام بها في موسم الحج ولكن هذا لا يمنع من التيقظ والاحتياط ” اعقلها وتوكل “ .

الاقامة في جدة

أقمنا بجدة من الساعة الثانية العربية من يوم الأحد ١٩ ذى القعدة سنة ١٣١٨ الى الساعة الحادية عشرة نهارا من يوم الخميس ٢٣ منه وذلك لفقدان الجمال التي نقلنا الى مكة . وقد احتفل بالمحمل في جدة في اليوم الثاني احتفالا رسميا فتراصت عساكر الدولة العلية صنفين متقابلين معهم الموسيقى — وكان عددهم ٤٠٠ من العساكر النظامية ، و ٢٠٠ من غير النظامية — وكان ذلك خلف الجمرك وجرى بالمحمل في الساعة الأولى العربية الى مجتمعهم يتقدمه الأمير وأمين الصرة ويحيط به حرسه وتضام الكل وسار المحمل بين الصفوف يجوب شوارع المدينة جريا على سنته الماضية وكان يوما مشهودا إذ كان جميع الضباط والموظفين بلباسهم الرسمي وموسيقى الدولة — وعدد رجالها ثمانون — تصدح مع موسيقانا بالأناغم الشجية ، وكنت ترى الوجوه ضاحكة مستبشرة لا تقرأ عليها الا آيات الفرح والسرور واذا أضفت الى ذلك منع الزحام بفضل النظام الذي وضعه القائد خالد بك أدركت أن الناس قد

بلغ الفرح من نفوسهم مبلغا عظيما، وقد انتهت الحفلة برجوع المحمل حيث بدأ سيره بعد أن صدحت الموسيقى بالسلام السلطاني فالسلام الخديوي وبعد الهتاف لها بالعز والبقاء . (أنظر الرسم ١٢) .

تبادل الزيارات بمجدة — قد زار حاكم جدة الملكي وحاكمها العسكري بملابسهما الرسمية أمير الحج وأمين الصرة ورئيس الحرس كلا في خيمته وقدمنا لهما القهوة والشراب الحلو ورددنا لهما الزيارة في اليوم التالي، وكذلك زار رئيس تجار جدة سعادة عمر نصيف باشا الأمير والأمين ولم يتمخا من رد الزيارة له لضيق الوقت وقد بلغني وأنا بمكة امتعاضه من تركهما لزيارته فأخبرته بأنا رددنا له الزيارة بمحله بمكة لئسرى عن نفسه ، وقد كان أهالي جدة صغيرهم وكبيرهم يتواردون علينا عصر كل يوم لمشاهدة المحمل وسماع الموسيقى والمزمار البلدى حتى مغرب الشمس ، ومن بعد العشاء الى الساعة الثالثة بعد الغروب ، وأيام وجود المحمل بجدة تعتبر عند أهاليها مواسم فرح وسرور وإنهم ليحبون سماع الألحان حبا جما ، وكان ذلك مركزا في طبيعتهم مفضولة عليه نفوسهم .

معارفنا بمجدة — قد تعرفنا برئيس المحكمة الأهلية وأمور الأوقاف ، وكان صلة التعارف بيننا مدير البريد والإشارات البرقية عبد الرحيم محب افندى التقى الورع الصالح الأمين الذى سبق أن تعرفنا به بسواكن منذ كان هناك مدير البرق (التلغراف) للدولة العلية وكننت بها أركان حرب فى سنة ١٨٩٦ ، وتاليتها (ورسم الثلاثة كما فى اللوحة ١٣) . وتعرفنا أيضا بالشيخ سليمان بن عبد الله البسام وكيل أمير نجد والتاجر ذى الخلق الطيب والمروءة والشهامة ، وقد دعانى مع حضرة صهرى العلامة الكامل التقى الشيخ محمد طوموم الى منزله فأكرمنا وأتحفنا بلذيذ حديثه وشعره وقد حضرالى مصر فى نحو سنة ١٩١٢ م وارتسمنا معا ونحن نشرب القهوة كما ترى فى (الشكل ١٤) .

أمير الأوقاف ورئيس المحكمة بحران

مدير البريد والتلغراف



مدير البريد والتلغراف

13. The Director of Post and Telegraph. The Director of Wakfs. The Chief of Court at Geddah.

حجوة ٢٠

سليمان بن عبد الله البسام



سليمان بن عبد الله البسام

14. Soliman ibn Abdulla el Bassam and Amir el Hag.

وكذلك تعرفنا بالطيب محمد حسين افندى نائب "قنصل" انجلترا للرايا
الهنود (أنظر الرسم^(١) ١٥) .

ما يلزم الحاج بجدة - يلزمه شراء النعال المشروعة للحرم وشراء
الشقادف التي توضع على ظهر الجمال ويركب عليها شخصان كل في عدل منها وثمان
الشقدف من ١٢٠ قرشا مصريا الى ٥٠٠ قرش ، والاختلاف في الثمن من الدقة
في الصناعة أو الزخرفة ، ولهذه الشقادف أعمدة توضع عليها الأغطية من طنافس
(أبسطة) عجمية أو ملاءات مصرية أو أخيشة كتانية يشتري كل مايناسب ثروته وثمان
(الكليم) العجمى من ١٣٠ الى ٣٠٠ قرش حسب الاختلاف في الشكل والصنعة .

وصف جدة بشكلها الحاضر - جدة (بضم الجيم وتشديد الدال المفتوحة)
بلدة كبيرة وميناء مكة العظيمة على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر واقعة على الدرجة ٣٦
والدقيقة ٥٠ من خطوط الطول الشرقية وعلى الدرجة ٢١ والدقيقة ٢٨ من خطوط

(١) لما كان لهذا الطيب ما ترجمه على الهنود الذين يحجون الى البيت الحرام رأينا أن نذكر في رحلتنا
كلمة عن حياته إنصافا للعاملين وتحليدا لذكرى المخلصين فنقول : هو محمد حسين ابن الشيخ عبد الله الطيب
الذى انتهى سلسلة نسبه الى سيدنا أبى بكر الصديق ولد بمدينة "الله آباد" فى سنة ١٨٦٣ وتلقى علومه
الأولية بين أسرته ، وحفظ القرآن وتعلم اللغة الأردية والفارسية والانجليزية وبرع فى ثلاثها ونال درجة فى علم
الطب والجراحة من كلية بنجاب فى سنة ١٨٩٠ وعين مساعدا جراحة فى الحكومة الهندية وأدار عدة
مستشفيات ثم عين نائبا لقنصل بريطانيا بجدة فأزال ما كان من سوء التفاهم بين البدو والقناصل ومنحته
حكومة الهند لقب "خان بهادر" سنة ١٨٩٨ ومن حسن سياسته آكتسب رضا عون الرفيق باشا
أمير مكة وأحمد باشا راتب واليا ، ولكنهما تقما عليه لما أن غرمهما ١٠٠٠٠ جنيه انجليزى عوضا عن
السرقات التى حلت بججاج الهنود وعن الخسارة التى لحقت التجارة الهندية ولكن ما لبث أن استمالها نحوه
حتى كان طيب الشريف من داء السكر الذى أصابه فى مرضه الأخير ، وقد طاف أنحاء أوروبا خمس مرات
وكل جهات آسيا عدا التبت والأفغانستان وبعض بلاد الغربيين وطاف فى بعض جهات أفريقيا ، وقد برح
جدة فى ابريل سنة ١٩٠٩ لاعتلال صحته فكث بانجارتا سنة وبمصر أخرى ثم استقال فى سنة ١٩١١ وأقام
فى (بالله آباد) منشئه وأسس فيها مدينا على الطراز الحديث كلفه ما يتوف على ٢٠ ألف جنيه - ملخص
عن كتاب بعث به إلينا فى ٢٥ مارس سنة ١٩١٤

العرض الشمالية يحيط بها سور ذو خمسة أضلاع يقطعها راكب الحصان بالسير المعتاد في ٤٥ دقيقة وارتفاع السور ٤ أمتار وبه تسعة أبواب، ستة في الجهة البحرية وثلاثة في الجهات الأخرى وأول من بناه السلطان الغوري من ملوك مصر في سنة ١٥٩١٥ .

وبها حوالي ٣٣٠٠ منزل مبنية بالحجر الأبيض المستخرج من البحر، ويتكوّن المنزل من طبقتين إلى خمس — والوجهات الامامية من البيوت بها الرواشن [الخارجات المسقوفة] المصنوعة من الخشب الهندي الأحمر المخروط (الرسم ١٦) . والبيوت العالية ذات الموقع الجميل والمنظر البهيج يسكنها أكابر البلد ووكلاء الدول التجاريون (القناصل) من روس وإنجليز وفرنسيين ونمساويين وإسويجيين ونروجيين، ومن أنغم بيوتها بيت السيد عمر السقاف الشريف السري (الرسم ١٧) . ومنزل المحافظ الذي تراه (في الرسم ١٨) وانه لآية في الإبداع وبه حديقة غناء . ويجتد محل للحكومة وثكنات للعساكر (الرسم ١٩) . ومكتب للإشارات البرقية وبناء نغم للمجلس البلدي والحجر الصحي (الرسم ٩ السابق) كما تجتد بالساحل بناء الجمر (في الرسم ١١ السابق) . وبها خمسة جوامع وثلاثون مسجدا مفروشة بالحصر الناعمة الجميلة النظيفة إلا أنها تكون مبللة عند رطوبة الجو وهي مرتفعة عن مستوى الشوارع بنحو ثلاثة أمتار، يصعد إليها بدرج منتظم من الحجر وليس بها بيوت خلاء ولا ميضآت، وبها حمام واحد ونزلان (لوكاندتان) وأربعون قهوة وصيدلية ومكتب تعليم راق وتسعة للصبيان ومستشفى ومصنع للحرير ومذبح وأربعون مخزنا تجاريا وتسعمائة دكان وآلة بخارية لطحن الحبوب وسبع وأربعون طاحونة ومثلها مخازن وعشرة مطابخ وسوق لبيع السمك وآخر للصدف ومكاتب للبريد وبها جبانة قريبة من ثكنات العسكر، يحيط بها سور يبلغ طول ضلعه الشمالية ١٦٠ مترا، وفي وسط الجبانة قبر أمنا حواء (المكذوب) طوله نحو ١٥٠ مترا وعرضه أربعة أمتار وارتفاعه متر، عليه ثلاث قباب على الرأس والسرة والرجلين كما يزعمون (الرسم ٢٠) .

وبجانبه كثير من الشحاذات يلتمسن الصدقات على نحر بسطنها أمامهن .



10. Doctor Mohammed Hussein, the British Vice-Consul at Geddah.

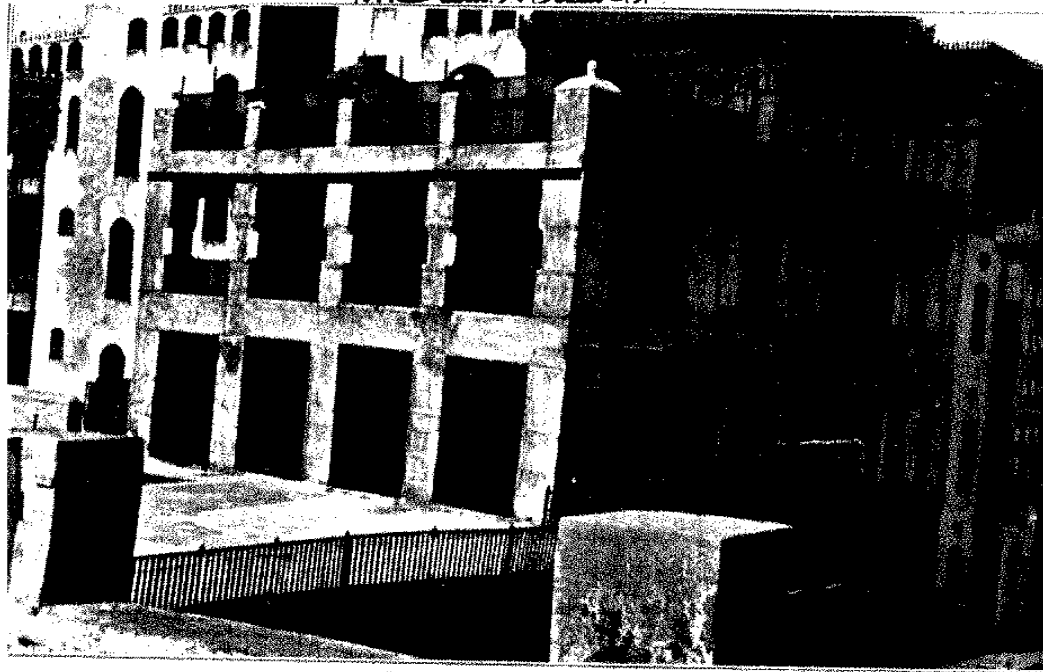
سِيمَنَّا لَجَدَّةَ الْمُشْتَمَلَةِ الرَّفِيعَةِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

16. Geddah with its splendid buildings and magnificent houses.

بنايات مكة المكرمة



بنايات مكة المكرمة

17. The house of El Sayed Omar el Sakaf in Gedda.

بنايات مكة المكرمة

بنايات مكة المكرمة



18. Palace of the Deputy Waly at Geddah.

وشوارعها مختلفة السعة من ٨ أمتار الى ١٥ مترا وحرارتها ضيقة وغير منتظمة .
وبجدة مجارٍ لتصريف مياه المطر الى البحر كما بها ٨٠٠ صهريج داخل البلد
وخارجها - معدة لخزن مياه المطر وبيعها في موسم الحج ولكنها الآن معطلة إذ ترد
المياه الى جدة من عين تبعد عنها مسيرة ساعتين ونصف وتسير في مجار مبنية تحت
الأرض حفرها المصلح عثمان نوري باشا والى مكة سابقا، وخارج البلد أيضا آبار
محفورة وأنايب في الأرض مركوزة تخرج منها المياه بالآلات الماصة (آبارارتوازية)
وبعض المياه عذب وبعضها به يسير الملوحة .

والمحمل يستورد مياه الشرب من أعذب الآبار بواسطة سقائين من جدة
يتقاضون أجرة وبقرب معسكره صهاريج مفعمة بالمياه يؤخذ منها عند الحاجة .
وبالمدينة مجلس بلدى أعضاؤه من الأهالى ومجلس للأحكام وقاض شرعى . وجميع
الأهالى مغرمون بشرب التبغ و(التبناك) والشاي والقهوة وبها كثير من الصبار يوضع
على القبور استرحاما للوتى .

سكان جدة - أهالى جدة خليط من أجناس شتى مكين ويمينين
وحضرميين (من حضرموت) وهنود وترك وشوام ومصريين وقصيريين (من القصير)
وعدددهم حوالى ٢٥ ألف نسمة ويبلغ من فيها في موسم الحج خمسين ألفا الى ستين
ويتمزجها من الحجاج كل عام نحو ١٢٠ ألف حاج .

تجارتها - جدة مرفأ مكة التجارى بل هى مرفأ الحجاز المهم لذلك ترى
ميناءها مملوءا بالسفن التجارية كما تراه (في الرسم ٨ السابق) .

ويرجع اتخاذها مرفأ تجاريا لمكة الى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى
الله عنه فانه في سنة ٢٦هـ أعتمر من المدينة وأتى مكة فسأله أهلها أن ينقل ساحل مكة
القديم من الشعبية (جنوبى جدة الآن) الى جدة لقربها من مكة، فخرج بنفسه الى
جدة وراها واغتسل من البحر وقال: إنه مبارك وقال لمن معه: ادخلوا البحر مغتسلين^(١)

(١) فليس الاستحمام في البحر الملح ومعرفة فوائده من مبتكرات أوروبا وإنما سبقهم الى ذلك ثالث

الخلفاء عثمان بن عفان رضى الله عنه .

ولتكونوا مؤثرين ، ومن ذلك الوقت استمرت جدة ميناء مكة الى اليوم ، وتأتى اليها التجارة من مصر وسواكن وزنجبار والصومال والهند وجاوة والروملى والأناضول وسوريا وبلاد المغرب والعراق والبحرين ومسقط واليمن وأوربا وآسيا وغيرها ، ومن أصناف التجارة البن والصمغ العربى وأنواع الروائح وريش النعام واللؤلؤ والصدف والمرجان ودهن البلسان ودهن الورد ، وترد اليها الحنطة والأرز والصابون والسكر من مصر وسن الفيل والأرز الهندى وعدد الجمال من الهند ، وقد بلغت رسوم الواردات فى سنة ١٣٠٢ هـ ٦٣٧٩١٦ قرش عثمانى و٣٦ باره .

السفر من جدّه الى مكة

قبل المغرب بساعة من يوم ٢٣ ذى القعدة سنة ١٣١٨ (١٤ مارس سنة ١٩٠١) تحرك ركب المحمل من جدة ميمما مكة وقد حيته فرقة من الجند العثمانى برآسة « القائمقام » خالد بك وشيعة أهل جُدّة الى أبعد من ميل ، وقد جدّ بنا السير حتى بلغنا بَحْرَة لتمام الساعة العاشرة العربية ليلا وبتنا بها على مقربة من قلعتها التى يربط بها بعض الجنود ، وفى منتصف الساعة التاسعة من يوم ٢٤ تابع المحمل سيره الى أن وصلنا الى قهوة البوغاز أو البستان فى الساعة السابعة ليلا فاسترحنا بها الى منتصف الساعة الثانية عشرة ثم ارتحلنا فوصلنا مكة لتمام الساعة الأولى من صباح يوم ٢٥ ذى القعدة .

والطريق بين جدة ومكة واد رملى إلا فى موضعين منه حيث يوجد حصا صغير الحجم وكبيره ولكن ذلك لايشغل من الطريق إلا حوالى نصف ميل ، وقبيل مكة بنحو أربعة أميال تجد مدرجا حجريا مرتفعا قليلا ثم بعده يستوى الطريق وإن كان حجريا تكثرفيه التعريجات حتى ينخيل الى الرأى أن الطريق سدّ لاقتراب الجبال المواجهة وهو صالح لمدّ القضبان الحديدية به والوادي يحفه من الجانبين الجبال والتلال المتشابهة الضارب لونها الى السواد والنابتة فيها الأشجار وهى تارة نتقارب فيضيق الوادى وتارة نتباعد فيتسع ، وبالطريق بضع عشرة قهوة لراحة الحجاج وتقديم الشاى

والقهوة لهم ، وبه جملة قلاع ذات اليمين وذات الشمال يقيم بها جنود أترك ، وبه أماكن أخرى يقطنها عساكر الشريف غير النظامية وهؤلاء الحراس وجدوا للحفاظ على الأمن بالطريق ولكنهم كما سمعت لا يفارقون أماكنهم لرد الغارات والضرب على أيدي اللصوص وقطاع الطريق ولو كان ذلك بمرآى منهم ومسمع إلا إذا أمرهم الوالي وأين هو منهم . وكثيرا ما سلب الحجاج أمتعتهم إذا تأخروا عن القافلة لإصلاح الأحوال أو قضاء بعض الضرورات ، وإذا ما سئل هؤلاء الحراس لماذا لا تقومون بالواجب قالوا (أمر يوك) أي ليس عندنا أمر - فما أقبح العذر . وقد كانت العساكر تؤدى للحمل التحية العسكرية عند مروره بها وتديره الطريق بحرق كومات من الأخشاب تباعا وضعت فوق آكام مرتفعة وجمعت لهذا الغرض وكنا نسير على ضوئها نحو ألف متر .

وقد رأينا أن نصف لك بالتفصيل الطريق من مكة الى جدة وما فيه من القلاع والقهاوى والانحراف والاستقامة حسب ما جاء في رحلة سنة ١٣٢٠ إذ هو أوفى وأبين فنقول :

في يوم الجمعة ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٢٠ في الساعة الثانية العربية نهارا بدأنا السير من جدة على أرض سهلة بين نشوز رملية ناحين نحو الجنوب الشرقى على ١١٠° مدة ٢٠ دقيقة وإذ ذاك تباعدت التلال وأتسع الوادى وما زال السفر يجد بنا الى أن وصلنا الى « رأس القائم » فى س ٥ وق ٢٥ وهناك وجدنا مخفرا به جملة عساكر نظامية مع بعض الضباط كما وجدنا قهوة يباع بها الشاى والقهوة فى زمن الحج ، كسائر القهاوى التى على هذا الطريق وتابعا السير فوصلنا الى « الرغامة » بعد س ٦ . وهناك على نشز من الأرض قلعة بها بعض الجنود وقهوة ، وقد وقفنا بالرغامة لحظة قدم لنا فيها الماء البارد تحية مباركة ، ومن هذه القلعة تغير اتجاهنا فسرنا مشرقين على ٩٠° وإذ ذاك أخذت الجبال تقترب منا تارة وتبتعد أخرى فيضيق الوادى ويتسع ما بين ١٨٠ مترا الى ٣٦٠ بالتقريب ثم تغير الاتجاه الى الجنوب الشرقى فسرنا على ١١٠° الى أن وصلنا الى موضع يدعى « جرادة » فى س ٧ وق ٤٥ .

وبه قهوة متسعة مبنية بالحجر ومسقوفة، وعلى نحو ١٠٠ متر منها يوجد بئران مأوئها فيه شيء من الملوحة - سقينا منهما الخيل والبغال وأسترحنا ٥٥ ق وواصلنا السير في س ٨ وق ٤٠، وعلى نحو ١٠٠٠ متر وجدنا على اليسار «قلعة الكثانة» على مرتفع من الأرض كسائر القلاع في الطريق وبها ضابط وعشرون جنديا، ومن هذه القلعة كانت الأرض محصبة مسافة ميل بالتقريب . وفي الساعة ٩ والدقيقة ٢٠ تغير اتجاهنا الى الشمال الشرقى فسرنا على ٧٥° ووصلنا الى «قلعة الكثانة» الثانية في س ٩ وق ٣٠ وبها ضابطان ونمسون جنديا والماء بعيد عنها بمسافة تستغرق ساعة ونصف بل الماء بعيد عن كل القلاع إلا ما ندر ويوجد بها قهوة، ومن هذه القلعة تغير اتجاهنا الى الجنوب الشرقى على ١٤٠° ولتمام الساعة العاشرة مررنا ببرج «القلعة البيضاء» وهو على اليسار به رئيس العشرين (جاويش) و ٢٥ جنديا وفي س ١٠ وق ١٠ آجتزنا برجا صغيرا على اليمين به بعض العساكر، وفي س ١٠ وق ٤٥ وصلنا الى «قلعة العبد أو قلعة سالم» وهي على اليمين وبها أربعون جنديا وقهوة وعلى مقربة منها بئر تسمى بئر البجادية ، ومن هذه القلعة أنفسح الوادى وتغير الاتجاه الى ١٠٠° وقد وصلنا الى قلعة «التدين» س ١١ وق ٣٠ وبها ١٥ جنديا و «جاويش» وهي على اليسار على أكمة مرتفعة وهناك الأراضي رملية صالحة للزراعة وفيها مراعى ومن هذه القلعة تغير الاتجاه الى ٧٠° وبلغنا قرية «بحرة» في س ١٢ أى وقت المغرب وإذ ذاك أخذت منظر المعسكر كما تراه (في الرسم ٢١). وبحرة وتسمى بحرة الرضاء على يسار الميم مكة وبها أكواخ حقيرة وحظائر للابل وقهاوى ومسجد صغير بمئذنة بنى أصله النبي صلى الله عليه وسلم منصرفه من غزوة الطائف سنة ثمان ووصل فيه كما جاء في سيرة ابن هشام وفيها عقب ذلك . قال ابن اسحاق : فحدثني عمر ابن شبيب أنه أقاد يومئذ ببخرة الرضاء حين نزلها بدم، وهو أول دم أقيده في الاسلام رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل فقتله به . اه . ولكن في زاد المعاد في هذه خير العباد في غزوة الطائف ما يأتى :

منظر ركاب المحمل في محطة البحرين

امير الحج محرم وجالس فوق اجولة البقساط وعلى يساره الضوئي حاملا الآلة الفوتوغرافية جالسا على ركبته والواقفون الحرس

منظر ركاب المحمل في محطة البحرين



21. The Mahmal at Bahrah, the first station between Geddah and Mecca

منظر محطة بحره وبها مسجد علي النبي صلى الله عليه وسلم

البناء المرتفع قلعة بحره وهي اكبر القلاع واقواها قوذة بين جده ومكة وهي على عين الناظر الى الرسم وما بأسفله زريبة من عيدان الاتجار

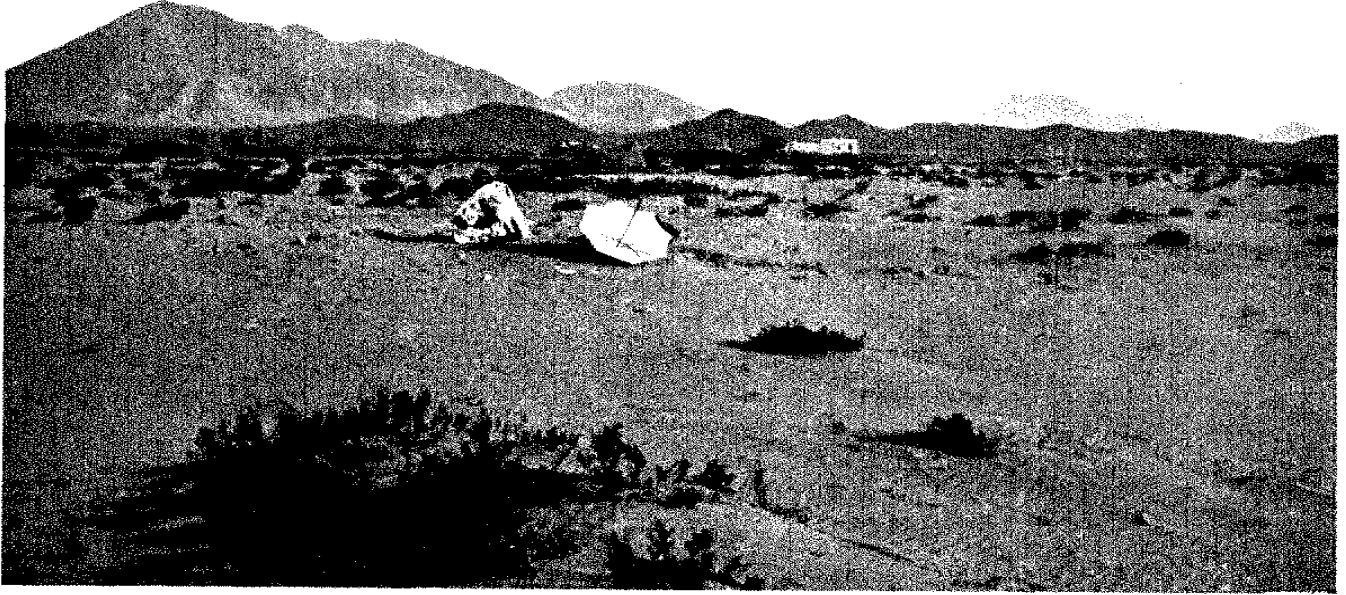
منظر محطة بحره وبها مسجد علي النبي صلى الله عليه وسلم



22. Bahrah and mosque where the Prophet Mohammed prayed

منظره وبمسجد قديم

امير الحج محرم وخلفه مظلة بيضاء والتجر الاسود شجر الحرمل



23. Heddah and an old Mosque.

العين بالشميسي بالقرب من الحديبية

مبنى العيون بالشميسي بالقرب من الحديبية



25. Two landmarks at the outskirts of the Haram at Shumaisi.

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف الى الجعرانة ثم دخل منها محرما بعمرة ففضى عمرته ثم رجع الى المدينة . اه .

والطائف في الجنوب الشرق لمكة والجعرانة بينهما لكنها أقرب الى مكة فكيف يتفق مع ذلك أنه مرّ ببخرة منصرفه من غزوة الطائف مع أنها غربي مكة ولا تقل المسافة بينهما عن ثلاثين ميلا ، وبين الجعرانة ومكة حوالى عشرة أميال ، إنا لذلك نقف موقف الشك فيما رواه ابن هشام ونقله عنه كثير من المؤرخين حتى يأتينا اليقين . ويتفرع من بحرة طريق آخر الى مكة يسير نحو الجنوب الشرقى ويقول الخبيريون : إنه أقرب إليها وأسهل من طريقنا لقلة التعاريج به . وببحرة جملة قهاو وقد بتنا بها ليلة السبت غرة ذى الحجة سنة ١٣٢٠ وارتحلنا منها فى س ١٢ آخر الليل ورأينا على يسارنا قلعة بحرة على نحو ميل من القرية وهى أكبر القلاع وأمتنها وبها ثلاثة ضباط و ١٠٠ جندي ، ولتمام الساعة الثانية العربية نهرا مررنا «ببئر أم القرون» وهى على اليسار مبنية بالحجارة وعمقها ١٠ أمتار لها أربعة أعمدة تدور عليها أقطاب البكر التى ترفع بها الدلاء ، وماء هذه البئر عذب فرات ، وفى منتصف الساعة الثالثة وصلنا «حدّة»^(١) (بالحاء المهملة) وهى بلدة صغيرة على اليسار بها حصن ومسجد ذو مئذنة وعين ماء حلوة وبئران على يسار الطريق وبها نحو ٦٠٠ نخلة يملكها عون الرفيق باشا شريف مكة كما قيل لنا ، ورسم حدّة تراه فى (الشكل ٢٣) وفيه تجد بالأرض شجر الحرمل وأشجارا أخرى صغيرة مختلفة الأجناس وترى أمير الحج جالسا على مقربة من شمسية ألفت بها الرياح . وكان المحمل يبيت أولا بحدّة ثم عدل عنها الى بحرة لما أن تعدى أهلها عليه . وفى ختام الساعة الرابعة مررنا ببرجين على اليمين فوق جبل هنالك بينهما نحو ٣٠٠ متر وبهما ضابط و ٤٠ عسكريا ، والقوة بالبرجين مؤقتة تحضر وقت مرور القوافل فقط ثم ترجع الى مستقرها بقلعة الشميسى ومن هذين البرجين تغير الاتجاه الى ١٤٥° وضاق الطريق وعند الساعة الرابعة والثالث باغنا قلعة الشميسى وهى شامخة البناء وبها

(١) ويسمونها قديما حداء - قال أبو جندب الهذلى :

بغيتهم ما بين حداء والحشا * وأوردتهم ماء الاثيل فاصما

ضابطان و ٥٠ جنديا ، والطريق لديها متسع وسهل غير أن الجبال اليمنى قريبة منه وإن كانت تنأى بعد ذلك ، وبقرب القلعة قهوة وبعض أكواخ وبالشميسى مسجد يسمى (مسجد الشميسى أو مسجد البيعة) وهو على اليسار مربع الشكل طول ضلعه ١٥ مترا ومبنى بالحجر الأزرق بناء متينا ومخصص وبه ثلاثة أروقة (بواكى) وقبلته مكتوب فيها : هذا مسجد بيعة الرضوان مأثرة من مآثر حبيب المنان عمره المليك الى رحمة الرحمن : المغفور له السلطان محمود خان سنة ١٢٥٤ هـ . وهذا المسجد موضع الشجرة التى بايع عندها الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان عام الحديبية وأنزل الله تعالى فى تلك البيعة (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وبالشميسى بئر عمقها ١٠ أمتار بالتقريب مبنية بالحجر وماؤها مقبول . ومنها تغير الاتجاه الى ١١٠° وفى الساعة الخامسة نهارا وصلنا الى العلمين ومنها يتبدى الحرم من الجهة الغربية وهما عمودان مبنيان بالحجر ومخصصان مربع الشكل سمك كل منهما متر وارتفاعه أربعة أمتار وبين العلمين مسافة ٥٠ مترا ويجوار العلم الشمالى بئر مبنية بالحجر سمك حائطها ١,١٠ متر وقطرها أربعة أمتار وعمقها نحو ١٥ مترا ويجوارها مشرب (سبيل) مبنى بالحجر بناء متينا ومكتوب عليه أبيات باللغة التركية بخط جميل وتاريخ بنائه سنة ١٢٦٣ و بجانبه شجرة من السدر (النبق) ، ويجاور العلمين تلال رملية وتجد (فى الرسم ٢٤) أمير الحج مرتديا لباس الإحرام على يمينه مسجد الحديبية وتجد فى الرسم ٢٥ أحد العلمين واضحا تمام الوضوح . وفى الساعة السادسة رأينا الجبال نتدانى وتغير الاتجاه الى ٧٥° أى الى الشمال الشرقى ، وبعد ثلث ساعة وصلنا الى قهوة العبد (أو البزم أو سالم أو البوغاز) وأسترحنا بها ثلثى الساعة ثم سرنا وتغير اتجاهنا عند الساعة ٨ الى ٩٠° ومررنا بعد ١٠ دقائق «بقلعة المقتلة» وهى على اليمين بها حراس نظاميون وتحتها بئر مطوية بالحجر وعمقها حوالى ٢٠ مترا وعليها دعامتان لوضع محور البكرة عليهما ، ولها ثلاث درجات يقف عليها من يخرج الماء منها وماؤها عذب غزير ، وعند س ٨ وق ٢٥ تغير الاتجاه الى ٥٠°



24. The Mahmai and the Director of the Pilgrimage caravan in his Ihram dress.

وبعد ثلث ساعة تغير الى ٧٠° ، وفي س ٩ مررنا بقلعة (أم الدود) على يميننا وأمامها بئر كسابقتها . وعند الساعة ٩ وق ١٠ تغير الاتجاه الى ٩٠° وأدركنا «قهوة البستان» في س ٩ وق ٢٥ ولديها شجرة سدر . وبعد ربع ساعة مررنا ببلدة الشريف حسين على يميننا وإذ ذاك أخذ الاتجاه ١٣٥° وبعد خمس دقائق اجترنا بيت السيد بن اسحاق شيخ السادة سابقا وهو على اليسار يبعد عن جادة الطريق حوالى ١٤٠ مترا ومن خلفه بمائة متر قبور الشهداء ، وفيها قبر عبد الله بن عمر الفقيه الكبير والمحدث الجليل والأثرى العظيم رضى الله عنه وعن أبيه أمير المؤمنين ولكن في كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة أن عبد الله بن عمر دفن بالمحصب ، وقيل : بذي طوى ، وقيل : بفتح ، وقيل : بسرف ، وفي كتاب شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام للثقي الفاسي أنه دفن في مقبرة صديقه عبد الله بن خالد بن أسد عند تنيئة أذخر وهي في الطرف الشرق للمحصب ، وذلك حسب وصيته لصديقه وكل هذه الأماكن بعيدة عن مقبرة الشهداء التي زعموا أنه دفن فيها . وعند س ١٠ أخذ الاتجاه ٩٠° ودخلنا مضيقا يسع قطارين أو ثلاثة من الجمال قطعناه في دقيقة ثم انفرج الطريق . وفي س ١٠ وق ١٥ أخذ الاتجاه ١٥٠° مسافة قليلة وأدركنا «قهوة المعلم» ولديها وقف الركب أمام المضيقة «المسافر خانة» التي بناها السلطان عبد الحميد للفقراء وتبعد عن مكة بنحو ميل . ومن هنا نرجع بك الى حج سنة ١٣١٨

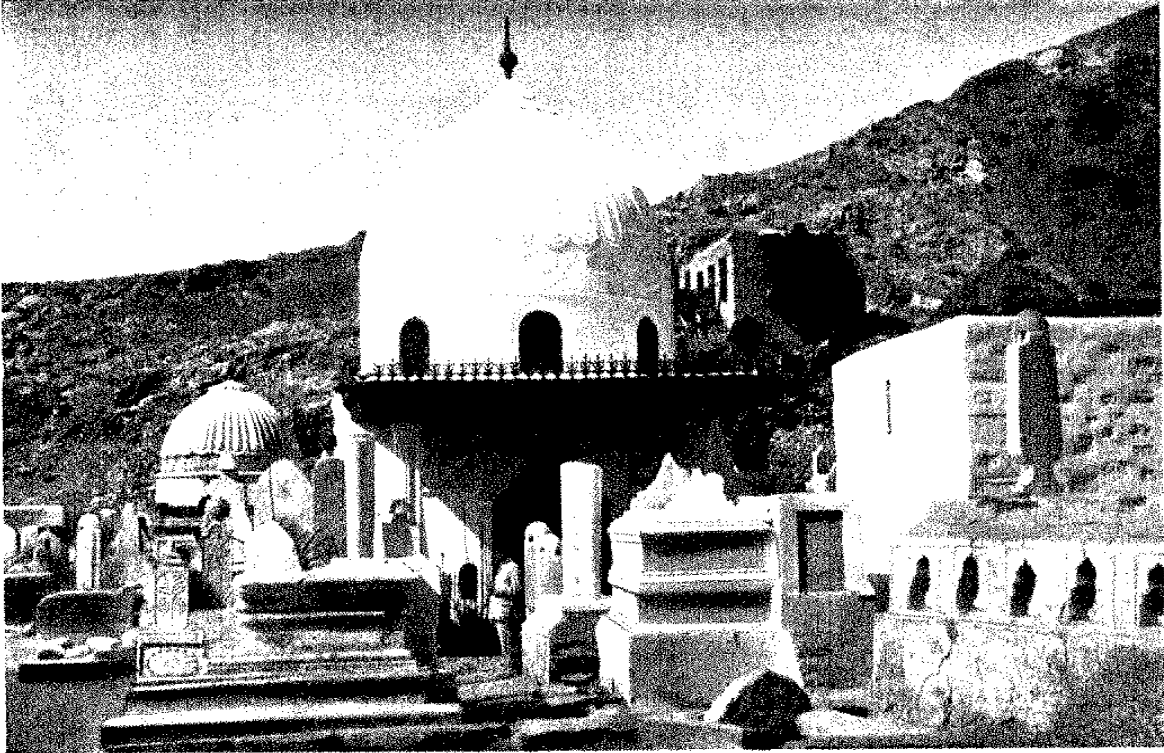
قلنا فيما سبق : أن المحمل وصل الى المضيقة في الساعة ١ صباحا من يوم ٢٥ ذى القعدة سنة ١٣١٨ وهناك وجدنا المطوفين ينتظروننا وقدموا لنا هدايا من البطيخ والرمان وماء زمزم ، فأكلنا وشربنا حامدين الله شاكرين ووجدنا على مقربة من المضيقة مندوبين من قبل الشريف والوالى أحدهما ضابط والآخر ملكى حضرا لهنتة الأمير وركبه بالقدوم من السفر وكان يصحبهما شزيمة من الجنود، وقد تحرك المحمل من هذا المكان بعد أن خلع لباس السفر وارتدى حله القصية يتقدمه ثلة من الفرسان والموسيقى والمزمار البلدى يطربان بنغمهما الحضور والمستقبلين الى أن

وصل الى مقامه المعتاد بجهة جرول أو الشيخ محمود المجاور لحديقة عون الرفيق باشاء، وهناك نصبت الخيام بعد إزالة ما بالأرض من حجر ومدر وعرف كل مكانه وعين الجنود الذين يقومون بالحراسة .

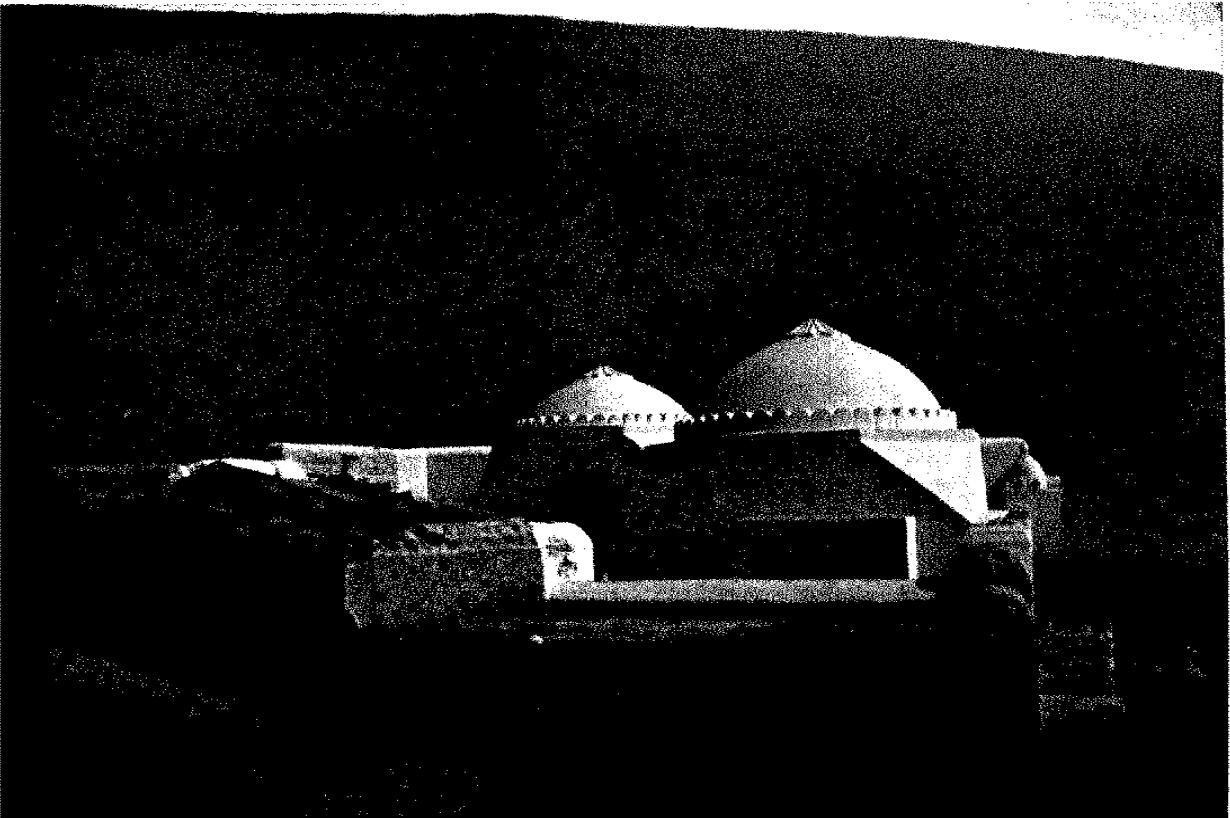
دخول مكة

بعد أن ألقينا عصا التسيار بجهة جرول غربى مكة واتخذنا منها مقاما محمودا أمنا فيه على أمتعتنا هممنا بدخول مكة لأداء طواف القدوم تحية البيت الحرام فاغتسلنا جميعا من بئرذى طوى اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه نزل في حجة الوداع بذى طوى المعروفة بآبار الزاهر وبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذى الحجة سنة ١٠ وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض الى مكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى سياق حجته (أنظر المعسكر فى الرسم ٢٦) ترى به سطح المكان القائم على البئر، وبعد اغتسالنا دخلنا مكة من الطريق المعروف بطريق الحجون وهو طريق ثنية كداء التى دخل منها النبي صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع (أنظر الثنية فى الرسم ٢٧) والثنية كما تراها فى الرسم طريق حجرى مرتفع الوسط فى شمال مكة واقع بين جبلين على كل منهما برج بناه الشريف غالب فى سنة ١٢١٤ اتقاء لسعود بن عبد العزيز الوهابى الذى جاء للحج فى تلك السنة ومعه من قومه أمثال الرمال ومن الثنية يهبط المرء الى المعلاة مقبرة أهل مكة ويشقها الطريق شقين عن اليمين وعن الشمال ويحيط بالمقبرة سور قديم مبنى بالحجارة وبها قبور كثير من الصحابة، وبالشق الأيسر قبة شاهقة

(١) قد جاء فى كتاب منتخب شفاء الغرام طبع أوربا أنه فى سنة ٨١١ سهل بعض المجاورين موضعا مستصعبا فى رأس الطريق وسهل أيضا بعض مجاورى مكة فى النصف الثانى من سنة ٨١٧ طريقا فى هذه الثنية غير الطريق المعتادة بل على يسارها بطن منها الى المقبرة والأبطح كانت ضيقة جدا فنحت ما يابها من الجبل بالمعاول حتى اتسعت فصارت تسع أربع قطائر من الجبال المحملة وكانت قبل ذلك لاتسع إلا واحدة وسهلت أرضها بتراب ألقى فيها حتى استوت ورجب الناس فى سلوكها عن الطريق المعتادة وجعل بينهما حاجز من الحجارة المرصوفة ثم جعل سودون المحمدى رئيس العمائر بالمسجد الحرام سنة ٨٣٧ هذين الطريقين طريقا واحدا فردم الطريق الحديدية المنخفضة عن القديمة بنحو قامة حتى سواها بالأولى وجماعهما طريقا واحدا يسع عدة قطائر، والحجون هو الجبل الذى فيه الثنية وهو المذكور فى شعر مضاى بن عمرو الجهمى .



28. The dome of El Sayyida Khadija in El Maalla at Mecca,



29. A view of the domes of the grandfathers of the Prophet, Abdel Motaleb Abd Manaf, and his uncle Abu Taleb

قبة السيدة خديجة بمكة المكرمة

قبة الجدات عبد المطلب وعبد المطلب

على قبر السيدة خديجة^(١) أم المؤمنين رضى الله عنها كما ترى في الرسم ٢٨ وبه أيضا قبر زعموا أنه لآمنة أم الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا أقراء والحقيقة أنها مدفونة بالأبواء بين المدينة ومكة على نحو ١٣ ميلا من رابغ . وبه أيضا جملة قباب^(٢) قيل لنا : إنها على مقابر عبد مناف وعبد المطلب وهاشم أجداد النبي صلى الله عليه وسلم

(١) وهى زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وأول من آمن به وقد واسته بما لها ونفسها وتزوجها صلى الله عليه وسلم وسنها ٤٠ سنة وسنه ٢٥ ولم يتزوج عليها غيرها حتى توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين وهذه القبة بنيت في سنة ٩٥٠ بالبحر الشميسى بمعرفة الأمير الشهيد محمد بن سليمان الجركسى أمين الدفاتر (دفتردار) بمصر فى ولاية داود باشا نائب السلطان سليمان القانونى ، وكان على القبر قبل القبة تابوت خشبي وقد جعل محمد ابن سليمان المذكور لخادم القبر مرتبا من صدقات السلطان سليمان ولكننى رأيت على القبة تاريخ سنة ١٢٩٨ فيظهر أنها جددت بعد سنة ٩٥٠

(٢) مما لا ريب فيه فى شرعتنا الاسلامية أن إقامة القباب على القبور محرمة بل ما هو دون القباب فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليا رضى الله عنه أن لا يدع قبرا مشرفا إلا سواء بالأرض ولا تماثالا إلا طمسه — رواه النسائي — ومع هذا الحظر القطعى أكثر المسلمون من إقامة القباب فوق قبور من اعتقدوا فيهم الصلاح تقربا اليهم وإعظاما لهم وإشادة بذكرهم ويعلم الله أن الذكرى إنما هى بالأعمال الطيبة لا بالأبنية المشيدة وأن هؤلاء الموتى أحب الأشياء اليهم أن يؤتى بهم فى أعمالهم وأخلاقهم فإن ذلك ينفعهم فى أجدانهم إذ لهم مثل أجر من عمل بعملهم ثم اذا كان الباعث على إقامة القباب ما ذكرنا من اعتقاد الصلاح والتقوى فلماذا نقيمها على قبر أبى طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد دعاه الى الاسلام فأبى حتى لفظ نفسه الأخير وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لعله تنفعه شفاعتى فيوضع فى ضحضاح من نار) — الضحضاح — اليسير .

اللهم إني لا أظن سببا لإقامة القباب فوق قبور هؤلاء إلا قرابتهم من الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن القرابة وحدها غير منجبة إذ لو أنجى قريب قريبه لنجى نوح ابنه ، وإبراهيم أباه ، ولوط زوجه ، وآسية فرعون ومحمد صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب ولكن لم ينفع هؤلاء أولئك لأن الانسان بأعماله لا بأعمال غيره (وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى) والتفاضل إنما هو بالتقوى لا بالقرابة (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) فتى يتفقه المسلمون فى دينهم ويأتسون بنبيهم ويدعون هذه الخزعبلات وتلك الترهات التى أحرقت بديننا وأمتنا وتركنا مثلا سيئا فى الآخرين فاللهم اهد قومنا الى سواء السبيل .

وكذلك قبة على قبر عمه أبي طالب تراها في (الرسم ٢٩) وفي (الرسم ٣٠) صورة عامة لمقبرة المعلاة وكذلك في (الرسم ٣١) .

وقد زرنا هذه المقابر وقت مرورنا بها ثم سرنا الى سوق البلد ثم الى المسجد الحرام وهو على مسير نصف ساعة من معسكرنا وقد دخلنا المسجد من باب بنى شيبه المعروف بباب السلام وهو في الجهة الشمالية الشرقية ، وعند رؤية الكعبة رفعنا الأيدي متضرعين الى الله وكبرنا وقلنا : اللهم أنت السلام ومنك السلام حينما ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه أو أعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا - وقد سمع هذا الدعاء سعيد بن المسيب عن عمر رضى الله عنه يقوله ، ثم أتجهنا الى باب بنى شيبه الذى بداخل المسجد عند مقام ابراهيم وهو باب المسجد الأصيل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ويعرف بباب بنى عبد مناف ومنه دخل فى حجة الوداع وقد دخلنا منه آقتداء برسولنا عليه الصلاة والسلام وقلنا ساعة الدخول كما قال : (رَبِّ اَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَاَخْرِجْنِيْ مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاَجْعَلْ لِيْ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا . وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبٰطِلُ اِنَّ الْبٰطِلَ كَانَ زُهُوْقًا) وإن ذلك لمكتوب فى أعلى الباب بالخط الجميل المذهب ، والباب عبارة

(١) وتسمى أيضا مقبرة الحجون وفيها يقول كثير بن كثير السهمي :

عيني جودى بمسيرة أسراب * من دموع كثيرة التسكاب
إن أهل الحصاب قد تركوني * موزعا مولعا بأهل الحصاب
كم بذاك الحجون من حى صدق * وكهول أعفة وشباب
فارقوني وقد علمت يقينا * ما لمن ذاق ميتة من إياب

والحصاب : المراد به المحصب وهو موضع الحجارة بمبنى - وفى يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الثانى سنة ١٠٨٦ .
شرح الشيخ محمد على بن سليمان الوزير الذى حضر من اليمن فى هدم قبور المعلاة وبني مقبرة خاصة ذات جدران ربيع وقسمها تقسيم الشطرنج وجعلها ذات بايين وهتك بذلك حرمة الأموات . وفى هذا يقول الشاعر :

تكفل ابن سايات أذية من * قد وحد الله من حل فى الحرم
فحين عم الأذى الأحياء منه غدا * مفتشا لأولى التوحيد فى الرم
طريقة من شقاء ما تناقلها * أهل التواريخ من عرب ومن عجم

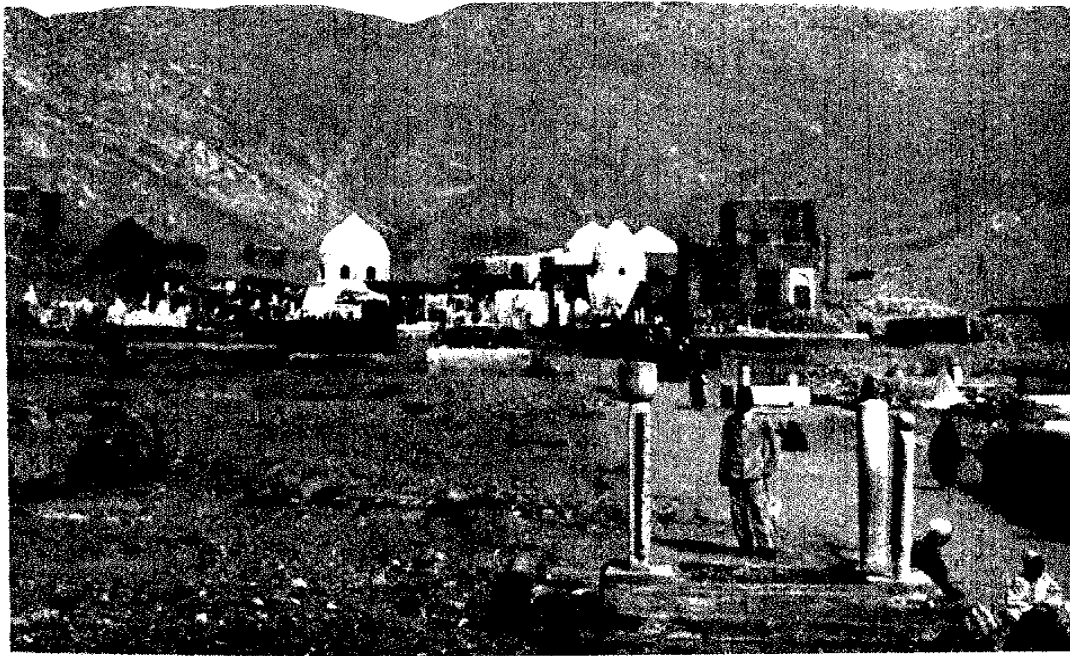
وكان محمد هذا من أولع بتنظيم مكة ومناسك الحج .



مقبرة والمعالي والكرامات

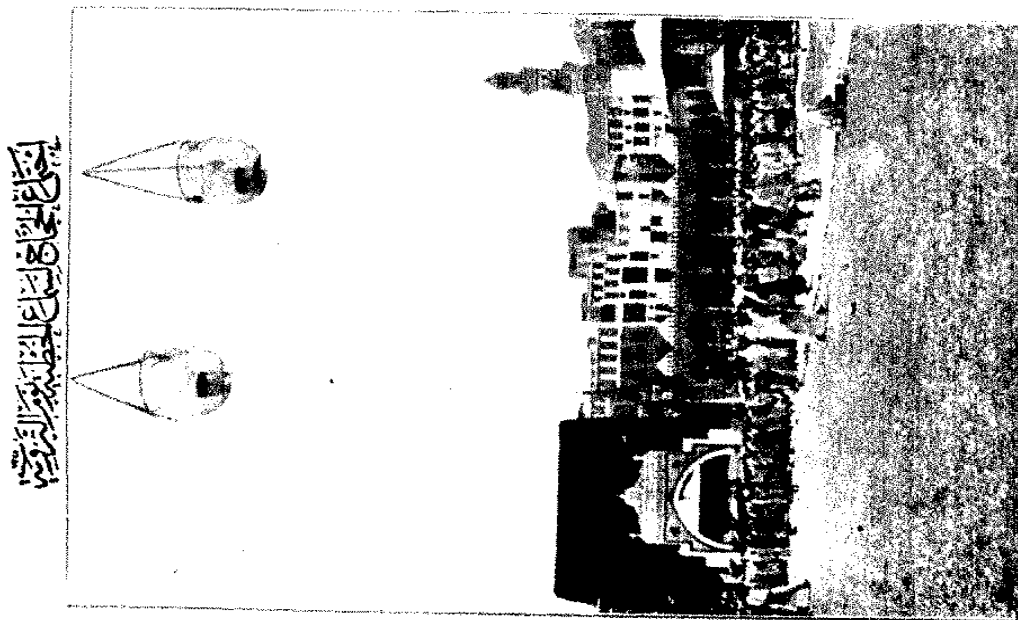
30. A view of the Tomb El Maalla in Mecca.

المعاني والآثار الكبار والمنشآت والاماكن المشرفة منا



القبور المشرفة في المدينة المنورة

31. The Medina showing the graves of El Sayyida Khadijah, El Sayyida Amnah, and the ancestors of the Prophet, Abdel-Mottalib and Abd Manaf.



الاجتماع في يوم النحر

الاجتماع في يوم النحر

32. The meeting of the Pilgrims to attend the speech of the day of El-Tarweya

الكعبة العظيمة والمسجد الحرام في مكة



33. The Kaaba in the Mecca Mosque.

وقد انزل الله الطبع والنسخة في سنة ١٢٧٠ هـ في مكة المكرمة
اللؤلؤة التي هي راسنا الميراث في حرم المصطفى

عن قائمين يعلوهما عقد مستدير أتقن صنعه، وعرضه أربعة أمتار. أنظر (الرسم ٣٢) الذى أخذت صورته فى يوم التروية ثامن ذى الحجة سنة ١٣٢٥، وقد آجتمعت الحجاج بالمسجد الحرام لسماع خطبة المناسك. ثم وقفنا متجهين الى ناحية الكعبة الجنوبية التى فى ركنها الشرقى الحجر الأسود وفى طرفها الغربى الركن اليمانى، وبدأنا من عند الحجر بطواف القدوم (طواف التحية) بعد أن قبله من قدر ولمسه من لم يقدر وأشار إليه من لم يتمكن من أحدهما، وقال الجميع: بسم الله والله أكبر، وقد جعلنا البيت عن يسارنا فى الطواف حوله، وكان طوافنا من وراء الحجر (الحطيم) وكان سبعة أشواط رملنا (أسرعنا) فى الثلاثة الأولى منها وسرنا فى الباقى سيرنا المعتاد آقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، اذ روى أبو داود والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما. قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة فى حُمْرة الفِضِيَّة فقال المشركون: إنه يقدّم عليكم قوم قد أوهنتهم — أضعفتهم — حتى يثرب — المدينة — ولقوا فيها شراً فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فأمر أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة الأولى، ولم يمنعه أن يلزمهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم، فلما رأوهم قالوا: هؤلاء الذين ذكرتم أن الحمى قد أنهكتهم، هؤلاء أجلد منا وكذلك فعل هو وأصحابه فى حجة الوداع فكان ذلك سنة، وترى فى (الرسم ٣٣) الحجاج وهم يطوفون حول الكعبة وقد لبست كسوتها السوداء وأتررت بإزارها الأبيض والواجهتان الظاهرتان بالرسم من الكعبة الواجهة الشمالية التى فى أعلاها ميزاب الرحمة الأبيض وأمامها حجر اسماعيل على شكل نصف دائرة، والواجهة الغربية وترى على يمين الكعبة فى الرسم مصلى إمام المالكية، ومصلى إمام الحنبلية على شكل مظلة قائمة على أربعة أعمدة وعلى يسارها مقام إبراهيم من خلفه باب بنى شيبة، والجزء الأبيض الذى بين المقام وزمزم جزء من بناء زمزم الذى يصلى عليه إمام الشافعية، والمظلة ذات الطبقتين التى على اليسار مصلى إمام الحنفية وترى فى الرسم أعمدة المطاف على شكل دائرة كما ترى أعمدة الأروقة بعقودها وقبابها وكذلك به بيوت الأشراف الفخمة، والجبل

الذى على اليسار جبل الخندمة والذى على اليمين جبل أبى قبيس فوفه مسجد إبراهيم القبيسى . وبعد الطواف أتينا الملتزم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود فى الجهة الشرقية ووضعنا عليه صدورنا وتعلقنا بأستار الكعبة وابتهلنا الى الله أن يعافينا فى ديننا ودنيانا وقلنا ما خطر بنفوسنا من الرغبات الصالحة والأمانى المشروعة ثم ركعنا ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام عملا بقوله تعالى ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ ﴾ ثم أتينا زمزم فى الجنوب الغربى لباب بنى شيبه بداخل المسجد وشربنا منها وتصلعنا ، ثم خرجنا من المسجد من باب الصفا فى الجنوب وقصدنا الصفا وهو مكان مرتفع نحو مترين طوله ٦ أمتار فى عرض ٣ وصعدنا اليه بدرج منتظم وهناك استقبلنا البيت وهللنا وكبرنا ودعونا ثم نزلنا منه الى شارع السعى شرق المسجد فسرنا فيه نحو ٧٠ مترا واذا بالميلين الأخضرين (العلمين) أحدهما على اليمين بجائط بيت وثانيهما على الشمال بجوار باب المسجد الحرام المسمى (باب بازان) ومنهما هرولنا واضعين أيدينا على صدورنا الى الجانبين الى أن قطعنا ٧٥ مترا واذا بالميلين الآخرين أحدهما فى الميمنة فى حائط والآخر فى الميسرة بجذائه أمام باب المسجد الحرام المسمى بباب على ، ومن هذين العلمين مشينا مشينا المعتاد ٢٤٠ مترا فوصلنا الى المروة وهى أشبه بالصفا (سيأتى الكلام مفصلا على الصفا والمروة) وقد صعدنا إليها وهللنا وكبرنا فكان ذلك شوطا ثم نزلنا من المروة الى الصفا وفعلنا فى الثانية ما فعلنا فى الأولى فكان ذلك شوطا آخر وهكذا أتممنا سبعة أشواط (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو أعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم) ويلاحظ أن النساء لا تهرون فى السعى ولا ترمل فى الطواف ولا ترفع الصوت بالتلبية خشية الفتنة وبعد السعى تحلل المعتمر منا بالخلق أو التقصير وحل له كل شئ . وفى يوم التروية (ثامن ذى الحجة) يحرم بالحج ، أما المحرم بالحج فقط أو به مع العمرة فإنه لا يتحلل بل يستمر فى إحرامه حتى يأتى بأعمال الحج من وقوف ورمى وحلق وطواف الخ ، ويتحلل بعدئذ التحلل كله .

ولا بأس من أن نذكر لك في هذا الموطن ما يصدر من العربان ونسائهم وقت الطواف فان فيه تفكهة: إحرام العربان عبارة عن كشف أذرعهم ورءوسهم، وبقاى جسدهم مستور وشعرهم منشور غير منتظم وأكثرهم طويل الشعر مضافوره أشبه بشعور النساء عندنا، أما نساؤهم فمحتجبات لا يكاد يبدو منهن شىء والرجل يقول فى طوافه : يارب البيت اشهد أنى حجيت لا تقول ما حجيت اغفر لى ولوالدى وإلا تغفر لى غصبا تغفر لى ترانى حجيت يقول ذلك بصوت جهورى مزيج ويسرع فى مشيه فى الطواف والسعى ويأخذ الرجل بيد زوجه أو أخته أو أمه ويسرع بها فى السير وعند ما يصل بها الى الحجر الأسود يرفعها ويضع رأسها فى تجويف الحجر واذ ذاك تمسح وجهها وشعرها ويقول لها (حجى يامرہ حجى) وتقبيل الحجر عندهم فريضة لازبة لا يتركونه ولو ماتوا دونه ومن كثرة زحام هؤلاء العربان على الحجر وإدخالهم الرءوس فى تجويفه حصل به خدش أصلح فيما بعد، ومات أحد الحجاج أثناء الطواف من شدة الزحام، ومما سمعته محاورة بين اثنتين من نساء العربان قالت إحداهما للكعبة : (ياست ليلة [لعل تسميتها ليلة لأنها سوداء وكسوتها سوداء] إن كان جاتنا المطر فى ديارنا وجانا الخير أجب لك عكية سمن (قربة صغيرة) تدهنى بها شوشتك، لأن العربان يزعمون أن الكعبة امرأة تدهن رأسها - فقالت الثانية : حقيقة تجيبى لها فقالت لها : آسكتى أنا عمال أكذب عليها اذا جاتنا المطر ما أجب) فانظر كيف بلغ أدب العربان فى خطاب الرب حدًا سيئا وكيف بلغت من نفوسهم الاعتقادات الفاسدة. ما ذلك إلا من فرط جهلهم بالدين فهل لأولئك من مرشدين .

وفى يوم السبت ٢ ذى الحجة (٢٣ مارس) قدم من جدّة الى مكة ١٥٠٠ حاج سائرين على الأقدام بعد أن تركوا جميع أمتعتهم بجدّة وانما قدموا رجالة لقلة الجمال وكثرة الجحاح فخافوا إن انتظروا أن تفوتهم الفريضة فأسرعوا بالحضور .

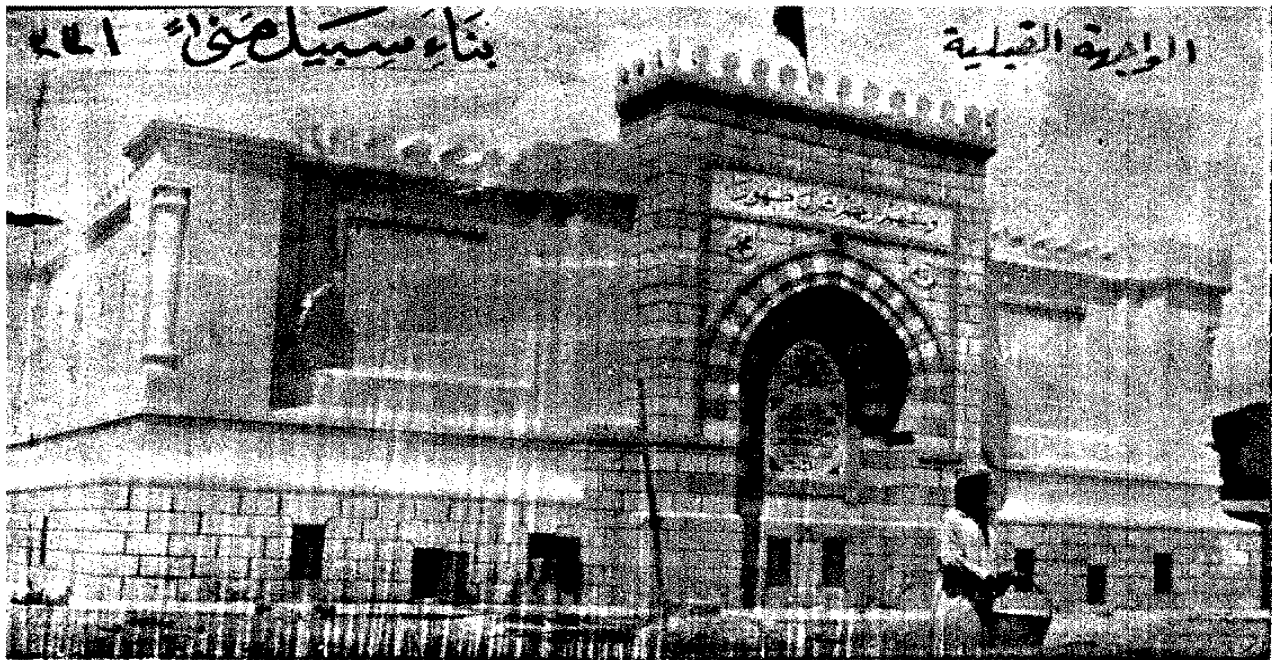
التزاور بمكة

زيارة أمير الحج وأمين الصرة لصاحبي الدولة شريف مكة وواليتها

في اليوم الذي وصلنا فيه إلى مكة (٢٥ ذى القعدة سنة ١٣١٨) بعد أن زرنا البيت الحرام وطفنا وسعينا وتحللنا زار أمير الحج وأمين الصرة دولة الشريف بعد الاستئذان منه وساعة اللقاء لثما يده وسلم له الأمير مكتوبين أحدهما من المعية السنوية والآخر من نظارة الداخلية وكلاهما يتضمن التحية والتماس مساعدة أمير الحج على أداء عمله والقيام براحة الحجيج وقد قدم الشريف لها القهوة والشاي ومكثا بمجلسه فترة طويلة كانا فيها موضع تجلته ثم أنصرفا شاكرين ، ولم أتمكن من التوجه معهما اذ شغلني تنظيم المعسكر وإعداد ما يلزم لرجال المحمل وشراء العلف للدواب ، وفي اليوم التالي زرته مع الضباط وقد وقف لنا ساعة دنونا منه وقبلنا يده وأذن لنا بالجلوس وبلغته سلام الجناب العالي الخديو فشكر له ودعا وأظهر شوقه لرؤيته فنبأته بأن سموه تواق إلى الحج ، فقال : متى تمت السكة الحديدية توافرت سبل الراحة ، ولبثنا في حضرته زهاء ساعة ونصف كما فيها موضع رعايته ، وقدم لنا في خلالها الشاي والقهوة ثم خرجنا شاكرين .

وفي اليوم نفسه زار الأمير والأمين وأبا ثالثهم دولة الوالى بمقر الحكومة المسمى « الحميدية » فقابلنا بالبشر والترحاب وسلم الأمير اليه كتابا من نظارة الداخلية توصية بركب المحمل فبعد تلاوته سأل عن حال العساكر والمجاج وعرفنا بأنه مستعد لعمل كل شىء يوفر على المجاج راحتهم وطمأنينتهم فدعونا لدولته وشكرنا وبعد تناول القهوة رجعنا شاكرين .

زيارات مختلفة — في الفترة التي أقمناها بمكة زرت رئيس الجند العثماني (القومندان) ولديه رتبة لواء كما زرت وكيل الوالى ويسمى « المحاسبى » وسعادة اللواء صادق باشا العظم المدير العام للإشارات البرقية الحجازية وكذلك زرت الشريف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

331. Fountain (Sibil) of drinking water at Mena for Pilgrims in the year 1340 H., East and South sides.

علي^(١) باشا وكيل الأشغال لأمير مكة والشيخ الشيبى (من بنى شيبة) السيد محمد صالح أمين مفتاح الكعبة ، ومن زرتهم ناصر باشا ابن الشريف عبد المطلب أمير مكة سابقا وقد طلب الى أن أرفع الى الأعتاب الخديوية ما يأتى :

(أولا) يود أن تكون مرتبات الأشراف التي تصرف اليهم من المالية والأوقاف بحساب الريال المصرى لا المجازى (أبو طاقه) الذى قيمته عشرة قروش وقتئذ .

(ثانيا) انتقد ما عمله بعض نظار (التكية) المصرية من تحويل نوافذها الى أبواب لحوانيت اقتضبت من التكية ويرى أن ذلك غير مناسب للطعم .

(ثالثا) انه قد صدر الأمر الكريم بإتفاق ٨٠٠٠ جنيه مصرى لتشييد مخزن كبير فى منى يملأ بالماء لشرب الحاجين وأبناء السبيل فيرجو انجاز هذا الأمر الجليل الذى يعد أثرا خالدًا لسمو الخديو يستحق به عظيم المثوبة من الله لأن بعد الماء رفع قيمته حتى إن القربة التي تسع قدما مكعبة من الماء يبلغ ثمنها ٣,٥ قروش بل فى هذا العام كان ثمنها ٥ قروش وإنى أعضده فى فكرته هذه فان ذلك عظيم النفع للحجاج خصوصا الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون وتضطرم الفاقة الى جلب المياه من الأماكن النازحة سيرا على أقدامهم ، بل وفرة الماء تقطع دابر الأشرار من الأعراب الذين يتربصون من يتعد عن منى لإحضار المياه فيسابونه ماله ولا مغيث فان المياه تبعد عنها بأكثر من ثلاثة أميال أضف الى ذلك أن كثرة المياه تساعد على نظافة البدن والملبس وذلك أحفظ للصحة وأرعى لها فإنجاز هذا المشروع يعود بالخير العميم على الناس وعلى من يقوم به .

وقد كلمت سمو الخديو فى هذا الاقتراح فقال : لا مانع على أن يتولى الإنفاق على المشروع موظف مصرى ، ولما عرضت ذلك على الشريف عون فى حجتي الثانية وافق على المشروع ولكن اشترط أن يتولى هو الإنفاق ، فكان شرطه هذا داعيا لوقف المشروع الى أن نفذ فى السنين الأخيرة — فى عهد مايكنا فؤاد الأول .

(١) يقم الآن فى مصر بمحطة سراى القبة .

وممن زرتهم محسن بك وعبد الله بك ولدا المرحوم الشريف محمد باشا ابن الشريف عبد الله باشا أمير مكة سابقا وهما شابان لا يتجاوز عمرهما الثامنة عشرة لم يتعلما إلا المبادئ الأولية لإهمال التعليم بمكة وقلة المدارس بها وذلك ما يرغب فيه الشريف عون الرفيق باشا لأنه يرى في العلم تنويرا للأفكار ومطالبة بالحقوق وضربا على أيدي الظالمين وجهادا للتخلص من المستبدين وهو عليم بنفسه خبير بسيرته، وترى في (الرسم ٣٤) الأخوين بلباسهما العربي وفي (الرسم ٣٥) بلباسهما المكي خلفهما محمد بن سعيد الزمزمي وفي (الرسم ٣٦) بلباس مختلف والواقفون وراءهما إبراهيم بك مصطفى المعمم ناظر دار العلوم سابقا فأنا فأحمد بك زكي أمين الصرة في سنة ١٣٢١

وقد زرت كثيرا غير هؤلاء من الأشراف والسراة وكانوا يقابلوننا أجمل مقابلة ويردون الزيارة إلينا في المعسكر، فكنت أكرمهم غاية الإكرام وكان ضباط الحرس يعطفون عليهم ويتحدثون معهم وكانوا ولعين بسماع الآلات المطربة فكنت استحضر لهم الموسيقى والمزمار البلدي فيتناوبان الألحان مما يزيد في ابتهاجهم وانسراح صدرهم، وكانت الموسيقى تعزف كل يوم من بعد صلاة العصر حتى تتوارى الشمس بالحجاب وكان الناس يجتمعون على السماع ترويضاً للأفكار وتهذيباً للنفوس فكان لنا الدين والدنيا جميعاً .

زيارة أمير مكة وواليتها وقائد جندها للمحمل — في الساعة الثانية العربية نهرا من يوم ٧ ذى الحجة سنة ١٣١٨ زار صاحب الدولة الشريف عون الرفيق باشا أمير مكة معسكر المحمل في موكب حافل وكان راكبا عربية يجرها جوادان وكان على يساره وكيله الشريف علي باشا وكان أمام العربية ٥٠ فارسا ، و ١٥٠ هجانا و ٢٥٠ راجلا و ١٢ موسيقيا وزمارا وكلهم من أهالي مكة إلا القليل — سودانيين — وكانوا بلباس عادي يحملون أسلحة من الطرز القديم وكان خلف العربية حوالي ١٥ جوادا يقودها سواسمها وكان عليها السروج المذهبة المسبل عليها القطيفة المزركشة بالقصب — منظر يسر الناظرين — (انظر الرسم ٢٦٧) أما نحن فلدى قرب مجيئه اصطفت عساكرنا

عبدالله باشا ومحسن باشا ولدا اخي الشريف علي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
وَمَا كنا لنجده لولا أن هدانا الله
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
وَمَا كنا لنجده لولا أن هدانا الله
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ

34 & 35. Photos of Abdulla Pacha and Mohsin Pacha the sons of El Sherrif Aly Pacha's brother.

عبدالله باشا ومحسن باشا والاعلى السيف على



عبدالله باشا ومحسن باشا والاعلى السيف على

محمد على سعودى بمصر

36. The photo of Abdulla Pacha and Mohsen Pacha.

جريدة الكائنات في الكائنات



الشيخ عون الرفيق باشا



جريدة الكائنات في الكائنات

267. A view of the Horses of Amir Mecca in Sheikh Mahmoud.

37. A photo of El Sheriff Own El Rafik Pacha and his companion

صفيين متقابلين الموسيقيون أولا فالفرسان فالمشاة، واتخذ رجال المدفعية مكانا مناسباً لإطلاق المدافع ووقف أمير الحج والأمين وموظفوا المحمل في مينة العسكر وعند وصول الشريف تقدم إليه الأمير والأمين وقبلوا يده وطرف السترة (الأثك) وتبعاه راجبا عربته يسير الهوينا بين الصفيين متأملا زى العساكر معجبا بشهواتهم وثباتهم مسلما عليهم بالإشارة، وعند سرادق الأمير نزل من العربة وجلس على أريكة في صدر السرادق وساعتئذ قدم له الأمير موظفى المحمل فلقموا يده ثم أمرهم بالجلوس وبعد زمن يسير قلت للعسكر «صفا» أى راحة، وتوجهت بالضباط الى السرادق حيث قبلنا يد الأمير و «أثك» كمن سبقنا، وبعد تناول الشاي والقهوة هم بالعودة فرجعت بالضباط حيث كانوا أولا وساعة مروره حيي التحية العسكرية وصدحت الموسيقى بسلام جلالة السلطان وأطلق المدفعية ٢١ مدفعا كما حصل مثل ذلك عند القدوم، وقد أعجب الأمير بكل ما رأى خصوصا زى الضباط والعسكر وكان يرتدى ملابسه العادية العامة والقباء (القفظان) الأبيض والفرجية ذات اللون الرملى، ومما حدث به أمير الحج أنه سأل عن عمر كسوة المحمل القصبية إذ رآها غير زاهية فأجابته بأنها صنعت في عهد الخديو السابق توفيق باشا (انظر الشريف في الرسم ٣٧) الذى أخذته في بيت الشريف بعد المغرب وترى بجانبه جليسه الذى يعرف بالبق وللشريف كبير ثقة به وحسن اعتقاد فيه جعله يؤثره بالهدايا النفيسة التى كانت ترد إليه فابتنى منها البيوت الفاخرة المشابهة لبيوت مصر وقد بلغنى أن سبب ذلك الإكثار أنه جاء الى الشريف وقبده جلس تحت سقيفة فأشار إليه بالانصراف وقال له «جم جم» فلم يكذب السقيفة حتى سقط عرشها، ومما آثره به من الهدايا في سنة ١٣٢٠ سيف مذهب وسكينة مذهبة أهداهما الى الشريف سلطان زنجبار.

وفي الساعة الثالثة من اليوم نفسه أقبل دولة الوالى المشير أحمد راتب باشا لزيارة الأمير وركبه وكان يركب عربة كعربة الشريف وكان عن يساره فيها سعادة اللواء صادق باشا مدير الاشارات البرقية المجازية ويتقدم العربة حوالى ٥٠ فارسا تركيا

من غير النظاميين وكان منهم ستة يحملون على أكتافهم العصى الفضية الطويلة ، ودولة الوالى كان يرتدى ملابس التشريفة الكبرى البحرية وهى عبارة عن (بنطلون) أبيض طويل فوقه معطف طويل أسود عليه سمة مشير بحرى وبصدر المعطف خيوط غليظة مثبتة به من طرفيها (كردون) وفوق ذلك جبة سوداء طويلة تمتد الى ماتحت الركب ومزركشة بالخيوط القصصية على طوقها وكيها ومن أمامها وخلفها وجانبيها وذيلها وهى خاصة بمن يشغل منصب الولاية على مكة وكان من فوق الجبة الوسام (النيشان) المجيدى من الدرجة الأولى ، وقد استقبلنا الوالى بمثل ما استقبلنا به الشريف غير أن الوالى نزل من عربته حينما وصل الى أول المعسكر وصر بين الصفيين وكما حاذى ضابطا صاحفه وكان شديد التأمل فى الضباط والعساكر مسرورا من زيهم معجبا بجميل نظامهم وكان ذلك باديا على محياه ولا سيما عند ما أدت له التحية العسكرية بقوة وشهامة ، وقبل أن يبرح دولته سراق الأيرقام الشيخ محمد السنباطى (موزع الكساوى على العربات والقائم بالأدعية وقت تسليم الحديدو المحمل الى أمير الحج الخ) وتلا خطبة امتدح فيها الوالى ودعا لجلالة السلطان فكافاه على ذلك بخمسة جنيات كما كافأ الموسيقيين والزمارين بثلاثة أخرى وتلك له عادة سنوية (أنظر الرسمين ٣٨ و ٣٩) . هذا وقد كانت زيارة الشريف والوالى لمحملنا بعد عودتهما من زيارة المحمل الشامى فى اليوم التالى لوصوله .

غسل الكعبة

فى يوم الاثنين ٥ ذى الحجة دعيت مع أمير الحج وأمين الصرة وبعض الموظفين لغسل الكعبة حسب المعتاد سنويا فلبينا الدعوة وذهبنا الى المسجد الحرام وفى الساعة الأولى العربية حضر دولة الوالى وأمين الدفاتر (الدفتردار) والواء (قومندان) الجنند المكى وبعض العظماء من الحجاج ودخلنا الكعبة وصلينا فى كل من جهاتها الأربع ركعتين ودعونا الله بما أحببنا ودعوت للحديدو كما دعا له الأمير والأمين ثم أخذنا جميعا فى غسل أرض الكعبة من الداخل بماء زمزم وكان ذلك بمقشات

الشريف والوالي في العربيه بالشيخ محمود

أبي بكر والوالي في الشيخ محمود

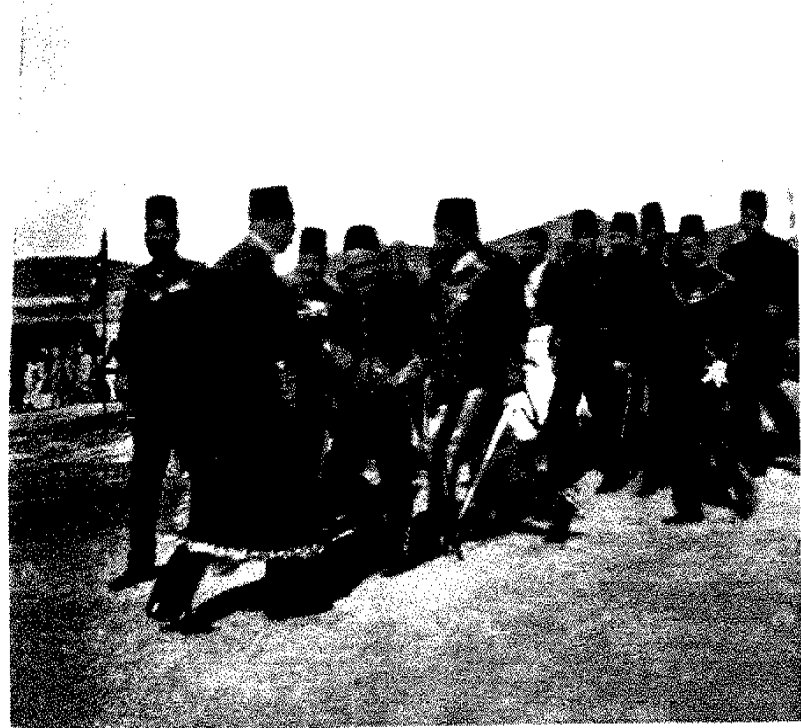


محمد بن عبد العزيز

محمد بن سعود

39. The Sherif and the Wali in carriage at a place called Sheikh Mahmoud

الوالي والجنرال في مكة المكرمة



الوالي والجنرال في مكة المكرمة

38. A photo of the Wali of El Hejaz shaking hands with the officers of the Mahmal on meeting officially.

صغيرة صنعت من خوص النخيل ثم وزعت علينا حرق بيضاء مبللة بماء الورد والروائح العطرية وأخذنا نمسح بها جدر الكعبة، وقد اشتد الزحام أمام بابها لأخذ مياه الغسل للتبرك بها، والمطوفون يأخذونها في دلاء ويضعونها في قوارير يهادون بها أتباعهم من الحجاج وكذلك يتخاطف الناس مقشاة الغسل بل يتضاربون عليها وعلى الماء، ولدى نزولنا عن الكعبة وضعت ما معي من المقشاة في منشفة كبيرة (بشكير) استحضرتها معي لغسل الكعبة بها ولأحفظها بعد تبركا، وقد زاحمني الحجاج وعصر بعضهم المنشفة لعاله يجد بها قطرة ماء ومنهم من مسح بها وجهه ومنهم من مسحها ومسح على عينه وجسمه .

هذا والكعبة تفتح في موسم الحج لمن يريد الزيارة بعد أن يدفع ريبالا (برم) قيمته عشرة قروش مصرية لمن يتولى فتح الباب من قبل السيد محمد صالح الشيبى أمين المفتاح وإذا كان الزائر غنيا أخذوا منه بضعة جنيهات، وبعض الناس ينتهز فرصة غسل الكعبة ويدخل مع الغاسلين . وتفتح الكعبة للزائرين في ١٠ المحرم للرجال . وفي ليلة ١١ منه للنساء، وتفتح في ليلة ١٢ ربيع الأول للدعاء للسلطان ولا يدخلها الزقار ولكن يدخلها الرجال في صبيحة تلك الليلة، وفي ليلة ١٣ منه للنساء، وتفتح في يوم ٢٠ ربيع الأول لغسلها، وفي أول جمعة من رجب للرجال وفي اليوم التالى للنساء وفي ليلة ٢٧ رجب تفتح للدعاء للسلطان وفي صباحها يزور الرجال وفي المساء يزور النساء، وتفتح في ليلة نصف شعبان للدعاء وفي صباحها للرجال وفي مساءها للنساء وتفتح يوم الجمعة الأولى من رمضان للرجال وفي تاليه للنساء وفي ليلة ١٧ منه للدعاء للسلطان وآخر جمعة كذلك، وتفتح في نصف ذى القعدة للرجال وفي تاليه للنساء وفي ٢٠ منه لغسلها وتفتح على سبيل الخصوصية لبعض الأعيان .

وفي يوم ٢٨ ذى القعدة تحرم الكعبة أى يوضع لها إزار أبيض أسفل الكسوة .

الى عرفات ومنى

قد ورد لنا كتاب من دولة الوالى بان قاضى مكة أثبت هلال ذى الحجة ليلة الخميس
وعليه يكون الوقوف بعرفة فى يوم الجمعة تاسع ذى الحجة وترى فى (الرسم ٤٠) مثيله
فى سنة ١٣٢٥

ولما كانت ليلة الثامن من ذى الحجة تحرك لتمام الساعة الحادية عشرة العربية
ركب المحمل من معسكره بمكة ميمما عرفة فسار من حارة الباب الى الشبيكة فالسوق
الصغير بفياد - وفيه المطعم المصرى (التكية) ودار الحكومة العثمانية المسماة بالحמידية -
بجزء من شارع المسعى فالقشاشية فسوق الليل فالغزة، وقد مررنا ببيت الشريف
الذى شيده محمد على باشا جد الأسرة الخديوية وهناك وقف الركب وصدحت
الموسيقى بالسلام الملدى وهتف الجميع « ياد چاهمز چوق يشا » « يعيش الملك
طويلا » ثم سرنا الى الشمال ومررنا بالبياضية على اليسار وفيها بيت بحديقة للشيخ
الشيبي أمين المفتاح ثم شرقنا الى منى ووصلنا الى أول مدرج فى س ١١ وق ٤٠،
والمدرج جزء من الطريق مرصوف بالحجارة يشبه درجة السلم لكن عرضه ٢٠ مترا
وطوله ٥٠ وارتفاعه عشر المتر ووصلنا المدرج الثانى بعد ربع ساعة وقد تابعنا
السير حتى بلغنا منى فى س ١ وق ٤٥، وبها استراح المحمل ربع ساعة بالقرب
من المكان المعد لنصب سرادق الشريف بعد رجوعه من عرفة ثم سرنا فوصلنا
المزدلفة فى س ٢ وق ٣٥، ثم عرفة فى س ٤ وق ٣٥، فنكون قد قطعنا الطريق
بين المعسكر وعرفة فى ٥ س و ٣٥ ق استرحنا فيها ١٥ ق، والطريق رهلى لا تغور
فيه الأقدام وتكتنفه من الجانيين الجبال الشاخمة التى تتباعد بمنى ومزدلفة،
وفى منتصف البعد بين مزدلفة وعرفة وبالطريق كل ما يحتاج اليه الانسان من
ماء وقهوة وشاى وما كولات من لحوم وأرز وعدس مطبوخة وغير مطبوخة وسكر
وحلاوة وملبس الخ . وحينما وصلنا الى عرفة نزل الركب فى محله المعد له سنويا
وكانت الخيام والأمتعة والمؤن قد سبقتنا الى هنالك فانها أرسلت ليلا بصحبة بعض

٥٠

محمد شريف مرعي قلمه جاز وشي

الذوق العالي
بجاءه
بجاءه
بجاءه

(الرم ٤٠)

سماواتكم انعم
بصالحها وروى النبي الشريف عليه السلام
بأنه قال: من رجع في يوم الجمعة
بأفهام أفاده وزيادته يا - آية - الوفاء
بأفهام أفاده وزيادته يا - آية - الوفاء
بأفهام أفاده وزيادته يا - آية - الوفاء



الى جناب محافظ المحمل الشريف المصري العالي
ولاية الحجاز - قلم المكاتبات رقم ٢٠٠٠
صاحب السعادة إن ابتداء ذى الحجة الشريف في هذه السنة المباركة ثبت أنه يوم الأحد حسب الإعلام الوارد البنا من قاضي مكة وعلى ذلك فوقفه عرفات ستكون يوم الاثنين المبارك ولذا بادرت باختياركم بذلك .
«البياور» الأكرم والى الحجاز و«قومئذ انه»
٧ ذى الحجة سنة ١٣٢٥ هـ . ٢٩ كانون الأول سنة ١٣٢٣

العساكر والفراسين ومعهم ضابط ، فأعدت قبل وصولنا وبعد أن عرف كل منا محله أسرعنا جميعا الى جبل الرحمة المعروف بعرفات حيث وقفنا هنالك على سبيل الاحتياط لجواز أن يكون هذا اليوم يوم عرفة مع أنه تامن ذى الحجّة — ولا محل لهذا الاحتياط بعد التثبت في معرفة أول الشهر، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الشك — يرشدنا الى ترك الوقوف في يوم توهمناه التاسع من ذى الحجّة والظن بل اليقين بخلافه — وقد نزل علينا مطر خفيف أثناء الوقوف ورجعنا الى خيامنا بعد الغروب .

جبل عرفات وميدانه الفسيح — جبل عرفات على شكل قوس كبير يحيط بوادٍ متسع يسمى «عرفة» وتبلغ مساحته نحو ميلين مربعين وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف وفي طرفه من جهة الشمال لسان يبرز الى الغرب يسمى «جبل الرحمة» (الرسم ٤١ وفيه ترى العلم الذي في أعلى جبل الرحمة تحت رقم ١ وتحت رقم ٢ شجرة فوق الجبل) وهو جبل صغير بالنسبة لما حوله من الجبال ارتفاعه قريب من ٣٠ مترا وطوله ٣٠٠ مترا ويصعد اليه بمدارج كبيرة على شكل سلم غير منتظم ، به ٩١ درجة يختلف ارتفاع الواحدة منها من عشر المتر الى ثلاثة أعشاره ، وعلى يمين الصاعد على الجبل قريبا من منتصفه مستو طوله ١٥ مترا في عرض ١٠ أمتار وبه مصلى ذو قبلة يسمى مسجد إبراهيم عليه السلام ويقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ، وهذا غير صحيح فان هذا المسجد والدرج الذي وصفناه بناهما الوزير محمد بن علي بن المنصور المعروف بالجواد الأصفهاني في سنة ٥٥٩ (أنظر كتاب منائح الكرم) وفي أعلى الجبل مستو مبلط مربع ضلعه ٥٠ مترا وفي وسط المستوى مَسْطبة مربعة ضلعها ٧ أمتار وارتفاعها متر ونصف ، وعند الركن الغربي منها عمود مربع مبني بالحجر الأصم ومخصص ارتفاعه نحو أربعة أمتار وعرض كل جانب من جوانبه الأربعة متر، وهذا العمود علم على جبل الرحمة وتعلق به مصابيح ليلة عرفة إرشادا للحاجين والسالكين ، وحول العمود حائط به محراب يضلئ اليه الناس



حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم اسم الله ابراهيم فوفناشا امير الحج المصرى فى حجة ١٣٢٥

41. A view of Gebel Rahma, known by Gebel Arafat.

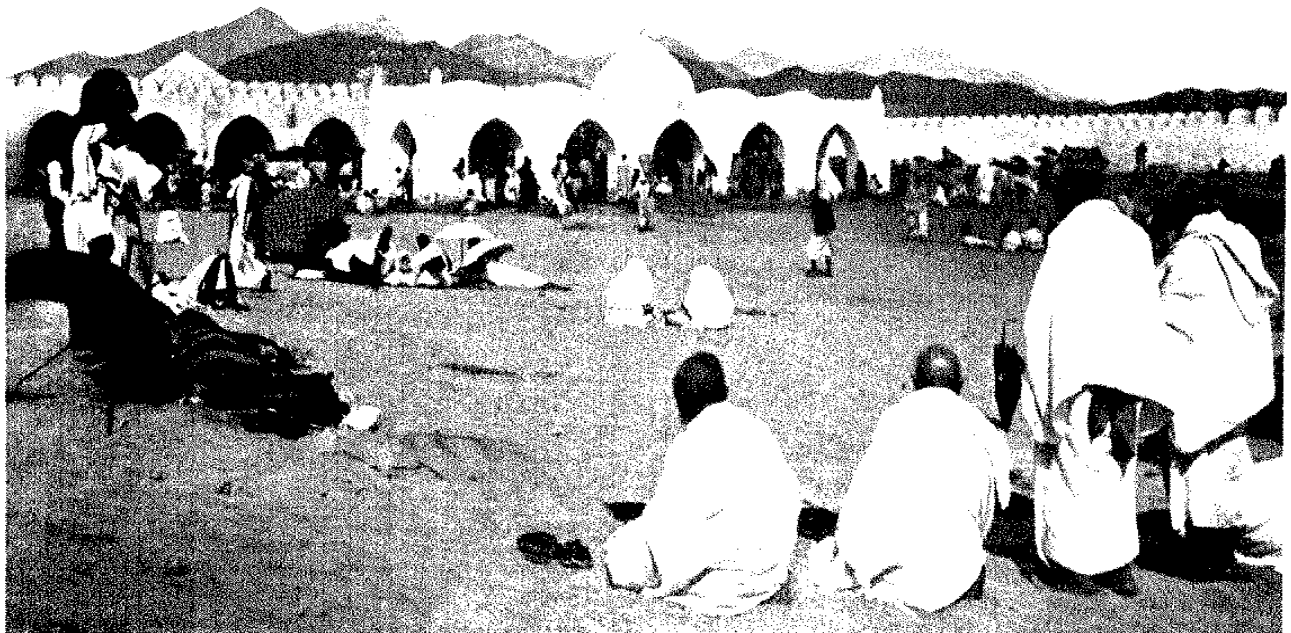
معسكر الحجاج بعرفات ومسجد الصخرات



مسجد الصخرات بعرفات

42. The camp of the pilgrims in Arafat, and El Sakharat Mosque in 1321.

مسجد نمره في الحجاز الغربي لعرفات وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر يوم تبة الودان سنة ثمان من الهجرة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ

43. Namerah Mosque where the Prophet performed the midday and the afternoon prayers together.



الحجيج يمشون في توافد كثيف في مكة المكرمة سنة ١٣٢٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُ أَكْبَرُ

44. A photo of the pilgrims at Arafat on 9th of El Hegga in 1321

وبأسفل الجبل مسجد صغير يسمى «مسجد الصخرات» يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه ولم يثبت، وسمى بذلك لأن في أرضه صخورا كبيرة بعضها الى جانب بعض (أنظر الرسم ٤٢) والمسجد واطئ في جانبه الغربى، ويجوار جبل الرحمة ثمانية أحواض مبنية بناء متينا تملأ بالماء من مجرى عين زبيدة بواسطة مجار تحت الأرض وذلك في زمن الحج فقط وترمم وتنظف كل سنة قبل أوأانه، وفي جنوب الميدان على طريق الطائف جامع عتيق اسمه جامع «نَمْرَة» أو مسجد إبراهيم أو مصلى عرفة وهذا المسجد يجمع فيه الحجاج يوم عرفة بين الظهر والعصر جمع تقديم مع الامام الذى يخطب فيه قبل الصلاة خطبة يعلم الناس فيها آداب الوقوف وأنه ممتد الى الغروب (أنظر مسجد نمرة فى الرسم ٤٣) .

ويحيط بوادى عرفة من جهته الشمالية والجنوبية والغربية مجرى عين زبيدة (وسنوافيك قريبا بالكلام عليها تفصيلا وصفا وتاريخا) . وعرفة كلها موقف الا وادى عرنة .

قد نبأناك بأن ركب المحمل نزل من عرفة مكانه المعتاد وسط الوادى وقد بتنا بها ليلة التاسع من ذى الحجة، وقبل المغرب بساعة من يوم عرفة تحرك الحملان المصرى والشامى أولهما يسار ثانيهما يتقدمهما أميراهما وأمين الصرة، والجند يحيطون بهما حتى وصلا الى سفح جبل الرحمة فى مكان صلب مرتفع قليلا عن سطح الأرض ووقف الخطيب على جمل بجبل الرحمة قريبا من سفحه يحيط به العساكر لمنع التزاحم عليه، ووقف بجواره مبلغان مصرى وشامى بيد كل منديل يلوح به للحجاج كلما سكت الخطيب، وساعة يلوحان ترى الآلاف المؤلفة من الأجناس المختلفة وقد كشفت منهم الرؤوس وعريت منهم الأقدام الا القليل وارتدوا ملابس الإحرام تراهم يسبخون ومما أسلفوا يستغفرون رافعين عقيرتهم بالتلبية (ليك اللهم ليك . ليك لا شريك لك . أن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) .

السنة مختلفة من أجناس متباينة جارت الى الله بالدعاء فشق صوتها أجواز الفضاء، فاهت بكلمات انبعثت عن قلوب مخلصه وأفئدة طاهرة ونفوس نسيت كل شيء الا ربها إنها وأيم الله لتترك في النفس أثرا لا يحيط به الوصف ولا تحدده العبارة بل لا يعرفه الا من سمع وأبصر « ولا ينبئك مثل خبير » .

وما أظرف ما قاله أبو تواس في التلبية .

إلهنا ما أعبدك * عليك كل من ملك
 لبيك قد لببت لك * لبيك أن الحمد لك
 والملك لا شريك لك * ما خاب عبد سألك
 أنت له حيث سلك * لولاك يارب هلك
 لبيك أن الحمد لك * والملك لا شريك لك
 والليل لما أن حلك * والسابحات في الفلك
 على مجارى المنسلك * كل نبي وملك
 وكل من أهل لك * سبح أو لبي فلك
 يا مخطئا، اغضك * عجل وبادر أجلك
 اختم بخير عملك * لبيك أن الحمد لك
 والملك لا شريك لك * والحمد والنعمة لك

وإنك لترى جبل الرحمة قد ملأه الحجاج حتى لم يبق به موضع لقدم، وكأنك إذا نظرته لا تنظر الا أكداسا من الناس رافعين أيديهم الى قبلة الدعاء شاخصة أبصارهم نحو السماء (أنظر الرسم ٤٤ وفيه ترى يبرق المحمل في أعلاه كأنه رجل والوجه الكبير وجه الشيخ محمد أبي النور نجل صهرنا الشيخ طموم) وأن أغلب هؤلاء من السودانيين واليمنيين والمغاربة وأنهم ليتخذون الجبل مسكنا لهم ويؤدون به جميع أعمالهم من طهي وغيره مدة لبثهم بعرفة . ويظنون أن الوقوف بجبل الرحمة فضيلة كبرى مع أن ذلك بدعة، فقد جاء في كتاب منائح الكرم ما نصه . قال الشيخ تقي الدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ وَالْإِيمَانِ وَالْمَعْرُوفِ الْمَعْرُوفِ وَالْمَعْرُوفِ الْمَعْرُوفِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ وَالْإِيمَانِ وَالْمَعْرُوفِ الْمَعْرُوفِ وَالْمَعْرُوفِ الْمَعْرُوفِ

45. The Egyptian and Syrian Mahmals on their departure from Muzdalifa to Mina on the 10th. of Zu El-Hegga 1321.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ وَالْإِيمَانِ وَالْمَعْرُوفِ الْمَعْرُوفِ وَالْمَعْرُوفِ الْمَعْرُوفِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مِنْ عَمَلِ الْبِرِّ وَالْإِيمَانِ وَالْمَعْرُوفِ الْمَعْرُوفِ وَالْمَعْرُوفِ الْمَعْرُوفِ

46. The Ameer of the Syrian Pilgrimage caravan riding his horse and carrying a Firman addressed to the Ameer of Mecca entrusting to him the care of the pilgrims

ولا نعلم في فضل هذا الجبل الذي يصعد اليه الناس بعرفة خبرا ثابتا ولا غير ثابت وما ينخص الناس به هذا الجبل من الحرص على الوقوف عليه دون موقفه صلى الله عليه وسلم ودون مواقف عرفه قبل وقت الوقوف ، وإيقادهم عليه النيران فبدع تستلزم محظورات من اختلاط النساء بالرجال وغير ذلك ، وإنما حدث ذلك عند انقراض العلماء الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر واستيلاء الجهل على الناس وأخذهم الأمور بالقياس اه بلفظه فليحفظ ذلك . هكذا جاء بالكتاب المذكور تحت حوادث سنة ٥٥٩

وقد استمر الخطيب يخطب والناس وقوف حتى مغرب الشمس وإذا ذاك أشعل أحد رجال المدفعية من المحملين شهابا (صواريح) إيذانا بالانصراف من الموقف ، فأفاض الناس مهللين ومكبرين ورحل المحملان المصرى فى ميمنة الشامى (أنظر الرسم ٤٥) والجند يسرون صفيين ومن بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم الحجاج والموسيقى والمزمار يعزفان بالألحان المشجية ، وأخذت مدافع الشريف والوالى والمحملين تتناوب طلقات البشر والسرور ، وقد سرنا نحو المزدلفة من حيث أتينا فبلغناها بعد ساعتين ووقت الوصول ضرب ٢١ مدفعا إعلاما ببلوغ القصد ونزل كل محمل فى مكانه المعتاد وجمع كل حاج ٤٩ أو ٧٠ حصاة صغيرة قدر الفولة أو البندقة ونظفها بالماء استعدادا لرمى الجمرات بمنى ، وبتنا ليلتنا بالمزدلفة اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ولتقف فى الصباح عند المشعر الحرام امتثالا لقوله تعالى ﴿ فَأَذًا أَفْضُمُّ مِنْ عَرَقاتٍ فَأَذُكُّوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَأَذُكُّوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴾ وقد استيقظنا حوالى الفجر وأدينا صلاته فى أول وقته وارتحل المحملان إلى موضع مسجد قديم ارتفاعه متران وبجنبه سلم وقف عليه الخطيب والنف الحجاج حوله ركبانا ومشاة وأخذ الخطيب يخطب من الساعة الحادية عشرة حتى قرب مطلع الشمس فى منتصف الساعة الثانية عشرة ، وقد كان الناس فى خلال ذلك يدعون ويلبون كلما دعا الخطيب ولجى ، وموقفنا هذا كان بجوار « المشعر الحرام » وهو جبل بالمزدلفة يسمى بذلك لأن الجاهلية كانت تُشعر عنده.

هداياها (والإشعار ضرب الإبل في صفحة سنامها حتى يسيل منها الدم) ووصف بالحرام لحرمة الصيد فيه لأنه من جملة أراضي الحرم التي يحرم فيها الاصطياد .

وقد ارتحل المحملان الى منى قبيل طلوع الشمس في منتصف الساعة الأولى من صباح يوم العيد الأكبر من سنة ١٣١٨ واقتفاهما الحجيج ووصلنا منى بعد ساعة فتوجه الناس لرمى الجمره الأولى «جمرة العقبة» وهي بأول منى من جهة مكة على يمين القاصد لها ، وهذه الجمره حائط مبنى بالحجر عال من وسطه وقد أخذ كل حاج يرميه بحصياته السبع واحدة بعد أخرى مع التكبير في كل مرة ، قال المحب الطبري : وليس للرمى حد معلوم غير أن كل جمره عليها علم وهو عمود معلق هناك فيرمى تحته وحوله ولا يبعد عنه احتياطا ، وحدّه بعض المتأخرين بثلاثة أذرع من سائر الجوانب إلا في جمره العقبة فليس لها إلا وجه واحد لأنها تحت جبل . وبعد رمي الجمره المذكورة ذهبنا الى مواطننا ، ونحر الهدى^(١) من كان معه هدى وحلق من حلق وقصر من قصر والنساء قصرن ولم يحلقن .

وبعد ذلك أفاض الحجاج من منى الى مكة ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مرتدين لباس الإحرام وطافوا طواف الإفاضة وسعى من عليه سعى وحلق أو قصر ، ثم انقلبوا الى منى فباتوا بها ليلة الحادى عشر وبعد الزوال من صباحه رموا الجمار الثلاث كل جمره بسبع حصيات بادئين بالجمره الصغرى التي تلى (مسجد الخيف) من ناحية منى ثم بالجمره الوسطى ثم بجمرة العقبة ، والرامى يقف عقب رمي الجمرتين الأوليين يدعو الله بما شاء ولا يقف عقب الأخيرة لضيق مكانها ، وقد بتنا بمنى ليلة الثانى عشر ورمينا بعد ظهره الجمرات كسابقه ثم منا من سافر الى مكة قبل الغروب ومنا من بات ليلة الثالث عشر ليرمي الجمرات الثلاث فيه ﴿مَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ وبذلك تمت أعمال الحج وحل للحرم كل شىء كان محرما عليه بالإحرام (أنظر الجمرات والحجاج يرمونها فى الرسوم ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧) .

(١) الهدى ما يهدى الى الحرم من الابل والبقر والغنم .

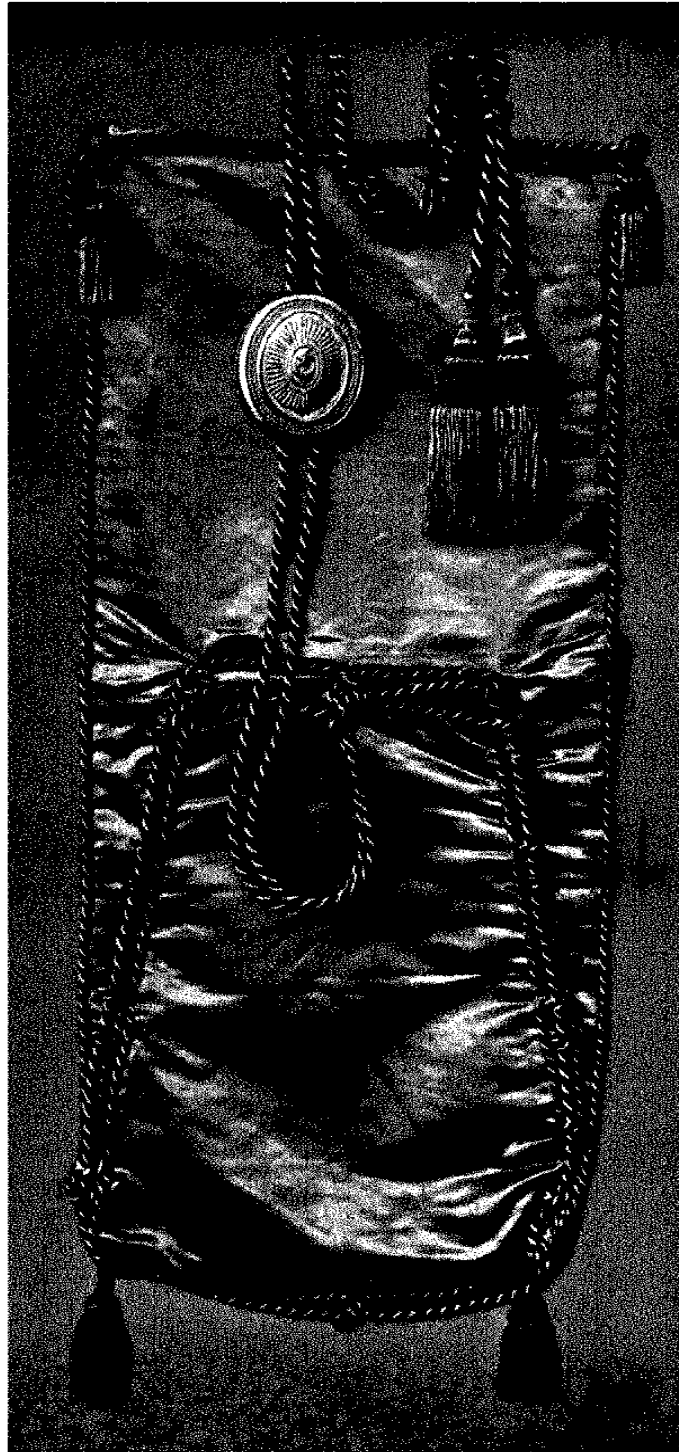
ومن فكاهات الحجاج عند رمى الجمرات أن بعضهم كان يرمى الحصيات السبع دفعة واحدة ويخاطب إبليس بلفظة «يلعن دينك» وبعضهم كان يرمى حصاة حصاة ويقول العبارة السابقة عقب كل واحدة أو يقول « فى عين دينك » وبعض الحجاج لا يكتفى بالحصيات الصغيرة بل يأتى بأحجار كبيرة ويرمى بها الجمرة (العمود القائم) بل لا يرتاح له بال إلا اذا هدم جزءا من البناء، ومنهم من يقف على البناء ويرمى ومنهم من يلصق به جسده ويرمى؛ وقد كان من الضباط الذين معنا «اليوزباشى» عبد الوهاب حبيب افندى فلما جاء وقت رمى جمره العقبة أخذ عساكر الحرس ورجعوا إبليس (الجمرة) دفعة واحدة بهيئة هجوم على عدو وانتقام منه .

الاحتفال بتلاوة فرمان السلطانى

فى يوم ١١ ذى الحجة ونحن بمبنى احتفل بتلاوة فرمان السلطانى ودعا الشريف لذلك أميرى المحملين المصرى والشامى وأمين الصرة والضباط وكبار رجال الدولة والحجاج، وكان الاحتفال بسرادق الشريف الذى اصطفت أمامه حرس كل من الشريف والوالى بموسيقاهم وموسيقى مجملنا شاركهم، وانتشرت الجموع الكثيرة من الحجاج المختلنى الأجناس حول السرادق وكان يتقدم الحرس على جواد حامل فرمان السلطانى وآخرون يحملون خلعاً معتادا حضورها من الإستانة سنويا (الرسم ٤٦) وكان للشريف فى وسط السرادق مكان خاص وعلى يمينه : (١) فرمان فرما ابن عم شاه العجم وصهره؛ (٢) الشريف على باشا؛ (٣) الشريف محمد ناصر غالب باشا؛ (٤) بقية الأشراف؛ (٥) قاضى مكة والعلماء والأعيان؛ (٦) ضباط المحمل المصرى وعلى يسار الشريف : (١) المشير أحمد باشا راتب والى الحجاز وكان بحالة خضوع وخنوع لا تليق برتبة مشير؛ (٢) سلطان المسكلة والشجر عوض بن عمر القعيطى؛ (٣) نجله عمر بن عوض القعيطى؛ (٤) حفيده محمد بن غالب؛ (٥) أمير وأمين وموظفو المحمل الشامى؛ (٦) أمير وأمين وموظفو المحمل المصرى؛ (٧) موظفو مكة وكبار الضباط . وبعد جلوس هؤلاء بالترتيب السابق نخرج عليهم الشريف فى زينته

من مكان خاص به وحوله بعض خواصه من الأشراف فقام الجميع وقبلوا يده وقبل دولته رأس صهر شاه العجم وسلطان المملكة والشحر حينما انحنيا لتقبيل يده ثم تقدم الى الأمام وتسلم المكتوب السلطاني (الفرمان) من يد حامله وقبله وكان داخل كيس من الأطلس الجميل (الرسم ٤٧) موضوع في وقاية (بقجة) من الحرير الأطلس الأخضر موشاة بالقصب المنسوج (المخيش) ذي الرسوم البديعة (الرسم ٤٨) ثم رجع إلى محله بفلس على أريكة وسط السرادق ووضع الفرمان عن يمينه ثم لم يلبث أن وقف هو والحضور وأمر بتلاوة الفرمان فتلاه كاتبه الخاص محمد علي أفندي تلا أولا صورته التركية ثم تلا ثانيا صورته العربية، ولكنه أسرع في تلاوته بالعربية إذ قال له الشريف: «جوام جوام» وبعد التلاوة صدحت الموسيقى السلطانية بالسلام الملكي وكذلك هتف العساكر والجويع بالدعاء للخليفة الأعظم، ثم تقدم أمين الصرة الشامي بخلعة للشريف وألبسه إياها فوق الخلعة التي يلبسها من قبل وهي التي أهديت له في العام الماضي — وهذه عادة سنوية — ثم قدم له خلعة أخرى من قبل جلالة السلطان فلبسها أيضا وكانت صغيرة خفيفة من الجوخ الأسود ومطوقة بالقصب، وكان دولة الشريف يقبل كل خلعة قبل لبسها وكان على رأسه عمامة عليها أشرطة من القصب الجميل ثم وزعت خلع أخرى على بعض الموظفين وقارئ الفرمان وغيرهم، ولثقل الخلع الثلاث كان يرفع الخلعتين الحديدتين شخصان تخفيفا عن الشريف ثم أديرت كؤوس المشروبات الحلوة على الحاضرين والموسيقى المصرية والشاهانية يتناوبان الألمان وكذلك أخذ جماعة من أهل مكة يسمون «أهل النوبة» يضربون على النقارات ومعهم آلات أشبه بالرَّباب يغنون عليها بالأناشيد العربية الجميلة، فكانت الوجوه فرحة مستبشرة ثم قبل الجميع يد الشريف ومنهم من قبل مع ذلك ذيل الفرجية (الأتك) وانصرفوا، وإذ ذاك تزع الشريف الخلعتين عن جسمه ووضعتا في الوقايات الحريرية التي أرسلت فيها من الإستانة، وهكذا في كل عام تجدد الخلعتان والفرمانان العربي والتركي، ولا بأس من أن نصف لك الخلعة الأولى التي قدمت للشريف أولا وصفا مقربا: الخلعة عبارة عن فرجية — كفرجية العلماء — من الجوخ الأسود القيم مطرزة

کبریا فی القیام



جواز القیام فی القیام

47. A view of a bag used for keeping the Faraman.

نِيْلَةُ الْبَرِّ مَا فِي السَّكَاةِ



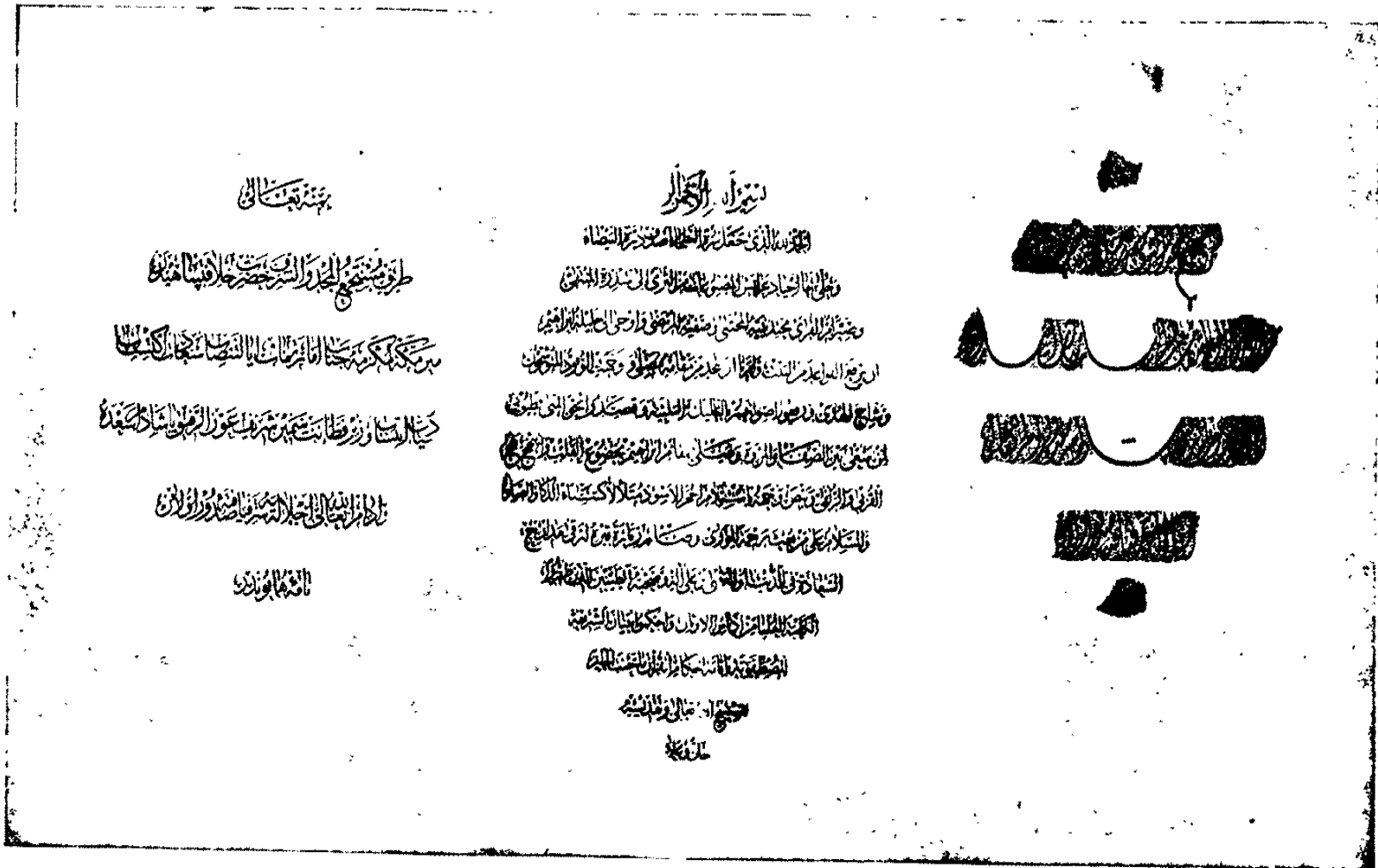
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

48. A view of a cloth bag used for keeping the Faraman.

عنوان فرمان السلطان محمد

مقدمة فرمان شاهان العثمانيين

عنوان فرمان السلطان محمد



50. The title of the Faraman in Arabic language.

50. A copy of the introduction of the Faraman in Arabic language.

50. The title of the Faraman in Turkish language.

بالقصب المنسوج (المخيش) ذى الأشكال البديعة والتقاسيم الهندسية العجيبة وقد كاد القصب يشغل كل سطحها فلا ترى به إلا اليسير من الجوخ وهى مرصعة باللؤلؤ الحر ولها مشابك من الألماس البرلتى الذى يكاد سنا ضوئه يخطف بالأبصار وبالخلعة جميع وسامات (نياشين) الدولة إلا « خاندان آل عثمان » الذى لا يعطى إلا لأفراد الأسرة المالكة وعدد الوسامات ٢١ وساما منها المرصع وغير المرصع . أما المكتوب السلطاني (الفرمان) فيشمل قرطاسين كبيرين من الورق أحدهما مكتوب باللغة العربية والآخر باللغة التركية وطول العربي متر و ٤١ سنتيا وعرضه ٧٩,٥ سنتيا وفيه طرة عثمانية باسم جلالة السلطان محلاة بماء الذهب تحتها ٢١ سطرا وفوقها ١٤ سطرا وطول السطر ٧٠ سنتيا وعرضه ١,٤ سنتى وبين السطر والآخر سنتيان أنظر المكتوب العربي فى الرسم ٤٩ وعنوانه ومقدمته فى الرسم ٥٠ ، أما المكتوب التركى (الفرمان) فطوله ١,٤٢٥ متر وعرضه ٧٨,٥ سنتيا وبه ثمانية أسطر وثلاث طول السطر ٦٩ سنتيا وعرضه ٢٦ مليمترا وبين السطرين فضاء ٥,٥ سنتيات وتراه فى (الرسم ٥١) وعنوانه فى (الرسم ٥٠) وقد بلغنى أن من يخط الفرمان يتناول مرتبا شهريا قدره ٤٠٠ جنيه عثمانى وإن من يتأمل الخط ووضعوه وحسن تنسيقه يرى أن كاتبه يستحق مكافأة جزيلة ولكن لا ينبغي أن تكون لهذا القدر ٤٨٠٠ جنيه فى السنة بل يكفى مرتب مناسب على أنه لو عمل له طابع (إكلشيه) لو فر هذا المقدار وصرف فى وجوه الإصلاح الأخرى ، وما على الكاتب اذا تغير أمير مكة إلا أن يكتب اسم الأمير الجديد بخطه فقط إذ عبارة المكتوب السلطاني لا تغير، وهذان المكتوبان سطرا بأجمل خط عربى ويتضمنان الثناء على الشريف والخليفة ونصح الأول بمساعدة الحجاج وكف أذى العربان عنهم وصرف المرتبات لأربابها وفيهما كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تأخذ بمجامع القلوب ولكنها مواعظ لم تصادف الأذن الصاغية والقلوب الواعية فانك تسمع عقب تلاوته دوى الرصاص يرمى به الأعراب حجاج البيت الحرام وترى دولة الشريف يقول «سيوهم» فما أرق الموعظة وما أقسى القلوب .

التهنئة بالعيد في منى

شغل الناس عن التهنئة بالعيد في يومه لأنهم ذهبوا الى مكة لأداء طواف الإفاضة بعد رميهم بحمرة العقبة في صباح العيد، وفي اليوم الثاني أخذوا يتزاورون مهنتا بعضهم بعضا بالعيد الأكبر . بعد أن آتت الحفلة بتلاوة فرمان زرت مع الأمير والأمين الوالى والأشراف ورئيس العسكر السلطاني ورئيس المالية « المحاسبى » وأمير المحمل الشامى وأمينه وهنأناهم بالعيد وقدمت لنا المشروبات الحلوة وأطلق أمير الحج الشامى ١١ مدفا تحية لأمير الحج المصرى ثم رجعنا الى أما كنا انتظارا للرائين كما هي العادة في الأعياد .

وفي الساعة ١١ العربية تفضل دولة المشير أحمد باشا راتب بزيارتنا فزار الأمير والأمين ورئيس الحرس كلا في مكانه وكان يرتدى ملابس التشريفة الكبرى ، وكان بصحبته صاحب السعادة اللواء صادق باشا العظم المدير العام للإشارات البرقية المجازية وقد احتفينا بهما الاحتفاء المناسب لمقامهما وأطلقنا لقدمهما وترحالهما ٢١ مدفا وسرهما حسن النظام العسكرى ، وكانت الجنود قد اصطفت صفين سارا بينهما وقد قدمت لدولة الوالى ضباط الحرس فوقف وصافحهم وأثنى عليهم ، وبعد تناول القهوة والأشربة الحلوة أنصرف مودعا بمثل ما قوبل به فصدحت الموسيقى بالسلام العظيم ولا أنسى الثناء على حضرات الضباط في هذا الموطن فانهم أحضروا جميع ما لديهم من السجاجيد والكراسى ووضعوها في سرادقى مما جعل منظره حسنا بهيجا وإن ذلك منهم لآية على حسن طويتهم وحبهم لما يعلى رئيسهم ، وكذلك زاركلا منا في سرادقه أمير المحمل الشامى وأمينه فأحتفينا بهما وأطلقنا لقدمهما ١١ مدفا وقد كانا بملابسهما الرسمية وعلى كل وسام (نيشان) عثمانى من الدرجة الأولى ، وبعد تناول القهوة والشاى عادا بسلام شاكرين حسن اللقاء ودماثة الأخلاق ، وممن زارنا الشريف على باشا ومحمد ناصر غالب باشا وقد لبنا عندنا زهاء ساعة مسرورين من قيامنا لهم بالواجب ، وزارنا أيضا الشيخ الشيبى ووكيل الشيخ السنوسى وأبن الشيخ الفاسى

وكثير من الضباط العثمانيين والمججاج وخدام المسجد الحرم (الأغوات) وقد استمرت تلك الزيارات حتى الساعة السادسة ليلا ، وكان الضباط يحتفلون بالزائرين ويعنون براحتهم .

الزيينات بمِني — هذا وقد أقيمت في مساء ١١ ذى الحجة الزيينات بمِني عند خيم الشريف والوالى وأميرى المحملين وأطلقت « الصواريح » بعد العشاء ، وقد هرع الناس الى زينة المحمل المصرى لجمالها وحسن تنسيقها وليسمعوا الموسيقى والمزمار البلدى ، وكان الزحام شديدا خصوصا فى سرادقى إذ رأوا فينا أكفا موطأة وصدورا رحبة ووجوها باشة .

ذبائح منى وسوقها — كان المججاج فى هذا العام يقاربون مائة وخمسين ألفا وكان أكثرهم ينخر الهدايا بمِني فى ساعة واحدة من يوم النحر، وكان الناس فى الأعوام السالفة ينحرون بالقرب من منازل المججاج وفى ذلك تلويث الأماكن بالدماء وإثارة الروائح الكريهة التى تجعل الهواء موبوءا والأجسام معتلة ولكن فى هذا العام عملت حفر كثيرة بعيدة عن منازل المججاج بألف متر أريقت فيها الدماء فلم يلوث الهواء بمِني ولم نشم الروائح البشعة وكان الجو معتدلا — ولكنه بالليل بارد — من أجل هذا كانت صحة المججاج حسنة ولم يمرض أحد منا . وكان ثمن الشاة من ريالين ونصف الى ثلاثة ونصف وكان يؤخذ للشريف على كل رأس من الغنم تباع للمججاج خمسة قروش من البائع .

ومِني سوق تجد بها ما يلزم من سلاح وملابس وسجاجيد وطنافس (أكلمة) ومرجان وخرز، والمبيعات معظمها بالطريق وقليل بالحوانيت، والعربى يشتري من هذه السوق ما يلزمه طول السنة .

الرجوع من منى الى مكة

فى الساعة الثامنة العربية من يوم ١٢ ذى الحجة سنة ١٣١٨ رحل ركب المحمل ورمى الجمار الثلاث فى زحام شديد لم نرله مثيلا إذ قطع المحمل المسافة بين الجمرة

الصغرى وجمرة العقبة في ساعة بينما هي لا تزيد على ٣٠٠ متر ثم تابعنا السير فوصلنا مكة في منتصف س ١١ وأدخلنا المحمل الى فناء المسجد الحرام من باب النبي صلى الله عليه وسلم حسب المعتاد وتركنا لحراسته بعض الجنود وبقي بالمسجد حتى يوم الاثنين ٢٥ ذى الحجة حيث أحتفل بسفره من مكة الى المدينة بعد أن ورد لنا كتاب تركى من دولة الوالى بتعيين موعد الاحتفال وترى الكتاب بنصه فى (الرسم ٥٢) وهو وإن كان فى سنة ١٣٢٥ فان نصه لا يتغير .

الاحتفال بفتح «المسافرخانة» السلطانية

فى يوم الخميس ١٥ ذى الحجة أحتفل بفتح المضيضة (المسافرخانة) التى شيدها لفقراء الحجاج جلاله السلطان عبد الحميد من ماله الخاص وقد أقيم بناؤها فى فضاء واسع جنوبى مكة الغربى وقد حضرت مع ضباط المحمل وحرسه هذا الاحتفال بدعوة من الوالى ، وفى الساعة الأولى العربية اصطفت عساكرنا بالفضاء الواسع أمامها فى الجهة الغربية والعساكر العثمانية فى الجهتين الشرقية والبحرية ومع كل قسم موسيقاه وقد ازدحم باب المضيضة بأكابر مكة وأشرفها ومعهم أميرا المحملين وأميناهما ، وفى منتصف الساعة الثانية حضر دولة الوالى فخيته الجنود بهتافهم وموسيقاهم وصاغ الحاضرين ثم صعد الى الطبقة العليا منها فرأى حجراتها وطرفاتها فأعجب بنظامها ثم نزل الى الطبقة الأولى ولم تمض عشرون دقيقة حتى شرف أمير مكة وحاكمها الحقيقى فخيته الجنود والموسيقى بالسلام السلطانى وقبل يده جميع الحاضرين ثم أمر بقراءة خطبة كلها دعاء وثناء وتعيد لما آثر السلطان ، وبعد قراءتها صدحت الموسيقى بالسلام الملكى معقبا بالهتاف لجلالة السلطان ، وقد بدأ القسم المصرى بالسلام أولا فالقسم العثمانى الشرقى فالقسم البحرى ثم دخل الشريف المضيضة وجلس فى حجرة من طبقته الأولى ومعه الوالى والمدعوون — ويقال : أنه أمر بالوسام (النيشان) المجيدى الثانى لأمير الحج المصرى وبالمجيدى الثالث لأمين الصرة ولكنه شئ سمعناه ولم نره — والظاهر أنه قصد بتلك الاشاعة أن يتساهلا

مع الشريف فى تقدير أجراء الجمال ولا يتشدددا ولكن هيات أن تجوز عليهما الحيلة ثم صعد الى الطبقة الثانية ووقف بطنف (تراسينة) فيها لي شاهد العساكر حين انصرافها الى ثكاتها وقد سرت كثيرا من نظام القسم المصرى وجميل شكله ، وبعد فراغنا من التحيات العسكرية دخلت المضيضة وتفقدتها فاذا هى بناء نغم محكم البناء جميل النظام يحتوى على طبقتين مسقوفتين بالحديد الذى يتخلله عقود بالأجر الأحمر الافرنكى والبياض متقن جدا فى نعومة وهو من المواد العادية ومسحوق الرخام ، والأرض مرصوفة بالبلاط ، والجهتان البحرية والشرقية تم بناؤهما وبياضهما وورصف أرضهما أما الجهتان الأخرى فلم يتم تجصيصهما وتبليطهما ، وللضيضة فناء واسع كانت به حفر كثيرة خلفتها الأتربة التى أخذت للبناء ، وطول الضلع البحرية من هذه السراى ١٥٠ مترا فى منتصفها الباب العام تعلوه « الأرمة » العثمانية المذهبة وضلعها الشرقية ٩٠ مترا بالتقريب والقبلى مثل البحرى والغربى كالشرقى وجميع أبوابها ومنافذها مصنوعة من الخشب المتين الذى طلى بطلاء جوزى ، ومفاصل الأبواب والنوافذ ومقابضها وزواياها مصنوعة من النحاس صنعا متقنا ، وبيوت الخلاء بعيدة عن مبانى الحجرات حتى لا تؤثر فى الجدران بالترشيح ولا تشم روائحها الكريهة ، ولم تكن الأنايب والصنابير (الحفريات) قد وضعت بها وإن يعجبك هذا النظام فاعجب لهذه السراى التى بها ناظر وخدم وطباخون يأخذون مرتبهم من ثلاث سنين خلت فى حين أنه لا توجد حجرة من حجراتها مفروشة ولا يوجد بها فقير واحد . وقد بلغنى أن جلالة السلطان أنفق على إقامتها ٩٠٠٠٠٠ جنيه مجيدى (الجنيه المجيدى ٨٧,٧٥ قرشا مصرى) وقد أخذت رسم المضيضة فى سنة ١٣٢٥ وهو كما تراه فى (الشكل ٥٣) .

زيارة غار حراء (جبل النور)

روى البخارى فى صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت :
أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فى النوم

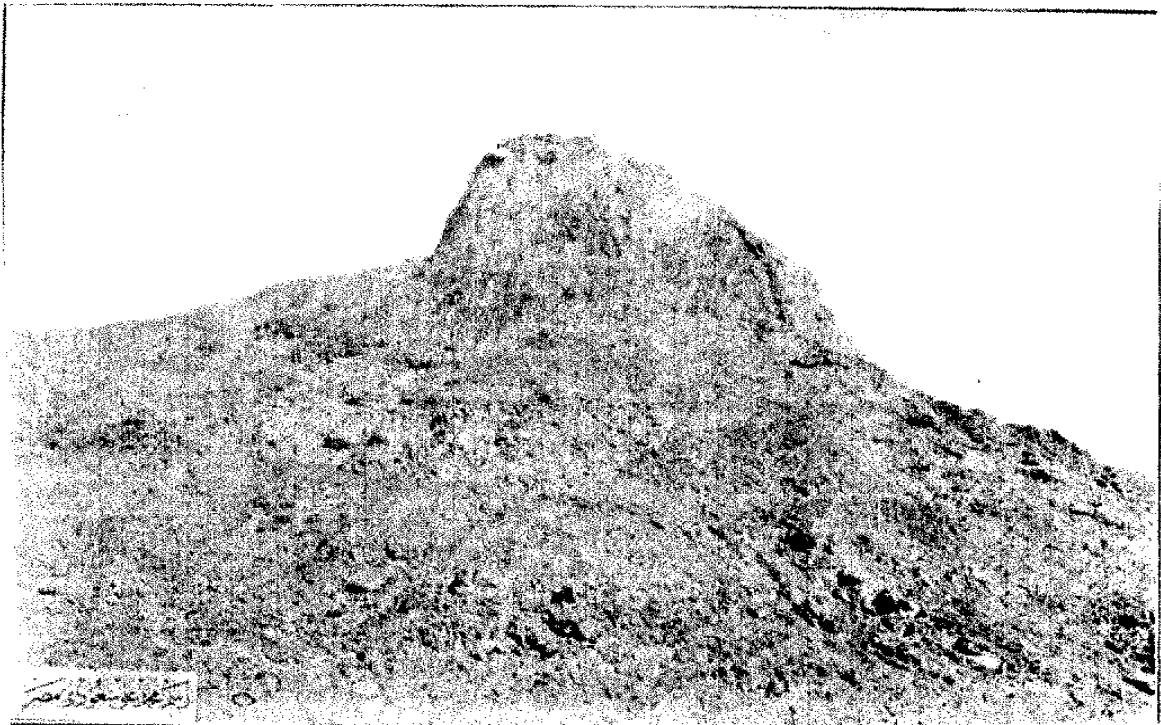
منظر من جامع مكة المكرمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْزِلَةُ الْعَجَّازِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ

53. The Rest House at Mecca.

جبل غار حراء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْزِلَةُ الْعَجَّازِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَسْكِينِ

54. The Mount of the Cave of Hera at Mecca.

فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ^(١) ثم حبيب اليه الخلاء فكان يخلو « بغار حراء » فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتروّد لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتروّد لمثلها حتى جاءه الحق ^(٢) وهو في « غار حراء » بجاءه الملك فقال : اقرأ قال : ما أنا بقارئ قال : فأخذني فغطني ^(٣) حتى بلغ مني الجهد ^(٤) ثم أرسلني فقال اقرأ : قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ^(٥) . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال زملوني ^(٦) زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ^(٧) وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق - الحديث ^(٨) .

فترى من هذا مكانة « غار حراء » وأنه كان متعبدا للرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأن به نزلت أول سورة من القرآن الذي هو نور وهدى للناس وفيه شفاء لما في الصدور فلا تعجب إذا رأيتنا ولعين بزيارة هذا الأثر، ففي يوم ١٦ ذى الحجة سنة ١٣١٨ قصدت جبل حراء في جملة من الضباط والعساكر وبعض المجاهدين فوصلنا إليه بعد خمسين دقيقة بسير الخليل المعتاد، وهذا الجبل يقع في شمالي مكة على يسار الذهاب إلى عرفات بعيدا عن جادة الطريق بنحو ميل، ويقول ياقوت

(١) بياضه . (٢) الوحي . (٣) الغط : العصر الشديد، ومنه الغط في الماء : الغوص قيل : إنما غطه ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئا . (٤) الطاقة . (٥) دم غليظ . (٦) يضطرب قلبه . (٧) لفوني في الثياب . (٨) الخوف . (٩) القرابة . (١٠) الضعيف . (١١) تكرمه .

في معجمه : إنه على ثلاثة أميال من مكة وأنه جبل شامخ أعلى من ثبير وفي أعلاه قلة شامخة زلوج - أنظر الجبل في (الرسم ٥٤) - وفي ميسرة القِمة نفس غار حراء، وقد صعدنا هذا الجبل في ٣٥ ق مع أن ارتفاعه حوالي ٢٠٠ متر ولكنه يكاد يكون عموديا فلذا كان صعب المرتقى واضطررنا إلى الاستراحة مرتين أثناء الصعود وأغمى على بعض الضباط ولولا ما معنا من الماء الذي رششنا به وجهه لحصل ما لا تحمد عقباه ، ولذا يجمل بمن رام صعوده أن يستصحب بعض المياه خصوصا في آونة الحر ، وقبل أن نصل الى قنة الجبل بثلاث دقائق وجدنا خزاناً نحت بالجبل لحفظ مياه المطر يبلغ طوله ٨ أمتار في عرض ٦ وعمق ٤ وله درج للوصول إلى قاعه وكان خاويا من الماء، ووجدنا بجانبه امرأة عربية تصنع القهوة والشاي للزائرين في موسم الحج وتبيعهما بالثمن وقد تناولنا من شايبها وقهوتها وفرشت لنا بساطا من الصوف، ومكثنا في حضرتها نصف ساعة ونقدناها الثمن مضاعفا مكافأة على ما قدمت ثم تسمننا ذروة الجبل وإذا فيها بناء متين تعلوه قبة طوله ٦ أمتار في مثلها عرضا في ٨ ارتفاعا وفي أرض هذا البناء حجر أملس أسود به شق في وسطه أشبه بالفتحة التي نراها بمصر في صناديق الخطابات بها آنحدار إلى أسفل ويقال : إنه المكان الذي شق فيه صدر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولكن أخرج «البخارى» في صحيحه عن مالك بن صعصعة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم . "بيننا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر بين الرجلين^(١) - فأتيت بطست من ذهب مليء حكمة وإيمانا فشق من النحر الى مَرَأَقِ البطن ثم غسل البطن بماء زمزم ثم مليء حكمة وإيمانا" - الحديث . وجاء في كتاب الشفاء : روى يونس عن ابن شهاب عن أنس قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست" الخ

(١) في بعض الروايات : وذكر يعنى رجلا بين الرجلين والمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان نائما بين رجلين حينما أتى بالطست فالضمير في ذكر يعود الى النبي صلى الله عليه وسلم ، والرجلان حمزة وجعفر يوضح ذلك رواية مسلم من طريق سعيد عن قتادة بلفظ إذ سمعت قائلا يقول : أحد الثلاثة بين الرجلين .

(ص ١٤٤) وأكثر الأحاديث على أن شق البطن كان في صغره صلى الله عليه وسلم وهو عند حليلة السعدية وقد قالت في ذكر قصة الشق لأمه آمنة بنت وهب: بينما هو وإخوته في بهم^(١) لنا خلف بيوتنا الخ، فأين البيت الحرام أو سقف بيت الرسول صلى الله عليه وسلم أو ما وراء بيوت حليلة من قنة جبل حراء التي زعم الناس أن بها مكان شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم؟ اللهم إن هذا بهتان مبین ظنه الناس صدقا وتوارثوا هذا الظن حتى بلغ من نفس السلطان عبد العزيز أن حركة لبناء قبة على هذا المكان المزعوم في سنة ١٢٧٩، وقد وجدت هذا مكتوبا على حجر في جدارها الجنوبي محلي بماء الذهب، وفي الجهة الجنوبية من القبة غار حراء الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على ما أسلفنا لك، والإنسان ينحدر إليه من قنة الجبل على درج حجري غير منتظم أشبه بالسلم، والبعد بينه وبين القبة نحو ٥٠ مترا وهذا الغار عبارة عن فجوة بابها نحو الشمال تسع نحو خمسة أشخاص جلوسا وارتفاعه قامة متوسطة وقد صلينا فيه ودعونا ووجدنا هناك بعض الحجاج من الأتراك يزورون هذه الآثار. والواقف على قنة هذا الجبل يرى مكة وأبنيتها العظيمة وقلاعها الحصينة كما يرى جبل ثور، ولون الجبل ذهبي حتى لو حدقت النظر في قطعة منه تخالها ذهبا إبريزا ولذلك إذا سطعت عليه الشمس ترى له منظرا من أجمل المناظر وأبهجها، وقد أخذت قطعة صغيرة منه ولكن للأسف عملته إحدى الخدم كأنونا بمدينة الوجه فتركت القطع هناك، ومما ينبغي لزارى هذا الجبل أن يحملوا معهم الماء الكافي وأن يكونوا جماعات يحملون السلاح حتى يدفعوا عن أنفسهم شر اللصوص من العربان الذين يتربصون الفرص لسلب الحجاج أمتعتهم ونقودهم خصوصا في مكان منقطع كهذا لا يقصده إلا بعض الحجاج، وقد بلغني أن اعرابيا قتل حاجا فلم يجد معه غير ريال واحد فقيل له: تقتله من أجل ريال؟ فقال وهو فرح "الريال أحسن منه" فانظر كيف بلغت القسوة من هذه القلوب وكيف أعماها حبها لدرهم معدودة عن المحافظة على أرواح بريئة تقوم بشعيرة من أكبر الشعائر الدينية في مكان جعله الله حرما

(١) بهم جمع بهمة وهي ولد الضأن ذكرا كان أو أنثى .

أَمَّا لِلنَّاسِ ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ هذا وفي سنة ١٣٢١ رقينا الجبل وكان معنا صاحب الدولة وزير حربية مرا كش السيد المهدي المنبهي ولما أن نزلنا ضربنا في سفح الجبل فسطاطا تغذينا فيه مع الوزير الذي واسى الفقراء بماله وطعامه .

زيارة غار ثور

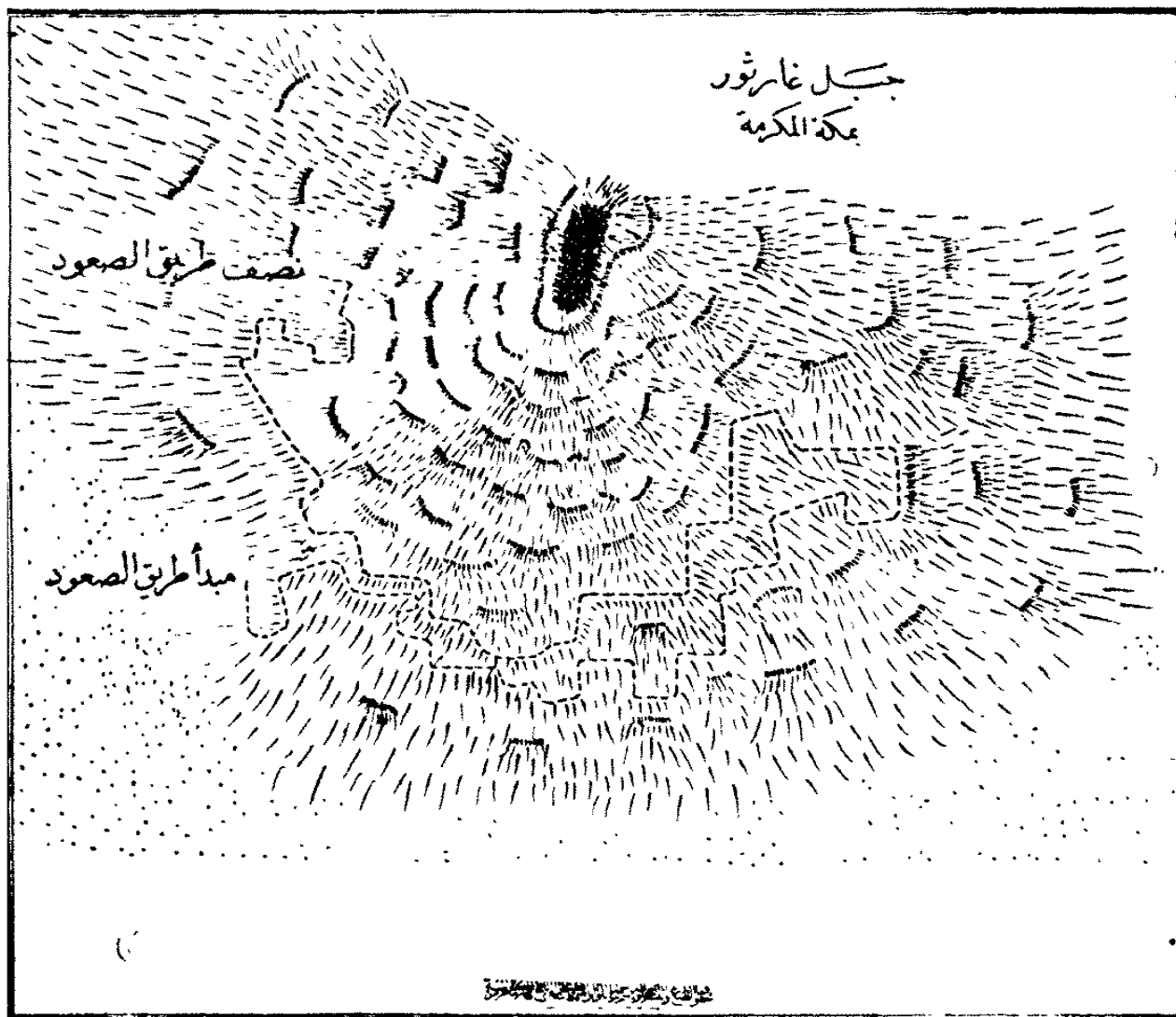
قال تعالى في سورة التوبة ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وأخرج البخاري في صحيحه في باب « ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ » من كتاب التفسير — عن أنس قال : حدثني أبو بكر رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار فرأيت آثار المشركين قلت : يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رأنا قال : « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » اه ، وذكر الحاكم في مستدرکه عن عمر : قال نرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له : يا رسول الله أذ كر الطلب فأمشى خلفك ثم أذ كر الرصد (من يرصدهم وينظرهم) فأمشى بين يديك فقال عليه السلام : يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني ، قال : نعم والذي بعثك بالحق . فلما انتهى الى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار فدخل فاستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة ، فقال : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الحجرة فدخل واستبرأ الحجرة ثم قال انزل يا رسول الله ، فنزل فمكثا في الغار ثلاث ليال حتى نهدت عنهما نار الطلب فجاءهما عبدالله بن أريقط بالراحتين فارتحلا . اه .

فترى من هذا أن غار ثور هو الغار الذي اختفى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من دعاة الباطل وأعداء الحق الذين مكروا به مكراً بُجَّاراً - ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ - وأن الرسول اختفى به مع أبي بكر ثلاثاً حتى انقطعت عنهما نار الطلب ثم خرجوا منه الى المدينة حيث كانت عزة الاسلام وأهله . لهذا كله وددنا ان نرى هذا الأثر رأى العين ، فخرجنا من مكة قبل فجر يوم ١٨ ذى الحجة سنة ١٣١٨ (٨ أبريل سنة ١٩٠١) قاصدين زيارة هذا الغار وكان بصحبتنا صاحبنا الفضيحة الشيخ محمد طموم والشيخ محمد أحمد السيوطى صهرانا وجملة من الحجاج وثلة من الجنود نتقى بهم شرار الأعراب فى سبيل لا يمر به إلا القليل وقد انتخبنا ناحية الجنوب فى سيرنا وصلينا فرض الصبح قبل الوصول الى الجبل ، وقد قطعنا المسافة بينه وبين معسكرنا بالشيخ محمود فى ساعة و ٢٠ ق بسير الخيل المعتاد وهى قريبة من خمسة أميال ونصف ، والطريق من مكة الى الجبل تحفه الجبال من الجانبين وبه عقبة صغيرة يرتفع اليها الانسان وينحدر منها ولم يستغرق قطعها إلا ٣ ق وبالطريق سبعة أعلام مبنية بالحجر ومجصصة فوق نشوز من الأرض يبلغ ارتفاع الواحد منها ثلاثة أمتار وقاعدته متر مربع وتنتهى بشكل هرمى ، وهذه الأعلام على يسار القاصد للجبل ، وبين كل اثنين منها بعد يتراوح بين ٢٠٠ مترو ١٠٠٠ متروكل واحد منها وضع عند تعريجة حتى لا يضل السالك عن الجبل ، وساعة بلغنا الجبل قسمنا قوتنا قسمين قسم صعد معنا الى الجبل والآخرووقف بسفحه يردنا عادية العربان إن هموا بالأذى . وقد تسلقنا الجبل فى ساعة ونصفها بما فى ذلك استراحة دقيقة أو اثنين كل خمس دقائق بل فى بعض الأحيان كنا نستريح خمس دقائق لأن الطريق وعمر حلزونى ، وقد عدت ٥٤ تعريجة الى نصف الجبل وكنا آونة نصعد وأخرى ننحدر حتى وصلنا الغار بسلام ، ولولا الاصلاح الذى أحدثه المشير عثمان باشا نورى الذى ولى الحجاز سنة ١٢٩٩ هـ . والمشير السيد اسماعيل حتى باشا الذى كان واليا على الحجاز وشيخا للحرم سنة ١٣٠٧ هـ لأزدادت الصعوبة وضل السائر عن الطريق ولم يهتد الى الغار لعظم

الجبل وآتساعه وتشعب مسالكه (الرسم ٥٥) وكان من أثر إصلاحهما جعل الطريق بهيئة سلام تارة تتصعد وأخرى تتحدر على أنه مع ذلك لا يزال العروج صعبا فقد رأيت بعض الصاعدين أمتقع لونه وخارت قواه فوقع على الأرض مغشيا عليه ولولا أننا تداركناه بجرعة من الماء شربها وصباية منه سكبناها على رأسه حتى أفاق لباغته المتية، ولهذا نتصح للزائرين بأن يتزودوا من الماء ليقوا أنفسهم شر العطب .

ولما بلغنا الغار وجدناه صخرة مجوفة في قنة الجبل أشبه بسفينة صغيرة ظهرها الى أعلى ولها فتحتان في مقدمها واحدة وفي مؤخرها أخرى وقد دخلت من الغربية زاحفا على بطني مادا ذراعى الى الأمام وخرجت من الشرقية التي نتسع عن الأولى قليلا بعد أن دعوت في الغار وصليت ، والفتحة الصغيرة عرضها ثلاثة أشبار في شبرين تقريبا وهى الفتحة الأصلية التي دخل منها النبي صلى الله عليه وسلم وهى فى ناحية الغرب أما الفتحة الأخرى فهى فى الشرق ويقال : أنها محدثة ليسهل على الناس الدخول الى الغار والخروج منه ، والغار من الجبل فى الناحية الموالية لمكة وقد وجدنا بجانبه رجلا عربيا يتناول الصدقات من الزائرين فى مواسم الحج ويرشدهم الى الغار إذ توجد هناك صخور تشبه صخرته ولكنها لا تماثلها تماما ، وقد مكثنا فوق ظهر الجبل ساءتين أكلنا فيهما وشربنا وتناولنا الشاى وتفقدنا كثيرا من نواحي الجبل ، وقد نزل فى خلالها القسم الذى زار وجاء القسم الذى تركناه بسفح الجبل ليزور ، وقد قدم علينا ونحن على ظهر الجبل نحو عشرين من حجاج الداغستان ففرحوا بنا ورافقونا الى أن رجعنا الى مكة . ولا يقصد زيارة هذا الغار وغار حراء إلا قليل من الأتراك والمغاربة والداغستانيين ولم يسبقنا الى هذه الزيارة أحد من المصريين بل ولا من المكيين إلا ما ندر ، وقد بلغنى من أناس يقيمون بمكة منذ أربعين سنة أنهم لم يصعدوا الى هذين الجبلين ولا رأوا من المصريين أو مرافق الحمل من قصدهما فله المنة علينا . أنظر الغار فى الرسم ٥٦ الذى أهدها إلينا فى سنة ١٣٤٢ حضرة أحمد أفندى صابر ناظر التكية المصرية بمكة فله منا الشكر الجزيل على هذه الهدية القيمة .

جبل نور وطريق الصعود عليه



وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ

55. Thor's Mountain and road of ascending same.

(غار ثور) رسم احمد صابر ناظر تسكية مكة



هذا منظر الغار الذي نزل فيه قوله تعالى (الان
 نزلوه فقد نطروا الله اذ افرجه الدين كفرة
 انما في اسبغ اذ هما في الغار اذ يقول لهما
 خذوا هذه اية الله فيها الخ من سورة التوبة
 كبريا في لغار بام القرى في يوم الاثنين ٩ جمادى
 الاولى ١٣٤٢ و ١٧ ربيع الثاني ١٩٥٩ احمد صابر ناظر

بجواز طبع والتوزيع واستمر في الاصدار في مكة المكرمة

56. The Mount of the Cave of Thawr at Mecca.

وارتفاع جبل ثور يزيد على ٥٠٠ متر والواقف في أعلاه يشرف على كل ماحواله من الجبال ويرى مكة وما حولها واضحة ظاهرة وكذلك يرى حدة (بالحاء المهملة) بنخلها وبأعلى ثور علم يسترشد به الناس لمعرفة هذا الجبل وهو مبنى بالحجر ومبيض بالحص ويشبه الأعلام التي وصفناها قبلا في طريقه أنظر (الرسم ٥٥) والجبل ذوالوان مختلفة من ذهبي وفضي وخمى وما يشبه الأسمت وما يماثل المرمر، وربما كانت له ألوان أخرى في جهات لم أرها وقد أخذت من كل معدن قطعة ولكن فعلت بها الخدمة ما فعلت بالقطع التي أخذتها من جبل حراء — سامحها الله — غير أنها تركت قليلا عرضته بعد حضوري الى مصر على بعض الصاغة فأخبرني بأن معدنه من الذهب ولكنه غير مستو؛ هذا وقد زار غار ثور سيدى عبد الله بن محمد ابن أبى بكر العياشى وذلك في يوم الأربعاء ٨ شوال سنة ١٠٥٩ كما جاء برحلته المطبوعة سنة ١٣١٦ وقد ذكر فيها أنه مشى إلى الجبل من طريق بين الخدمة وأبى قبيس لقربه وان كان وحرا ومسافته ثلاثة أميال أما زيارتنا فكانت من طريق المسفلة وهو أطول وأسهل وقد وصف الغار وصفا دقيقا وذكر ما قاساه من المشاق في الصعود الى هذا الجبل على نحو ما وصفنا (أنظر ص ١٠٢ جزء ثانى من رحلته).

عادات المكين بعد موسم الحج

بعد انقضاء الموسم يقيمون الأفراح ويزوجون الأولاد ويتروضون جهة الطائف والزاهر والأماكن التي بها بساتين ويستصحبون معهم المغنين وآلات الطرب لأنهم ولعون بالآغانى، وفي شهر رجب يقصدون المدينة للزيارة وفي ذلك ينفقون ما جمعوا في الموسم الاقليل منهم يستبقى بعض كسبه لينفقه في السفر الى البلاد التي يفد منها الحجاج ليتعرف بمريدى الحج في العام القابل ولينفق معهم على أن يكونوا من مطوفيه وأكثرهم يقترض النقود بفائدة كبيرة لينفق منها في تلك الرحلات على أمل أن يستدها في الموسم وقلما يسدها فيطوق بالديون، وقد كذب ظنهم في هذا العام دولة الشريف فقد قسم مصر وجاوه والهند والمغرب وبلاد الأناضول وغيرها أقساما تسابق المطوفون.

إلى شرائها بأثمان ظنوها متناسبة مع أهمية المركز وثروة حجاجه ، ولكن كثيرا منهم خسر في ذلك خسارة فادحة إذ دفعوا في الأقسام أثمانا باهظة بلغت الخمسين جنيها وزادت ، ولما حان الموسم لم يحصلوا مقدار ما دفعوا ولكن قليلا منهم سعد جده فربح أرباحا عظيمة . وقد نشأت خسارة من خسر من علو ثمن الأقسام ومن أنه كان سافرا إلى بعض الجهات وأنفق في ذلك وفي الهدايا التي كان يأخذها لمريدي الحج النفقات الطائلة ثم ظهر بعد ذلك أن كثيرا منهم لم يأت في القسم الذي اشتراه ، ولما رأى بعض المطوفين أن حجاج قسمه فقراء وما يدفعونه بخس اشتد عليهم وأغلظ لهم القول وحصل من جراء ذلك تشاحن وتساب بين الفريقين . وكانت العادة المتبعة قبل هذا التقسيم أنه يجبي من كل مطوف ريال للشريف عن كل حاج ينزل عنده وبالضرورة يأخذ المطوف من الحاج أمثال هذه الضريبة واو كان في فقر مدقع ، وان كانت لديه شفقة تجاوز عنه وحصل أضعافه من الموسرين ، والشريف لا يقبل أي مطوف من الضريبة مهما قدم من الأعذار فإما أن يدفع وأما أن يزوج به في غيابة السجن ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤْتِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

دولة الشريف عون الرفيق وسلطته بمكة

يلقب الشريف مكة بسيد الجميع تمييزا له عن بقية الأشراف وهو الحاكم الذي لا ينازع في أمر ولا يرد له قول ينهى من شاء ويحبس من شاء ويعاقب من شاء بيده عقد الأمور وحلها وكل الأحكام بمكة طوع وإشارته من كبيرهم أحمد راتب باشا المشير إلى صغيرهم ، فان عارضه واحد منهم عزل في الحال لأن الشريف له يد قوية في الدولة فأى الأمور طاب أجيب إليه بل غالب الشكايات منه ترد إليه ليفصل فيها بما شاء من شرع أو هوى ولا معقب لحكمه فالويل كل الويل لمن شكاه ، نعم هذه اليد المستبدة تناسب حال الأعراب الأشرار الذين لا ترغهم إلا القوة ولا يقومهم إلا البطش بهم ، ولكن لو ضمت إلى القوة العدالة لكبح الأشرار عن سيئاتهم

والتف الناس حوله بأجسامهم وقلوبهم لأن للعدل من السلطان على النفوس ما ليس للقوة العاشمة .

أما الشريف على باشا فله سلطة على الأعراب وله في نفوسهم مكانة واحترام ولذلك لا يردون له فولا وهو الذي يقابلهم اذا حضروا ويفاوضهم اذا عملوا ما لا يرضاه الشريف وود إقلاعهم عنه .

أجر الجمال والمكوس

كان يؤخذ في جدة على كل شقدف يباع ستة قروش مصرية ونصف — روبية — وهي وان كانت تؤخذ من البائع لكنها في الحقيقة يدفعها المشتري اذا يلاحظها البائع في تقدير الثمن ويؤخذ من أجرة الحمل الذي يقل الحاج من جدة الى مكة ربالان للشريف وخمسة قروش عثمانية (٤ قروش مصرية) للحكومة وريال آخر لوكيل المطوف بجدة ولتعهد الجمال (المقوم) — ضرائب ما أنزل الله بها من سلطان — وقد كانت أجرة الحمل من جدة الى مكة ٦ ريالات «برم» (وهو عشرة قروش مصرية تقريبا) في بدء الموسم هذا العام فاذا نقصنا تلك الضرائب من هذه الأجرة كان الباقي للجمال أجرة له وللجمل دون ٣ ريالات أى أقل من نصف الأجرة وإن ذلك لظلم بين يحمل الجمال على أن يسلب من الحاج ما أستطاع ، والأجرة وإن كانت في أول الموسم ٦ ريالات «برم» لكن عند وصول المحمل الى جدة بلغت ١٢ ريالا ثم أخذت تزداد حتى بلغت ٣٠ ريالا ثم تناقصت الى ٦ ريالات كما كانت أولا وكان آخر نقص لها يوم ٧ ذى الحجة ، والسبب في ارتفاع الأجرة الى ٣٠ ريالا أن الحجاج كثروا وودهم من جهات جدة والمدينة والجهات الشرقية بحال لم يسبق لها مثيل حتى كانت الطريق لا تخلو لحظة واحدة ليلا ونهارا من مرور الحجاج بها ، وقد قدمنا لك أنه في يوم السبت ٢ ذى الحجة قدم من جدة الى مكة ١٥٠٠ حاج مشاة على أقدامهم اقله الجمال . وكان يؤخذ بمكة على كل رأس يباع من الغنم خمسة قروش مصرية وعلى كل جمل خمسون قرشا ، وقد كانت الأجرة من مكة إلى عرفات ذهابا ورجوعا للجمل ذى الشقدف

٧ ريالات « برم » وذى الرحل الذى يركبه شخص واحد ٦ ريالات منها ريال للشريف وآخر للطوف والمقوم فيبقى للجمال ٤ ريالات أو خمسة . وأجرة الحمل من مكة الى المدينة الى ينبع كانت لدى الشقدف ٣٣ ريالا منها ١٢ ريالا للشريف - جنيهان انكليزيان - وريال ونصف للمخرج^(١) وريالان للطوف وريال للمتعهد (المقوم) وريال للحكومة وربع ريال للرهيئة (كل قبيلة تقدم واحدا عنها تحبسه الحكومة حتى يصل الراكب بسلام الى الجهة التى يقصدها وتأخذ الحكومة ربع الريال فى نظير ذلك) فيكون الباقي للجمال من ذلك ١٥ ريالا أو ١٤ وأدهى من ذلك وأمر أنه يؤخذ من الجاويين أربعة جنهيات من كل حاج لافى مقابلة عمل ولكنهم لغناهم وتساهلهم يطمع فى نقودهم ، وللمتعهدين طريقة فى التخلص من الضرائب التى تدفع عن كل حمل مؤجرو ذلك أنهم يتفقون مع كل حاج على عدد معين ولكن عند الخروج من مكة يحملون بعض العدد فقط أحمالا فوق الطاقة والباقي يخرج غير حامل شيئا فلا تؤخذ عليه الضريبة اذ يزعم المتعهد أنه غير مؤجر وبعد الخروج من مكة توزع الأمتعة على العدد المتفق عليه وكثيرا ما يتفقون مع الحاج على عدد معين يقدمونه فى أول الأمر له ويتفقون على أجرته حتى اذا ما رحلوا أخذوا منه بعض ما آتفقوا عليه وأجروه لآخرين فيؤجرون الحمل مرتين ويتقاضون الأجرين - وانه و ربك لظلم بين وطمع مرد - ثم هل سمعت بمثل هذه الضرائب القاسية التى يأبأها الاسلام وينكرها أشد الإنكار، إن غاية ما قرره الاسلام فى نظام الضرائب ٢٠ ٪ لافى مال يكد الإنسان فى تحصيله ويعرق فيه جبينه ، ولكن فى أموال تقع فى يد المرء بلاكد ولا تعب كالمعادن وكنوز الجاهلية ، ولكن لا تعجب من أعمال هؤلاء فالدين اغو على ألسنتهم لم يتمكن بعد من نفوسهم فتراهم ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ ولو علمت دولنا فرنسا والروسيا هذه المظالم التى يتكبدها الحجاج لما منعوا رعاياهم المسلمين عن الحج اذ لو حضروا ورأوا هذه المظالم بأعينهم لرغبوا عن الحج ولم يحدثوا

(١) الذى يتولى إخراج القوافل .

به أنفسهم تارة أخرى بل لبثوا في نفوس إخوانهم كراهيته ، وإذ ذلك يمتنعون من تلقاء أنفسهم عن الحج دون أن يتكلف حكاهم مشقة المنع ونتأجه ولكن « البعيد أعمى » .

وكل ما قدما لك في أجرة الجمال إنما هو للحجاج الذين لا يتبعون المحمل أما ركبهم فلهم طريقة أخرى في تقدير الأجرة للجمال التي يحتاجون إليها .

أجرة الجمال التي تقل ركب المحمل — هذه الأجرة تقدر بمعرفة صاحب الدولة شريف مكة الذي لا يرد له قول ولا يخالف له أمر مهما كانت الأجرة المقدرة، فمعارضة أمير الحج وأمين الصرة لا تجدى شيئا بل لاتجد الأذن السامعة وعلى ذلك أخذت الأجرة تزداد شيئا فشيئا خصوصا في الخمس السنين الأخيرة حيث زادت زيادة فاحشة وهاك البيان .

في سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٥ م) كانت أجرة الجمل من مكة الى المدينة ١٨ ريالاً (برما) لدى الشقدف و ١٧ لدى الرحل، وكانت من مكة الى المدينة فينبع البحر ٢٣ ريالاً للأول و ٢٢ للثاني ومن مكة الى المدينة ثم الى جدة ٢٨ للأول و ٢٧ للثاني ومن مكة الى المدينة فالوجه ٣٥ ريالاً للأول و ٣٤ للثاني، ومن جدة الى مكة ٢ ٣ وهذا لكثرة الحجاج وغلو الأثمان كما هو مذكور في رحلة المرحوم صادق باشا، واستمرت الزيادة بعد ذلك الى أن كانت في سنة ١٣١٤ وما بعدها كما يأتي :

ملاحظات	السنة	الأجرة من مكة للديرة فالوجه	الأجرة من مكة لعرفة ذهابا وإيابا	الأجرة من حدة الى مكة	مجموع أجرة الجمل الواحد
	١٣١٤	٦٧٠	٩٠	٩٠	٨٥٠
في هذه السنة لم يعين مع المحمل قسم عسكري	١٣١٥	١١٨٤,٥	٨٧,٧٥	٨٧,٧٥	١٣٦٠
» » » » »	١٣١٦	١٢٢٨,٥	١١٠	١٣١,٥	١٤٧٠
	١٣١٧	١٢٦٧,٥	١٩٥	١٩٥	١٦٥٧,٥
	١٣١٨	١٤٦٢,٥	٢٩٢,٥	٢٤١,٥	٢٠٩٦,٢٥

ومن هذه المقارنة 'تبين لك الزيادة المطردة من سنة ١٣١٥ التي لم يتعين فيها قسم عسكري يصحب المحمل وكذا في السنة التالية لها والسبب في هذه الزيادة أن المحمل رافقه قوة عسكرية شاهانية في السنين التي خلت من القوة المصرية ولم تدفع حكومتنا نفقات القوة الشاهانية فزادت أجرة الجمال حتى تعوض تلك النفقات والسبب في الزيادة العظيمة هذا العام أن الحكومة لم تخاطب الشريف في شأن الزيادات في السنين السالفة فتعودها وزاد عليها تلك الزيادة الفاحشة التي آستكثرها الناس — وحق لهم ذلك — وقد قلت لدولة الشريف: إن هذه الزيادة المطردة ستنبه الحكومة لوضع حد لها وربما أحدثت تغييرا في النظام المالى للمحمل بسبب ذلك.

الجمالة — بمناسبة الكلام على أجرة الجمال والمكوس نقدم لك كلمتين الأولى في معاملة العربان الجمالة للركب الذي يصحبونه والأخرى في تاريخ المكوس حتى نربط لك الحاضر بالماضى لتستخلص منهما ما ينبغى في المستقبل ، هؤلاء العربان يحافظون على الحجاج وعلى أمتعتهم متى غمروهم بالخيرات من ما كولات ولحوم ومشروب الشاى ، وتزداد عنايتهم بالحجاج إذا وعدوا بكسوة يعطونها في المحطة الختامية وكسوتهم يسيرة المكلفة فهي ثوب قطنى من «البفتة» السمراء وعقال و «كوفية» لا تتجاوز قيمتها عشرة قروش مصرية أما من بخل عليهم بماله فيرونه العذاب ألوانا فتارة يقطعون حزام الجمل فيقع راكبه ويتأخر عن القافلة حتى يصلح الحزام وربما آتتهزوا فرصة الانفراد به وقتلوه إذا لم يبرز لهم الريالات ويتعهد بالغذاء وتارة يؤخرون الجمل عن القافلة بحجة أن الرحل في حاجة إلى إصلاح وما يريدون بذلك إلا فرصة للفتك به . والعربان مغرمون بشرب الدخان فلو أن الحاج أخذ معه قسطا منه وأعطاه لجماله راعاه أحسن مراعاة ومشى بجانبه يحافظ عليه ويهيئ له أسباب الراحة ، ومن عادة العربان أنهم إذا تناولوا الطعام مع الحاج لا يخونونه أبدا وإذا رأوا عربانا من قبيلة أخرى يريدون الفتك به أخبروهم أنه في كنفهم فلا يصلون اليه بسوء وكأنا هو واحد منهم .

تاريخ المكوس - يطلق المكس على الجباية كما يطلق على ما يأخذه العشار ويقال له الماكس : وفي الحديث «لا يدخل صاحب مكس الجنة» والمكوس أخذها قديم ، فقد كان مضاض بن عمرو الجرهمي يعشر من يدخل مكة من أعلاها ، والسميدع يعشر من يدخل من أسفلها ، وكانوا يعشرون أموال العالقة الذين كانوا ولاية مكة قبل جرحهم فآتتهكوا حرمة الحرم فأخرجتهم جرحهم وقطور ، وكانوا يأخذون عشر الميرة التي يأتون بها (أنظر منائح الكرم للسنجاري) وقد أبطل الإسلام المكوس بأنواعها وفرض الزكاة على الناس في أموالهم ، وقد كانت المكوس تؤخذ من الحجاج الذين يمرون من طريق عَيْذاب (قرية على ساحل البحر الأحمر في ديارنا المصرية) ومن فتر منهم جببت منه في جتة وكانت سبعة دنانير (٣٥٠ قرشا) تجبي لأمير مكة ، وفي سنة ٥٧٢ أبطلها السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وكان سبب ذلك أنه حج في هذه السنة الشيخ علوان الأسدي الحلبي فلما وصل جتة طولب بذلك فأبى وهم بالرجوع وترك الحج فلاطفه من هنالك وبعثوا الى والى مكة الشريف مكثر بن عيسى فأمر بإطلاقه وإعفائه ، فلما وصل مكة اجتمع به واعتذر اليه بأن دخل مكة لا يقى بمصالح أهلها وإنما لذلك نضطر الى أخذ المكوس ، فكتب الشيخ علوان الى صلاح الدين بذلك فأرسل اليه ٨٠٠٠ أردب من الحبوب وقيل ٢٠٠٠ أردب وألف دينار ورغب اليه في ترك تلك المظالم فتركها ولكنها عادت ، وأبطلها في سنة ٦٣٩ المتصور عمر بن رسول صاحب اليمن وكتب بذلك مربعة جيعات حبال الحجر الأسود وفي جدار زمزم الى أن قلعها ابن المسيب ثم ما لبثت أن عادت المكوس ، وأبطلت في سنة ٧٦٠ في سلطنة الملك الناصر بأمر شريف مكة سسند ابن رُمَيْثة وإكن ما عتمت أن رجعت فرفعت في سنة ٧٦٦ بهمة الأمير كتبغا مدير السلطنة بمصر وعوض عنها صاحب مكة ٢٦٠ ألف درهم وألف أردب من القمح وقرر ذلك في ديوان السلطان شعبان صاحب مصر وكتب ذلك بالحفر في دعائم بالمسجد الحرام ، وقد شاهدت ذلك في جهة باب الصفا وفي سنة ٨٢٦ أمر السلطان أحمد بن المؤيد صاحب مصر أن يعطى للشريف حسن ألف دينار (٥٠٠ جنيه

مصرى) تحمل اليه من مصر نظير تركه المكوس على الحضرات بمكة وأمر أن يكتب ذلك في بعض أساطين الحرم المكي فكتب وهو باق الى الآن بقرب باب السلام .
 وفي سنة ١٠٨٣ أمر الشيخ محمد المغربي القرمسى أن تدهن السوارى التى بها الكتابات المخفورة بإبطال المكوس فدهنت بالدهانات الملونة وظهرت الكتابة فيها واضحة وعوض صاحب مكة الحسن بن عجلان قسطا من بيت المال ، وهكذا كان يبطلها أو يعمل على إبطالها الحكام العادلون ثم تعود على يد الظالمين مدفوعين بشهوة الطمع أو بداعى الحاجة حتى رأيناها بأعيننا فى زمننا .

ضيافات بمكة — قد استضافنا نجل الشيخ الفاسى — شيخ طريقة مشهور — فى الزاوية المعروفة باسمه وكانت الدعوة عامة لجميع موظفى المحمل من ملكيين وعسكريين وأقام لنا وليمة فاخرة أعجبنا بنظامها وإتقان طعامها ونظافة أوعيته وشربنا الشاى بعدها ثلاث كوبات كما هو المتبع عندهم ، وقد احتفى بنا الشيخ وقومه حفاوة عظيمة ملثوا بها قلوبنا سرورا . ودعانا بعد ذلك لتناول الطعام الشيخ باخطمه — حضرمى — التاجر المقرب من الأمير والذى يقوم بقضاء مصالح دولة الشريف والوالى وحكام مكة ويستحضر ما يلزم للعساكر الشادانية ويشترى من الضباط مرتباتهم بنصف قيمتها اذ يسأمون من تأخر صرفها فيبيعون غائبا بحاضر ، والشيخ باخطمه يصرفها من الخزينة كاملة نظير نقود يدفعها لذوى الشأن فى الصرف فيسرعون بصرف المرتبات اليه .

وقد أكثر من إكرامنا وضيافتنا « مقوم » المحمل ولكن لم يقصد بضيافته وجه الله ولا وجوهنا ولكن وجه الجنيه إذ كان غرضه الوحيد من ذلك الحصول على شهادة ما بزيادة عدد الجمال عن المقرر لركب المحمل ، وهذه الشهادة يقدمها للآلية المصرية أو الحربية — ان كانت من القسم العسكرى — ايصرف قيمة ما فيها ، وقد طلب منى فعلا هذه الشهادة فأبيت عاياه وقلت له : إن كان لدينا زيادة عن العدد المقرر فأنا مستعد لدفع أجرته من مالى الخاص على شريطة أن تكون الأجرة مماثلة

لأجرة جمال الأهالى فما كان جوابه إلا أن قال « نحن لا نريد خسارتك وإنما الذى ينفعنا ينفعك » فنصحته بأن يلتزم خطة الحق وبأن ما أتى من الحرام يذهب من حيث أتى وعرفته بأننا جئنا لتتم شعائر الدين ونطلب الغفران من رب رحيم لا أن نتحمل مآثم وأوزارا ونخون الأمة فى مالها الذى أعدته لمصالحها فما كان منه إلا أن سكت مرغما لما أن رأى قناتنا لا تلين .

إعانة السكة الحديدية الحجازية

أمر دولة شريف مكة بجمع إعانة للسكة الحديدية وقدر على كل حاج غير معسر ريالاً، فأخذ المطوفون يجمعونها ويوردونها للشريف كل يوم، وكان بعض الحجاج يمنع عن الدفع وبعضهم دفع عن نفسه وعن يرافقه فى القافلة ودفع أحمد بك الجبل من أعيان المنصورة مائة جنيه، ودفع أحمد بك الضى عشرة جنيهات، ودفع سلطان مكة والشحر (ثغران على خليج عدن) عوض بن عمر القعيطى ٢٠٠٠٠ روبية أى ١٣٣٣ جنيه انجليزى وكثير غيرهم من الأغنياء، لكن لم نقف على مقدار ما دفعوا. وقد أمر دولة الشريف بعدم خروج أحد من الحجاج من مكة حتى تجبى الضريبة كلها، وعلى ذلك حبس الحجاج بمكة بعد تأدية الفريضة سبعة أيام كانوا فيها على أحرّ من الجمر، شوقهم لزيارة الرسول يهيب بهم أن اسرعوا والشريف يقول : مكانكم حتى تدفعوا. وقد بلغنى أن بعضاً من حجاج المغرب شكوا لدولة الوالى حبسهم بمكة فأرسل بهم مع مندوب من قبله الى دولة الشريف ايسمح لهم بالخروج، فلما وصلوا اليه نزل عليهم ضرباً بالعصى واذ ذلك انقض عليهم زبائنته أيضاً (البوردية) فتشتتوا مذعورين ورجعوا بنحى حنين، شكوى عادلة جوابها إهانة قاسية فى بلد جعله الله حرماً آمناً ﴿سَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ . وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يُظْلَمْ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ ولئن دام هذا الظلم لينصرفن الناس عن الحج وتلك الطامة الكبرى ببلاد العرب وأهلها الذين يجدون فى الحج العيش الكفاف بل الرزق الواسع بل ذلك جناية على الإسلام ومعتقيه فان هذا البلد واسطة

التعارف بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فاذا انقطعت بينهم الأسباب وانفصمت عروة التواد كانوا كالغنم القاصية تلتهمها الدول المستعمرة فستغيث فلا مغيث فليقلع الظالم عن ظلمه حتى لا يعمنا الله بعذاب من عنده ويغفر لنا ما أسلفنا ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

مضار حبس الحجاج بمكة — لم يسمح دولة الشريف بخروج الحجاج من مكة إلا بعد أن دفعوا جميعا ريال الإعانة للسكة الحديدية ، فلما أن صدر الإذن بالخروج أخذ جميع الحجاج في الرحيل وهم ألوف مؤلفة يسلكون طريقا ضيقا ولما بلغوا مكانا مخصوصا بالطريق أوقفوا حتى يدفعوا ريال الحكومة — عوائد — عن كل جمل خال أو محمل فأخذوا يدفعون ولكن بلغ الزحام أشده لأن المحصل شخص واحد قام بجانبه اثنان من الزبانية لا يسمحان لأحد بالمرور حتى يدفع الريال واستعملا كل غلظة وقساوة لا تصدر من الوحوش فضلا عن الأناس بل فضلا عن مسلم يدين بالإسلام ، وقد أصبحت الطريق التي كانت معدة لسير جمالين بشقادفهما متحاذيين فيها أربعة صفوف فدخلت الشقادف بعضها في بعض وكاد الناس يكونون طبقات بعضهم فوق بعض وهناك تحطم كثير من الشقادف وسقط بعض الركاب من عليها فتهشمت منهم العظام وبلغت فيهم الجراح وفقدوا من الأمتعة وتلف كثير منها ، وكنت لا تسمع إذ ذاك إلا ولولة النساء وعويل الصبيان واستغاثة الضعفاء ومنازعات الرجال ولا شرطة هناك تحول دون ذلك ، وكل هذا مغبة حبس الشريف للحجاج وسوء نظام الحماية ، وماذا على الحكومة لو عينت عددا من المحصلين وعينت لكل قافلة يوما تخرج فيه ، ومعرفة القوافل من الأمور الهينة لأن المطوفين والمتعهدين يعرفونها وأولئك معروفون لدى الحكومة وبذلك يسهل التحصيل وتسير القافلة بهدوء وسكينة ويأمن الناس على نفوسهم وأمتعتهم .

مرتبات الأشراف والعربان والأهالى وطريقة صرفها

جرت العادة من قديم أن تصرف الحكومة المصرية مرتبات للأشراف والعربان والأهالى بمكة والمدينة، وكان المقرّر فى ميزانية المحمل هذا العام للأشراف ١٢٦٥ جنيها مصريا وللعربان ٢٥١١ جنيها ولالأهالى ٢٨٧٩ جنيها وكان يصرف لكل شخص مرتبه المقرّر بمقتضى إذن يمضيه أمين الصرة وأمير الحج وكذلك الكاتب الأول للصرة دلالة على أن الصرف قانونى . والكاتب الأول هو الذى يقوم بإعداد إذن الصرف ليكون مطابقا لما دؤن بالسجل الذى به أسماء أصحاب المرتبات (الذين لا وجود لأكثرهم الآن) وساعة البدء فى الصرف حضر أمام الكاتب عدد عظيم من العربان وكلفوه بتلاوة الأسماء فسألهم هل أتم أصحاب المرتبات؟ فقالوا: لا ولكننا مراكون فى تسلمها سنويا فقال لهم: أحضروا التوكيلات التى تؤيد دعواكم، فقالوا ومن تكون التوكيلات؟ فقال لهم: من أصحاب المرتبات الذين وكلوكم أو وارثيهم، فقالوا: إن أصحابها توفوا من زمن مديد ولا أثر لمعظم وارثيهم وكل سنة ناسلم المرتبات بدون معارضة ونحن متفقون فيما بيننا على صرفها إلينا فأضطرّ الكاتب لإجابة طلبهم وأخذ يتلو الأسماء عليهم، فأخذ كل منهم يخطف من الأذون ما أستطاع حتى كان الواحد يتحصل على الخمسين والستين ثم يتسلم قيمتها .

والأشراف المقيدة بأسمائهم المرتبات منهم الحى ومنهم المتوفى وتصرف مرتباتهم إلى من يعينه شريف مكة وكيلا عنهم بعد أن يستعلم منه أمير الحج .

وللشيخ حذيفة كبير قبيلة الأحامدة مرتب سنوى ينيف على ٦٠٠ ريال . تصرف إليه نظير محافظته على ركب المحمل أثناء مروره بالطريق السلطانى الذى يقيم به الشيخ حذيفة، وهذا المرتب يصرف إليه سنويا مرّة المحمل به أو لم يمر، وفى هذا العام قدم من قبله وكيل عنه يدعى محمد بن عامر ومعه وثيقة التوكيل ممهورة بختم الشيخ حذيفة وصريحة فى أنه وكيل عنه فى قبض مرتبه ولكن أبى الشريف إلا أن يصرف المرتب إلى أكبر أولاد الشيخ حذيفة المسمى خليلا مع أن بين الشيخ وأبنه عداً شديداً

ومخاضات كبيرة وحروباً طاحنة أهرقت فيها الدماء أنتصر فيها الولد على أبيه بقوة أعوانه وأنصاره وسبب ذلك تحريض الأبن للعربان على شق عصا الطاعة لأبيه . فكان ينبغي من أجل هذا التفار المستحکم أن يصرف المرتب للوكيل الشرعي للأبن العاق ولكن من يستطيع أن يخالف أمر الشريف الذي نفذ ما أراد وصرف المرتب للولد الباغي .

وقد صرفت بمكة مكافأة لواحد من الأشراف آسمة الشيخ مساعد يقوم في جمع من عسكر «البيشة» بحراسة المحملين المصري والشامي بعد وصولهما الى المدينة و يبلغ عددهم نحو الخمسين يقاسمونه المكافأة وليس لهؤلاء العسكر نظام ولا يطيعون من الأوامر إلا ما أنفق مع رغبتهم مع أن عملهم مساعدة المحمل عند الحاجة ، ويشكون كثيرا من أنهم لا يحدون ما يأكلون وما يعلقون به الدواب مع أن العلف صرف اليهم — وما كانوا ملزمين بذلك — وقد أخذوا مكافآت ينفقون منها ولكن أنفقوا ما صرف اليهم في بيوتهم وآتكلوا على الأمير والأمين يمدونهم بما يأكلون ، ويعين مع الشيخ مساعد رئيس «البيشة» فارس عثمانى برتبة ملازم يرافق المحمل ولكن البيشة لا يسمعون منه قولا ولا ينفذون له أمرا بل يأتمرون بأمر واحد من بني جلدتهم ومع أن هؤلاء العسكر يقظون في الحراسة وبصرهم حاد ينبغي أن يضم اليهم قسم من العساكر يشركونهم في الحراسة كما ينبغي تحذيرهم من السلب والنهب لأنهم ولعون بذلك خصوصا عند مجيء العربان لبيع ما عندهم للحجاج ، فإنه بلغني أنهم أخذوا في سنة خلت من بعض العربان قدرا من السمن ولم يدفعوا ثمنه وضربوا أصحابه وتسبب عن ذلك تجمع العربان وترايبهم مع رجال المحمل بالنيران حتى قتل بعض الحجاج وجرح بعض آخر «ومعظم النار من مستصغر الشرر» أما في هذا العام فلم يحصل ما يكدر فالحمد لله على ما من .



والى هنا فرغنا من ذكر الأعمال التي قمنا بها في مكة وأصبحنا على أهبة السفر الى الحرم الثاني وبقي علينا أن نصف لك مكة وما أشتمت عليه من المباني الفخمة

والآثار الجمة وكذلك منى وعرفة والمزدلفة والطائف ونلم بتاريخها إلماما حتى تكون على بينة من أمرها وخبيرا بما قام به سلفنا الصالح في الحرم الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا ونقدم لك بين يدي ذلك القسم الديني من رحلتنا في الحج ومناسكه ووصف لبلاد العرب وموجز في تاريخها وفي سير الفتوحات الإسلامية وانتشار الدين في ربوع المعمورة .

القسم الديني

قد رأينا أن نسوق اليك أيها القارئ حجتة صلى الله عليه وسلم ثم نردفها بالأحكام الفقهية في شرائع الحج حسب ما سطر في كتب المذاهب المختلفة ، وإنما قدمنا حجتة صلى الله عليه وسلم لأنها السراج الوهاج الذي آقتبس منه الفقهاء ولأنها الحكم عند اختلاف الآراء ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وقد آعتمدنا في ذلك على ما كتبه الإمام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ هـ في كتابه « زاد المعاد في هدى خير العباد » فإنه خير ما كتب في هذا الموضوع على ما علمنا .

حجة الوداع — لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم لم يحج بعد هجرته الى المدينة سوى حجة واحدة وهي حجة الوداع ولا خلاف أنها كانت سنة عشر . وآختلف هل حج قبل الهجرة ، فروى الترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : حج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعد ما هاجر معها عمرة ، قال الترمذى : هذا حديث غريب — تفرد به راو واحد — من حديث سفيان قال : وسألت محمدا يعنى البخارى عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى ، وفي رواية لا يعد هذا الحديث محفوظا . ولما نزل فرض الحج بادر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج من غير تأخير فان فرض الحج تأخر الى سنة تسع أو عشر وأما قوله تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ فإنها وإن نزلت سنة ست عام الحديبية فليس فيها فريضة الحج وإنما فيها الأمر بإتمامه وإتمام العمرة بعد الشروع فيهما وذلك لا يقتضى وجوب الابتداء .

ولما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج أعلم الناس أنه حاج فتجهزوا للخروج معه وسمع بذلك من حول المدينة فقدموا يريدون الحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون فكانوا من بين يده ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله مد البصر، وخرج من المدينة نهارا بعد الظهر لست بقين من ذى القعدة بعد أن صلى الظهر بها أربعا وخطبهم قبل ذلك خطبة علمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه، قال ابن حزم: وكان خروجه يوم الخميس، قال ابن القيم: والظاهر أنه كان يوم السبت (انظر أدلة كل منهما ب زاد المعاد) وبعد أن صلى وخطب ترجل (مشط رأسه) وأدهن ولبس إزاره^(١) ورداءه وخرج بين الظهر والعصر فتزل بذى الحليفة^(٢) (الخرية ٥٧) فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر فصلى بها خمس صلوات وكان نساؤه كلهن معه وطاف عليهن تلك الليلة، فلما أراد الإحرام آغسل غسلا ثانيا لإحرامه غير غسل الجماع الأول ثم طيبته عائشة بيدها بذرية وطيب فيه مسك في بدنه ورأسه حتى كان وبيص المسك يرى في مفارقه^(٣) ولحيته ثم آستدامه ولم يغسله ثم لبس إزاره ورداءه ثم صلى الظهر ركعتين ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه ولم ينقل عنه أنه صلى للإحرام ركعتين غير فرض الظهر وقلد^(٤) قبل الإحرام بدنه نعلين وأشعرها في جانبها الأيمن فشق صفحة سنامها وسلت الدم عنها^(٥) - وقد ساق ابن القيم بضعة وعشرين دليلا كلها صحيحة صريحة في أنه صلى الله عليه وسلم حج فارنا، وذكر أنه أخطأ في عمرة النبي صلى الله عليه وسلم خمس طوائف وهم في حجة خمس طوائف وغلط في إحرامه خمس طوائف وبين آراء كل طائفة وساق

(١) الإزار ما يلف على أسفل الجسم، والرداء ما يلف على أعلاه .

(٢) ذو الحليفة وآثار على عرى المدينة بينها وبين مسجدها نحو ٢٠ كيلو مترا ومنها مسجد يسمى مسجد

الشجرة ويترسمها الجهال نزل على لظنهم أن نذيا قاتل الجن بها وهو كذب (رسائل ابن تيمية ص ٣٥٦ جزء ثان) . (٣) الدريرة نوع من الطيب يجمع من أخلاط شتى . (٤) بريقه ولعانه .

(٥) جمع مفرق وهو وسط الرأس الذي يفرق فيه الشعر . (٦) الإهلال رفع الصوت بالتلبية بهما .

(٧) تقايد البدنة أن يعلق في عقها شيء . لعلم أنها هدى . (٨) أى أماطه وأزاله .

أدلتها ثم كر عليها بالنقض، ودأبته في هذا الموضوع أمتع ما كتب فراجعها في كتابه زاد المعاد من ص ١٨٣ الى ص ٢٠٢ من الجزء الأول طبع الحلبي بمصر — ولبد رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه بالغسل — بوزن كفل — وهو ما يغسل به الرأس من خَطْمِيٍّ ونحوه يلبد به الشعر حتى لا ينتشر، وأهل في مصلاه ثم ركب على ناقته وأهل أيضا ثم أهل لما استقلت به على البيداء^(٢). قال ابن عباس رضى الله عنهما: وإيم الله لقد أوجب^(٣) في مصلاه وأهل حين استقلت^(٤) به ناقته وأهل حين علا على شرف البيداء^(٥) وكان يهل بالحج والعمرة تارة وبالحج تارة لأن العمرة جزء منه؛ فمن ثمة قيل: قرن، وقيل: تمتع، وقيل: أفرد ثم لبي فقال: لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك. والمملك لا شريك لك. ورفع صوته بهذه التلبية حتى سمعها أصحابه وأمرهم بأمر الله له أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية وكان حجه على رحل لا في محمل ولا هودج ولا عمارية^(٦) وزاملته^(٧) تحته — وأختلف في جواز ركوب المحرم في المحمل والهودج والعمارية ونحوها على قولين هما روايتان عن أحمد رحمه الله أحدهما الجواز وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله والثاني المنع وهو مذهب مالك — ثم انه صلى الله عليه وسلم خيرهم عند الإحرام بين الأنساك الثلاثة (الحج أو العمرة أوهما معا) ثم ندبهم عند دنوهم من مكة الى فسخ

- (١) كلما راجعت قاموسا على أجد فيه وصف هذا النبات لا أجد إلا قول ما يغسل به الرأس أو هو نبات محلل منضج ملين نافع لعسر البول الخ أو نبات معروف أو غسل معروف وهو كسر الخاء وقد تفتح .
- (٢) الصحراء . (٣) أوجب الشخص عمل عملا يستوجب له الجنة . (٤) حملته وقامت به .
- (٥) مرتفع . (٦) القران الإهلال بالحج والعمرة معا . والتبع : الإهلال بالعمرة وحدها .
- وبعد التحلل منها يحرم بالحج ، وإلافراد : الإحرام بالحج وحده . (٧) أى إجابة لك بعد إجابة .
- (٨) الرجل للابل كالسرج للفرس ، والمحمل كجلس : شتان على البعير يحمل فيهما العديلان ، والهودج : مركب للنساء مقبب ، وأما العمارية فهي الهودج يجلس فيه (أقرب الموارد ، ج ٢ ص ٨٢٩) .
- (٩) الزاملة : البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع من الزمل وهو الحمل ، والزميل : العديل الذى حمله مع حملك على البعير .

الحج والقران الى العمرة لمن لم يكن معه هدى ثم حتم ذلك عند المروة . وولدت أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر رضى الله عنهما بذى الحليفة محمد بن أبي بكر فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتستسفر وتستتر بثوب وتحرم وتهل ، وكان في قصتها ثلاث سنن إحداها غسل المحرم ، والثانية أن الحائض تغتسل لإحرامها ، والثالثة أن الإحرام يصح من الحائض . ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يلبي بتليته المذكورة والناس معه يزيدون فيها وينقصون وهو يقرهم ولا ينكر عليهم ولزم تليته . فلما كانوا بالروحاء^(١) رأى حمار وحش عقيراً^(٢) فقال : دعوه فإنه يوشك أن يأتى صاحبه ، فجاء صاحبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله شأنكم بهذا الحمار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه فقسمه بين الرفاق ، وفي هذا دليل على جواز أكل المحرم من صيد الحلال إذ لم يصد لأجله ، وأما كون صاحبه لم يحرم فعله لم يمتز بذى الحليفة فهو كأبي قتادة في قصته ، وتدل هذه القصة على أن الهبة لا تفتقر الى لفظ وهبت لك بل تصح بلفظ يدل عليها ، وتدل على قسمته اللحم مع عظامه بالتحري ، وتدل على أن الصيد يملك بالإثبات وإزالة أمتناعه وأنه لمن أثبته لا لمن أخذه ، وعلى حل أكل لحم الحمار الوحشى وعلى التوكيل فى القسمة وعلى كون القاسم واحداً - ثم مضى حتى اذا كانت بالإثاية بين الرويثة والعرج^(٣) إذا ظبي حاقف^(٤) فى ظل شجرة فيه سهم فأمر رجلاً أن يقف عنده لا يريه أحد من الناس حتى يجاوزوا ، والفرق بين قصة الظبي وقصة الحمار أن الذى صاد الحمار كان حلالاً فلم يمنع من أكله وهذا لم يعلم أنه حلال وهم محرمون فلم يأذن لهم فى أكله ، ووكل

(١) الروحاء موضع بين مكة والمدينة على ثلاثين أو ستة وثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة .

(٢) معقورا مصروبا . (٣) الإثاية موضع بين الحرمين فيه مسجد نبوى أو بردون العرج عليها

مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم (القاموس المحيط) وهى بالياء مائة الهمة وقال فى معجم ياقوت : هى موضع فى طريق الحفة بينه وبين المدينة خمسة عشر فرسخاً (٤٥ ميلاً) والعرج : قرية جامعة من أعمال الفرع على أيام من المدينة (نهاية) قال ياقوت : بينها وبين المدينة مائة وسبعون ميلاً ، والرويثة بالتصغير :

موضع على ليلة من المدينة ، وقال ابن السكيت : الرويثة معنى بين العرج والروحاء .

(٤) رابض فى حقف من الرمل وهو الموج منه .

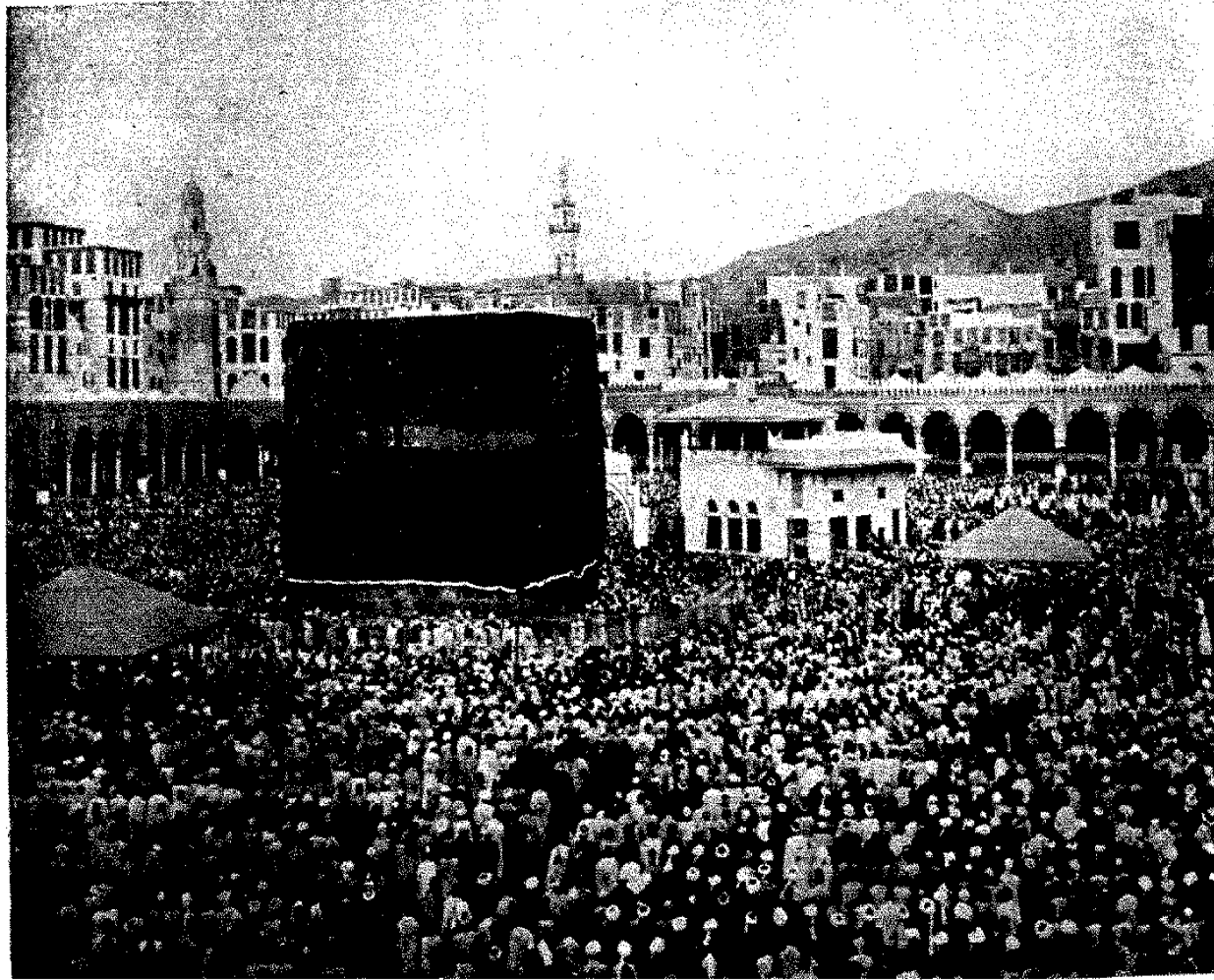
من يقف عنده لئلا يأخذه أحد حتى يجاوزوا، وفيه دليل على أن قتل المحرم للصيد يحمله بمنزلة الميتة في عدم الحل إذ لو كان حلالاً لم تضع ماليته بل كان للحلال أن ينتفع به ، ثم سار حتى إذا نزل بالعرج^(١) وكانت زاملته وزاملة أبي بكر واحدة وكانت مع غلام لأبي بكر ، بجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى جانبه وعائشة إلى جانبه الآخر وأسماء أختها إلى جانب أبيها ، وأبو بكر ينتظر الغلام والزاملة إذ طلع الغلام ليس معه البعير فقال أين بعيرك؟ فقال : أضلته البارحة ، فقال أبو بكر : بعير واحد تضله قال : فطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتسم ويقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع ، وما يزيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالأبواء^(٢) أهدى له الصعب بن جثامة عجز حمار وحشى فرده عليه فقال : إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم . فلما مرّ بوادي عسفان^(٣) قال يا أبا بكر أي واد هذا؟ قال : وادي عسفان قال : لقد مرّ به هود وصالح على بكرين أحمرين خُطمهم^(٤) الليف وأزرهم العباء^(٥) وأرديتهم^(٦) النمار يلبون يحجون البيت العتيق - ذكره الامام أحمد في المسند . فلما كان بسرف^(٧) حاضت عائشة رضى الله عنها وقد كانت أهلت بعمرة ، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي قال ما يبكيك؟ لعلك نقصت : قالت : نعم قال : هذا شيء قد كتبه الله على بنات آدم أفعل ما يفعل

- (١) تقدم الكلام عليه مع الاثنية . (٢) الأبواء قرية بينها وبين الجحفة مائلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا وراغ بينهما ، فالأبواء : جهة المدينة ، والجحفة : جهة مكة وتيل : جبل شامخ هنالك ، وفي هذا الموضع توفيت والدة الرسول صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف ، والأبواء قبل رابع بقايل من جهة المدينة . (٣) عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وهي على مرحلتين من مكة أوسنة وثلاثين ميلا والجحفة على ثلاث مراحل ومن عسفان إلى ملل يقال له : الساحل ، وملل على ليلة من المدينة . (٤) الخطام : كل ما يوضع في أنف البعير ليقناده به واجمع خُطم . (٥) العباء : صرب من الأكسية واحدة عباءة وعباية . (٦) النمار جمع نَميرة وهي كل شملة محططة كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض . (٧) موضع على عشرة أميال من مكة وقيل : أقل وقيل : أكثر وفيه تروح النبي صلى الله عليه وسلم بميونة بنت الحارث .

الحاج غير أن لا تطوفى بالبيت . وقد جاء في صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : أهلت عائشة بعمره حتى اذا كانت بسرف عركت (حاضت) ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة فوجدتها تبكى فقال ما شأنك ؟ قالت : شأنى أنى قد حضت وقد أحل الناس ولم أحل ولم أطف بالبيت والناس يذهبون الى الحج الآن ، فقال : إن هذا أمر قد كتبه الله على بنات آدم فأغتسلى ثم أهلى بالحج ففعلت ووقفت المواقف كلها حتى إذا طهرت طافت بالكعبة وبالصفاء والمروة ثم قال قد حالت من حجك وعمرتك قالت يا رسول الله ! إنى أجد فى نفسى أنى لم أطف بالبيت حتى حججت قال : فاذهب بها يا عبد الرحمن فأعمرها من التنعيم . وقد تنازع العلماء فى قصة عائشة هل كانت متمتعاً أو مفردة والصواب أنها كانت متمتعاً محرمة بالعمرة فقط واذا كانت متمتعاً فهل رفضت عمرتها وانتقلت الى الأفراد بالحج أو أدخلت عليها الحج وصارت قارنة بإدخاله عليها والصواب الثانى ، وهل العمرة التى أتت بها من التنعيم كانت واجبة أو لا ؟ والصحيح أنها كانت نافلة تطيبها لقلبها وجبراً لها وإلا فطوافها وسعيها وقع عن حجها وعمرتها وكانت متمتعاً ثم أدخلت الحج على العمرة فصارت قارنة ، واختلفوا هل كان طهرها يوم عرفة أو يوم النحر . وحديث عائشة السابق يؤخذ منه أصول عظيمة من أصول المناسك : (١) اكتفاء القارن بطواف واحد وسعى واحد ؛ (٢) سقوط طواف القدوم عن الحائض ، كما أن حديث^(٢) صفية أصل فى سقوط طواف الوداع عنها ؛ (٣) أن إدخال الحج على العمرة جائز كما يجوز للطاهر وأولى المعذورة لأنها محتاجة الى ذلك ؛ (٤) أن الحائض تفعل أفعال الحج كلها إلا أنها لا تطوف بالبيت ؛ (٥) أن التنعيم من الحل ؛ (٦) جواز عمرتين فى سنة واحدة بل فى شهر واحد ؛ (٧) أن المشروع فى حق المتمتع إذا خاف القوات أن يدخل الحج على العمرة وحديث عائشة أصل فيه ؛ (٨) أنه أصل فى العمرة المكية وأيسر مع من يستحبها غيره ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمر هو ولا أحد ممن حج معه من مكة خارجاً منها إلا عائشة وحدها ، بفعل أصحاب العمرة المكية قصة عائشة أصلاً

(١) وذلك الدخول بعد أن وصل صلى الله عليه وسلم الى مكة . (٢) أنظر ص ٩٤

صلاة الجمعة بالحرم المكي في الحجة ١٣٢٥



حقوق الطبع والنشر محفوظة باسم راسم اللؤلؤ ابراهيم فتح باشا امير اسكج المصري الحجة ١٣٢٥

58. Pilgrims round El-Kaaba performing the Friday Prays.

لقولهم ولا دلالة لهم فيها فإن عمرتها إما أن تكون قضاء للعمرة المرفوضة عند من يقول : إنها رفضتها فهي واجبة قضاء لها أو تكون زيادة محضة وتطيبا لقلبها عند من يقول : إنها كانت قارئة وإن طوافها وسعيها أجزأها عن حجها وعمرتها . ولنعد الى سياق حجه صلى الله عليه وسلم .

فلما كان يسرف قال لأصحابه : من لم يكن معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه هدى فلا ، وهذه رتبة أخرى فوق رتبة التخيير عند الميقات ، فلما كان بمكة أمر أمرا حتما من لا هدى معه أن يجعلها عمرة ويحل من إحرامه ومن معه هدى أن يقيم على إحرامه ولم ينسخ ذلك شيء البتة ، بل سأله سراقه بن مالك عن هذه العمرة التي أمرهم بالفسخ إليها هل هي لعامهم ذلك أو للأبد ؟ قال : بل للأبد ، وإن العمرة قد دخلت في الحج إلى يوم القيامة وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم الأمر بفسخ الحج إلى العمرة أربعة عشر صحابيا وأحاديثهم كلها صحاح (انظر الأحاديث وأعدار المخالفين والرد عليها في زاد المعاد من ص ٢٠٩ الى ٢٢٥ ج ١) . ثم نهض صلى الله عليه وسلم إلى أن نزل بذي طوى^(١) وهي المعروفة الآن بآبار الزاهر فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون من ذي الحجة وصلى بها الصبح ثم اغتسل من يومه ونهض إلى مكة فدخلها من أعلاها من الثنية العليا التي تشرف على الحجون^(٢) ، وكان في العمرة يدخل من أسفلها ، وفي الحج دخل من أعلاها وخرج من أسفلها ثم سار حتى دخل المسجد وذلك ضحى ، وذكر الطبراني أنه دخله من باب بنى عبد مناف الذي يسميه الناس اليوم باب بنى شيبه^(٣) أو باب السلام ثم استقبل البيت ودعا ، وذكر الطبراني : أنه كان إذا نظر إلى البيت قال : اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وروى عنه أنه كان عند رؤيته يرفع يديه ويكبر ويقول : اللهم أنت السلام

(١) ذو طوى : موضع غربي مكة على مقربة منها . (٢) الثنية في الجبل : كل عقبة مسلوكة

أوهى الطريق العالى فيه . (٣) الحجون : جبل بأعلى مكة مشرف على مقبرتها وتسمى المقبرة : الحجون .

(٤) انظر صورته شرق الكعبة في (الرسم ٥٨) .

ومنك السلام حينار بنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وتعظيما وبرا وهو مرسل^(١)، ولكن سمع هذا سعيد ابن المسيب من عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقوله . فلما دخل المسجد عمدا الى البيت (انظر رسمه في الشكل ٥٨) ولم يركع تحية المسجد فان تحية المسجد الحرام الطواف . فلما حاذى الحجر الأسود^(٢) (ترى في الرسم ٥٩ الحجاج وقد تراحوا على تقبيله) استلمه ولم يزاحم عليه ولم يتقدم عنه الى جهة الركن اليماني ولم يرفع يديه ولم يقل : نويت بطوافي هذا الأسبوع كذا وكذا ولا آفتحه بالتكبير كما يكبر للصلاة كما يفعله من لا علم عنده بل هو من البدع المنكرات ولا حاذى الحجر الأسود بجميع بدنه ثم أفتل عنه وجعله على شقه بل أستقبله وأستلمه ثم أخذ عن يمينه وجعل البيت عن يساره ولم يعرف عنه عند الباب^(٤) ولا تحت الميزاب^(٥) ولا عند ظهر الكعبة وأركانها ولا وقت الطواف ذكر معين لا يفعله ولا بتعليمه بل حفظ عنه بين الركنين ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ . ورمل في طوافه هذا ثلاثة الأشواط الأول وكان يسرع مشيه ويقارب بين خطاه وأضطجع بردائه بفعله على أحد كتفيه وأبدى كتفه الآخر ومنتكبه ، وكلما حاذى الحجر الأسود أشار اليه وأستلمه بمحجنه وقبل المحجن ، والمحجن : عصا منحنية الرأس ، وثبت عنه أنه أستلم الركن اليماني ولم يثبت عنه أنه قبله ولا قبل يده عند أستلامه ولكن ثبت عنه أنه قبل الحجر الأسود وثبت عنه أنه أستلمه بيده فوضع يده عليه ثم قبلها وثبت عنه أنه أستلمه بمحجن فهذه ثلاث صفات ، وروى عنه أيضا : أنه وضع شفتيه عليه طويلا بيكى . وذكر الطبراني عنه بإسناد جيد أنه كان إذا أستلم الركن اليماني قال : بسم الله .

(١) الحديث المرسل ما سقط من سنده - رواه - الصحابي .

(٢) في زاوية الكعبة الجنوبية الشرقية وسيأتي مزيد شرحه .

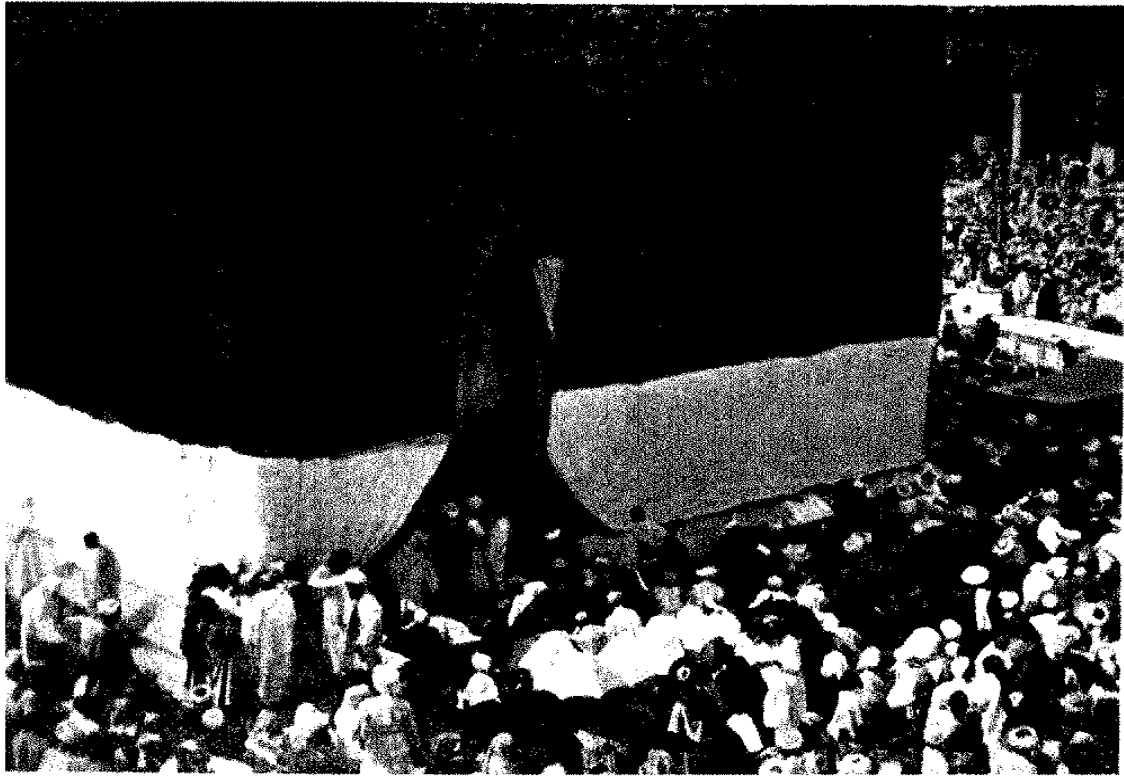
(٣) هو الركن الذى فى الجهة الجنوبية الغربية .

(٤) الباب فى الجهة الشرقية (انظره عليه السارة فى الرسم ٥٩) .

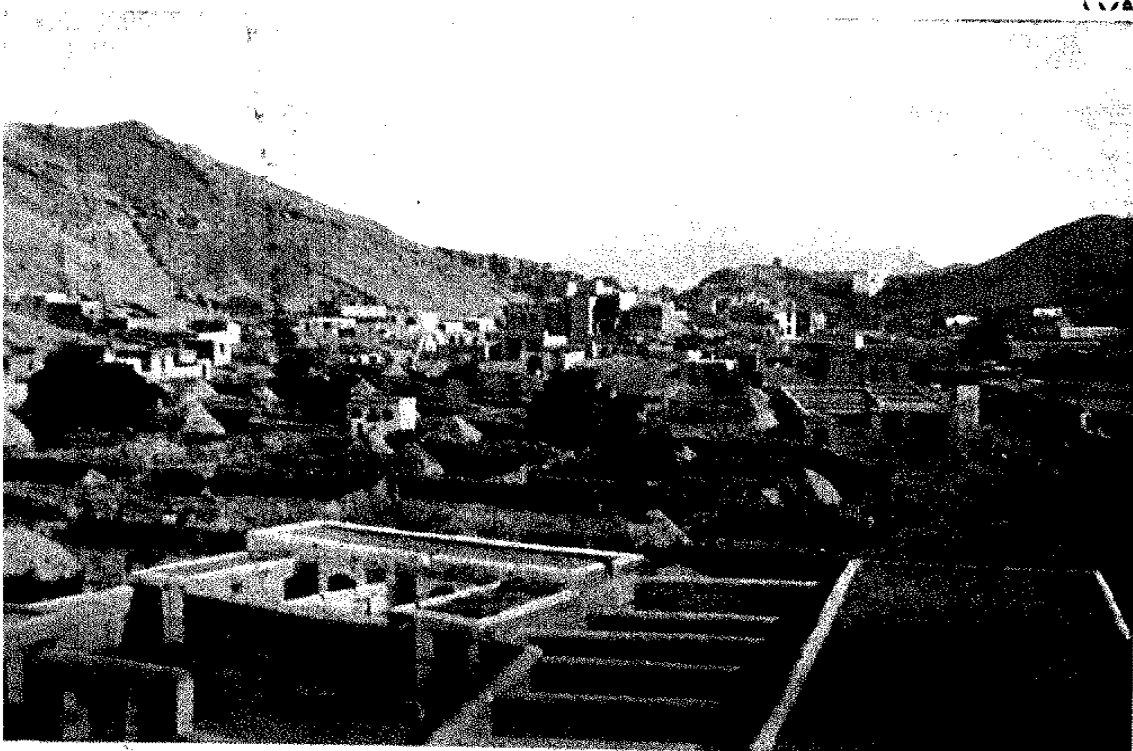
(٥) الميزاب : ما يسيل منه الماء الذى يجمع على سطح الكعبة وسيأتي شرحه .

(٦) الرَّمْل : الاسراع فى المشى مع تقارب الخطا .

الحج حول الكعبة المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود



59. Pilgrims round the Kaaba kissing the Black Stone.



61. The Water-gauge and the Kaaba Mountain at Garwal, Mecca.

الحج حول الكعبة المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود

مقياس المياه والحجر الاسود وجبل الكعبة

الحج حول الكعبة المشرفة وتقبيلهم للحجر الاسود

والله أكبر، وكان كلما أتى على الحجر الأسود قال: الله أكبر، وروى عن عمر أنه قبل الحجر وسجد عليه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك. وروى عن ابن عباس أنه قبل الركن اليماني ثم سجد عليه ثم قبله ثم سجد عليه ثلاث مرات. ولم يستلم صلى الله عليه وسلم ولم يمس من الأركان إلا اليمانيين فقط. فلما فرغ من طوافه جاء إلى خلف المقام^(١) فقرأ: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ فصلى ركعتين، والمقام بينه وبين البيت قرأ فيهما بعد الفاتحة بسورتي الإخلاص، فلما فرغ من صلاته أقبل إلى الحجر الأسود فأستلمه ثم خرج إلى الصفا^(٢) من الباب الذي يقابله، فلما قرب منه قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أبدأ بما بدأ الله به، وفي رواية أبدءوا على الأمر ثم رقى عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك وقال مثل هذا ثلاث مرات، وقام ابن مسعود على الصّدع وهو الشق الذي في الصفا فقيل له: ها هنا يا أبا عبد الرحمن قال: هذا والذي لا إله غيره مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة — ذكره البيهقي — ثم نزل إلى المروة يمشي فلما آنصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا جاوز الوادي وأصعد مشى — هذا الذي صح عنه في ذلك اليوم — قبل الميئين الأخضرين في أول السعي وآخره، والظاهر أن الوادي لم يتغير عن وضعه. هكذا قال جابر عنه في صحيح مسلم، وظاهر هذا أنه كان ماشيا، وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت وبين الصفا والمروة ليراه الناس وليشرف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافا واحدا^(٣)، قال ابن حزم:

(١) الحجر الذي قام عليه إبراهيم وهو بيني الكعبة وسيأتي الكلام عليه .

(٢) الصفا : مكان عال في أصل جبل أبي قبيس جنوبي المسجد الحرام على مقربة من بابه المسمى

باب الصفا وهو أشبه بالمصلى طوله ٦ أمتار وعرضه ثلاثة وسيأتي وصفه .

(٣) فلم يسعوا بعد طواف الأفاضة .

لا تعارض بينهما لأن الراكب إذا أنصب به بعيره فقد أنصب كله وأنصبت قدماه أيضا مع سائر جسده، قال ابن القيم: وعندى وجه آخر للجمع بينهما أحسن من هذا وهو أنه سعى ماشيا أولا ثم أتم سعيه راكبا، وقد جاء ذلك مصرحا به، ففي صحيح مسلم عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا أسنة هو؟ فان قومك يزعمون أنه سنة قال: صدقوا وكذبوا قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون: هذا محمد حتى خرج عليه العواتق من البيوت قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشى أفضل. وأما طوافه بالبيت عند قدومه فاختلف فيه هل كان على قدميه أو كان راكبا؟ والصحيح أنه طافه على قدميه لأنه ثبت عنه الرَّمْلُ فيه وهو إنما يكون من المشى، وأن الركوب كان في طواف الإفاضة. وكان صلى الله عليه وسلم إذا وصل إلى المروة رقى عليها وأستقبل البيت وكبر الله وحده وفعل كما فعل على الصفا، فلما أكمل سعيه عند المروة أمر كل من لاهدى معه أن يحل حتما ولا بد قارنا كان أو مفردا، وأمرهم أن يحلوا الحل كله من وطء النساء والطيب ولبس المخيط وأن يبقوا كذلك إلى يوم التروية، ولم يحل هو من أجل هديه وهناك قال: لو آستقبلت من أمرى ما آستدبرت لما سقت الهدى وبلعتها عمرة، وهناك دعا للحلقين بالمغفرة ثلاثا وللقصرين مرة، وهناك سأله سُراقَة بن مالك بن جُعْشُم عقيب أمره لهم بالفسخ والإحلال هل ذلك لعامهم خاصة أو للأبد؟ فقال: بل للأبد ولم يحل أبو بكر ولا عمر ولا علي ولا طلحة ولا الزبير من أجل الهدى، وأما نساؤه صلى الله عليه وسلم فأحلان وكن قارنات إلا عائشة فانها لم تحل من أجل تعذر الحل عليها بجيضاها، وفاطمة حلت لأنه لم يكن معها هدى، وعلى رضى الله عنه لم يحل من أجل هديه، وأمر من أهل بإهلال كاهلاله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على إحرامه إن كان معه هدى وأن يحل إن لم يكن معه هدى، وكان يصلى مدة مقامه بمكة إلى يوم التروية بمنزله الذى هو

(١) المروة: مكان مرتفع في أصل جبل قعيقمان في الشمال الشرقى للمسجد الحرام على بعد منه وتحيط به

الآن ثلاثة جدر في الشمال والشرق والغرب. (٢) ثامن ذى الحجة وكانوا يعدون فيه الماء للسفر إلى عرفة.

نازل فيه بالمسلمين بظاهر مكة ، فأقام بظاهر مكة أربعة أيام يقصر الصلاة يوم الأحد والأثنين والثلاثاء والأربعاء ، فلما كان يوم الخميس ضحى توجه بمن معه من المسلمين الى منى فأحرم بالحج من كان أحل منهم من رجالهم ولم يدخلوا الى المسجد فأحرموا منه بل أحرموا ومكة خلف ظهورهم ، فلما وصل الى منى نزل بها وصلى بها الظهر والعصر وبات بها وكان ليلة الجمعة فلما طلعت الشمس سار منها الى عرفة وأخذ على طريق ضب^(٢) على يمين طريق الناس اليوم وكان من أصحابه الملبى ومنهم المكبر وهو يسمع ذلك ولا ينكر على هؤلاء ولا على هؤلاء ، فوجد القبة قد ضربت له بئمة بأمره وهي قرية شرقى عرفات وهي خراب اليوم فنزل بها حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القصوى فرحلت^(٤) ، ثم سار حتى أتى بطن الوادى من أرض عرنة^(٥) فخطب الناس وهو على راحلته خطبة عظيمة قتر فيها قواعد الإسلام وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية وقتر فيها تحريم المحرمات التي آتفت المثل على تحريمها وهي الدماء والأموال والأعراض ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه ووضع فيها ربا الجاهلية كله وأبطله وأوصاهم بالنساء خيرا وذكر الحق الذى لهنّ وعليهنّ وإن الواجب لهنّ الرزق والكسوة بالمعروف ولم يقدر ذلك بتقدير وأباح للأزواج ضربهنّ إذا أدخلن الى بيوتهنّ من يكرهه أزواجهنّ ، وأوصى الأمة فيها بالاعتصام بكتاب الله وأخبر أنهم لن يضلوا ماداموا معتصمين به ثم أخبرهم أنهم مسئولون عنه وأستنطقهم بماذا يقولون وبماذا يشهدون فقالوا : نشهدك قد بلغت وأديت ونصحت فرفع

(١) منى : هو موضع فى شرق مكة على مسيرة ساعتين وخمس وأربعين دقيقة منها وفيها الجراب وسياق وصننها ورسمها فى حريّة مشاعر الحج .

(٢) ضب : أسم الجبل الذى فى أصله مسعد الخيف وطريق ضب يتندى من أول المأزيم على يمين الميعة عرفة وهو أنحصر من طريق المأزيم . (٣) لم تر بالواديح التي بأيدينا أنها قرية .

(٤) لقب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم والقصواء فى الأصل الناقة التي قطع طرف أذنها لكن لم تك ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك .

(٥) وضع عليها الرجل — تقدّم تفسيره .

(٦) عربة : واد بين المزدلفة وعرفة وطوله نحو ١٥٠٠ متر .

أصبغه الى السماء وأستشهد الله عليهم ثلاث مرات وأمرهم أن يبلغ شاهدتهم غائبهم، وسيأتى نص الخطبة في الكلام على حج الجاهلية، فلما أتمها أمر بلالا فأذن ثم أقام الصلاة فصلى الظهر ركعتين أسترّ فيهما بالقراءة وكان يوم الجمعة فدل على أن المسافر لا يصلى جمعة، ثم أقام فصلى العصر ركعتين أيضا ومعه أهل مكة وصلوا بصلاته قصرا وجمعا بلا ريب، ولم يأمرهم بالإتمام ولا بترك الجمع ومن قال: إنه قال لهم: أتموا صلاتكم فإنما قوم سفر فقد غلط فيه غلطا بينا ووهما قبيحا وإنما قال لهم ذلك في غزاة الفتح بجوف مكة حيث كانوا في ديارهم مقيمين ولهذا كانت أصح أقوال العلماء: أن أهل مكة يقصرون ويجمعون بعرفة كما فعلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا أوضح دليل على أن سفر القصر لا يتحدد بمسافة معلومة ولا بأيام معلومة ولا تأثير للنسك في قصر الصلاة البتة، وإنما التأثير لما جعله الله سببا وهو السفر هذا مقتضى السنة ولا وجه لما ذهب إليه المحددون. فلما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف فوقف في ذيل الجبل عند الصخرات^(١) واستقبل القبلة وجعل جبل المشاة بين يديه وكان على بعيره فأخذ في الدعاء والتصرع والابتهاال الى غروب الشمس، وأمر الناس أن يرفعوا عن بطن عرنة وأخبر أن عرفة لا تختص بموقفه ذلك بل قال: وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف وأرسل الى الناس أن يكونوا على مشاعرهم ويقفوا بها فإنها من إرث أبيهم إبراهيم. وكذلك هالك أقبل ناس من أهل نجد فسألوه عن الحج فقال: الحج يوم عرفة من أدرك قبل صلاة الصبح فقد أدرك الحج.

أيام منى ثلاثة أيام التشريق **رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ** فَلَإِئِمَّ عَلَيْهِ وَمَنْ نَاحَرَ فَلَا إِئِمَّ عَلَيْهِ لَعْنِ اتَّقَى) وكان في دعائه رافعا يده إلى صدره كاستطعام المسكين وأخبرهم أن خير الدعاء دعاء يوم عرفة وذكر من دعائه صلى الله عليه وسلم في الموقف: اللهم: لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول اللهم: لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى وإليك ما بى

(١) انظر: رسم جبل عرفات.

(٢) جمع مشعر وهو موضع الشعيرة وهى كل ما جعل علما لطاعة الله تعالى.

ولك ربي ترائي^(١) اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الرياح -- ذكره الترمذى -- ومما ذكر من دعائه هناك : اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرى وعلايتي ولا يخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير والوجل المشفق المقر المعترف بذنوبي أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك أبتهل المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الصرير من خضعت لك رقبتك وفاضت لك عيناه وذل جسده ورغم أنفه لك ، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رءوفا رحيا يا خير المسئولين وياخير المعطين -- ذكره الطبراني -- وذكر الامام أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وذكر البيهقي من حديث علي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال أكثر دعائي ودعاء الأنبياء من قبلي بعرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نورا وفي صدري نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الأمر وفتنة القبر اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل وشر ما يلج في النهار وشر ما نهب به الرياح وشر بوائق الدهر -- وأسأنيذ هذه الأدعية فيها لين -- وهناك أنزلت عليه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ . وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفن في ثوبيه ولا يمس بطيب وأن يغسل بماء وسدر ولا يغطي رأسه ولا وجهه وأخبر أن الله تعالى يبعثه يوم القيامة يلي . فلما غربت الشمس واستحکم غروبها بحيث ذهبت الصفرة أفاض من عرفة وأردف أسامة بن زيد حلقه وأفاض بالسكينة وضم إليه زمام ناقته حتى أن

(١) السك : العبادة . والمآب : المرجع . والتراث : المال الموروث .

(٢) مهلكاته .

رأسه ليصيب طرف رحله وهو يقول: أيها الناس عليكم السكينة فان البرليس بالإيضاع أى ليس بالإسراع، وأفاض من طريق المأزمين^(١) ودخل عرفة من طريق ضب وهكذا كانت عادته صلوات الله وسلامه عليه في الأعياد أن يخالف الطريق ثم جعل يسير العتق وهو ضرب من السير ليس بالسريع ولا البطيء فاذا وجد فجوة وهو المتسع نص سيره أى رفعه فوق ذلك وكلما أتى ربوة من تلك الربا أرخى للناقة زمامها قليلا حتى تصعد وكان يلبي في مسيره ذلك لا يقطع التلية، فلما كان في أثناء الطريق نزل صلوات الله وسلامه عليه فبال وتوضأ وضوءا خفيفا فقال له أسامة: الصلاة يارسول الله فقال: المصلى أمامك، ثم سار حتى أتى المزدلفة فتوضأ وضوء الصلاة ثم أمر المؤذن بالأذان فأذن المؤذن ثم أقام فصلى المغرب قبل حط الرحال وتبريك الجمال، فلما حطوا رحالهم أمر فأقيمت الصلاة ثم صلى العشاء الآخرة بإقامة بلا أذان ولم يصل بينهما شيئا، وقد روى أنه صلاهما بأذنين وإقامتين، وروى بإقامتين بلا أذان، والصحيح أنه صلاهما بأذان وإقامتين، كما فعل بعرفة ثم نام حتى أصبح ولم يحي تلك الليلة ولا صح عنه في إحياء ليلتي العيدين شيء، وأذن في تلك الليلة لضعفة أهله أن يتقدموا الى منى قبل طلوع الفجر وكان ذلك عند غيوبة القمر وأمرهم أن لا يرموا الجمرة حتى تطلع الشمس، فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت لا قبله قطعا بأذان وإقامة يوم النحر وهو يوم العيد وهو يوم الحج الأكبر وهو يوم الأذان براءة من الله ورسوله من كل مشرك، ثم ركب حتى أتى موقفه عند المشعر الحرام^(٤) فاستقبل القبلة وأخذ في الدعاء والتضرع والتكبير والتهليل والذكر حتى أسفر جدا وذلك قبل طلوع الشمس وهناك سأله عروة بن مضر الطائي فقال يا رسول الله:

(١) هو الطريق الذى يسلكه الناس اليوم وهو أطول من طريق ضب الذى فى جنوبيه على يمين

السالك نحو عرفة . (٢) مكانا عاليا .

(٣) المزدلفة: هو الوادى الواسع الذى بين المأزمين من جهة عرفة وبين وادى محسر الضيق من جهة

مكة ويمتد على طول ٣٨١٢ متر .

(٤) المشعر الحرام فى المزدلفة على بعد ٢٥٤٨ متر من أولها من جهة المحسر عند الجبل المعروف بقزح .

إني جئت من جبل طي^(١) أكلت راحتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه فهل لي من حج؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شهد صلاتنا هذه فوقف معنا حتى ندفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلا أو نهارا فقد تم حجه وقضى تفته - قال الترمذي: حديث حسن صحيح^(٢). وبهذا آحتج من ذهب إلى أن الوقوف بمزدلفة والمبيت بها ركن كعرفة. وقد وقف صلى الله عليه وسلم في موقفه وأعلم الناس أن مزدلفة كلها موقف، ثم سار من مزدلفة مردفا للفضل بن عباس وهو يلي في مسيره وأنطلق أسامة بن زيد على رجليه في سباق^(٣) قريش، وفي طريقه ذلك أمر ابن عباس أن يلتقط له حصي الجمار سبع حصيات ولم يكسرها من الجبل تلك الليلة كما يفعل من لا علم عنده ولا التقطها بالليل، فالتقط له سبع حصيات من حصي الخذف^(٤) فجعل يفضهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين وإنما أهلك من كان قبلكم الغاوت في الدين. وفي طريقه تلك عرضت له امرأة من خثعم جميلة فسأته عن الحج عن أبيها وكان شيخا كبيرا لا يستمسك على الراحلة فأمرها أن تحج عنه وجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فوضع يده على وجهه وصرفه إلى الشق الآخر - وكان الفضل وسما - فقليل: صرف وجهه عن نظرها إليه وقيل: صرفه عن نظره إليها، والصواب أنه فعله للأمرين فإنه في القصة جعل ينظر إليها وتنظر إليه وسأله آخر هنالك عن أمه فقال: إنها عجوز كبيرة وإن حملتها لم تستمسك وإن ربطتها خشيت أن أقتلها فقال: رأيت لو كان على أمك دين أ كنت قاضيه؟ قال: نعم قال: فحج عن أمك. فلما أتى بطن محسرك ناقته وأسرع السير وهذه كانت عادته في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه، فإن هنالك أصاب أصحاب

(١) أتعبتها . (٢) الحديث الذي رواه عدل تام الصبط بسند متصل غير معول ولا شاذ يقال له:

الصحيح وإن لم يكن الضبط تاما يقال له: الحسن ومعنى كون الحديث حسنا صحيحا أن أحد سنده تطبيق عليه أوصاف الصحة والآخر تنطبق عليه أوصاف الحسن فإن كان له سند واحد فوصفه بالأمرين للاختلاف في حال رجاله أهم رجال الصحيح أم رجال الحسن؟

(٣) تسابقهم . (٤) الخذف بالحصي رميه بالأصابع .

(٥) الوادي الضيق بين منى ومزدلفة يقال له محسر .

الفيل ما قص الله علينا، ولذلك سمي ذلك الوادي وادي محسر لأن الفيل حَسِر فيه أى أعْيى وأنقطع عن الذهاب وكذلك فعل في سلوكه الحجر وديار ثمود فإنه تقنع بثوبه وأسرع السير، و «محسر» برزخ بين منى وبين مزدلفة لا من هذه ولا من هذه و«عُرنة» برزخ بين عرفة والمشعر الحرام فيبين كل مشعرين برزخ ليس منهما، فبني من الحرم وهى مشعر، ومحسر من الحرم وليس بمشعر، ومزدلفة: حرم ومشعر، وعُرنة ليست مشعرا ولا حرما، وعرفة: حل ومشعر. وسلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى بين الطريقين وهى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى منى فأتى جمرة^(١) العقبة فوقف فى أسفل الوادى وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وهو على راحلته فرماها راجبا بعد طلوع الشمس واحدة بعد واحدة يكبر مع كل حصاة، وحينئذ قطع التلبية، وكان فى مسيره ذلك يلبى حتى شرع فى الرمى، ورمى وبلال وأسامة معه أحدهما أخذ بخطام ناقته والآخر يظله بثوب من الحز، وفى هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه إن كانت قصة هذا الإظلال فى يوم النحر ثابتة وإن كانت بعده فى أيام منى فلا حجة فيها وإيس فى الحديث بيان أى زمن كانت والله أعلم. ثم رجع إلى منى فخطب الناس خطبة بليغة أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله وحرمة مكة على جميع البلاد وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه وقال: لعلى لا أجمع بعد عامى هذا وعلهم مناسكهم وأنزل المهاجرين والأنصار منازلهم وأمر الناس أن لا يرجعوا بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض وأمر بالتبليغ عنه، وأخبر أنه رب مبلغ أوعى من سامع وقال فى خطبته: لا يجنى جان إلا على نفسه وأنزل المهاجرين عن يمين القبلة والأنصار عن يسارها والناس حولهم وفتح الله له أسماع الناس حتى سمعها أهل منى فى منازلهم وقال فى خطبته تلك: اعبدوا ربكم وصلوا نحسكم وصوموا شهركم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا الجنة ربكم، وودع حينئذ الناس

(١) جمرة العقبة أقرب الجمار إلى مكة وهى الآن حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار فى عرض

فقالوا : حجة الوداع ، وهناك سئل عن حلق قبل أن يرمى . فقال : لا حرج قال عبد الله بن عمر : ما رأيته سئل صلى الله عليه وسلم يومئذ عن شيء إلا قال : افعلوا ولا حرج ، قال ابن عباس إنه قيل له صلى الله عليه وسلم في الذبح والحلق والرمي والتقديم والتأخير قال : لا حرج ، وقال أسامة بن شريك : خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حاجا وكان الناس يأتونه فمن قائل يا رسول الله ! سمعت قبل أن أطوف أو أنحرت شيئا وقدمت فكان يقول : لا حرج لا حرج إلا على رجل اعترض عرض أو رجل مسلم وهو ظالم فذلك الذي حرج وهلك وقوله : سمعت قبل أن أطوف في هذا الحديث ليس بمحفوظ ، والمحفوظ : تقديم الرمي والنحر والحلق بعضها على بعض ثم انصرف إلى المنحصر بمنى فنحصر ثلاثا وستين بدنة بيده وكان ينحرها قائمة معقولة يدها اليسرى ، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سني عمره ثم أمسك ، وأمر عليا أن ينحر ما بقي من المائة ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يتصدق بجلائها ولحومها وجلودها في المساكين وأمره أن لا يعطى الجزار في جزارته شيئا منها وقال : نحن نعطيه من عندنا وقال : من شاء اقتطع . وقد نحر صلى الله عليه وسلم بمنحصر بمنى وأعلمهم أن منى كلها منحصر وأن بجحاج مكة طريق ومنحصر ، وفي هذا دليل على أن النحر لا يختص بمنى بل حيث نحر من بجحاج مكة أجزاء كما أنه لما وقف بعرفة قال ووقت ها هنا وعرفة كلها موقف ، ولما وقف بمزدلفة قال : ووقت ها هنا ومزدلفة كلها موقف . وسئل صلى الله عليه وسلم أن يبني له بناء يظله من الحر؟ فقال : لا ، منى مناخ لمن سبق إليه ، وفي هذا دليل على اشتراك المسلمين فيها وأن من سبق إلى مكان فهو أحق به حتى يرتحل عنه ولا يملكه بذلك .

فلما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحره استدعى بالحلاق فحلق رأسه فقال للحلاق وهو معمر بن عبد الله وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر في وجهه وقال يا معمر ! أمكك رسول الله صلى الله عليه وسلم من شحمة أذنه وفي يدك الموسى فقال معمر : أما والله يا رسول الله إن ذلك لمن نعمة الله على ومنه قال : أجل^(٢) وقال صلى الله عليه

(١) الجلال جمع جل وهو كساء يوضع على ظهور الابل . (٢) سم .

وسلم للحلاق : خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ، فلما فرغ منه قسم شعره بين من يليه ثم أشار إلى الحلاق فخلق جانبه الأيسر ثم قال : ها هنا أبو طلحة فدفعه إليه ، هكذا وقع في صحيح مسلم ، وقد دعا صلى الله عليه وسلم للحلقين بالمغفرة ثلاثاً وللقصرين مرة ، وخلق كثير من الصحابة بل أكثرهم وقصر بعضهم وهذا مع قوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ ومع قول عائشة رضي الله عنها طابت رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحرامه قبل أن يحرم وإحلاله قبل أن يحل دليل على أن الحلق نسك وليس بإطلاق من محظورات الإحرام .

ثم أفاض صلى الله عليه وسلم إلى مكة قبل الظهر راكباً فطاف طواف الإفاضة وهو طواف الزيارة وهو طواف الصدر ولم يطف غيره ولم يسع معه هذا هو الصواب ، وقد خالف في ذلك ثلاث طوائف — طائفة زعمت أنه طاف طوافين طوافاً للقدوم سوى طواف الإفاضة ثم طاف للإفاضة ، وطائفة زعمت أنه سعى مع هذا الطواف لكونه قارناً ، وطائفة زعمت أنه لم يطف في ذلك اليوم وإنما أحرطواف الزيارة إلى الليل (وقد بين ابن القيم منشأ هذه الأقوال وخطأها في كتابه زاد المعاد من ص ٢٣٩ إلى ٢٤٢) ولم يرمل صلى الله عليه وسلم في هذا الطواف ولا في طواف الوداع وإنما رمل في طواف القدوم ، ثم أتى زمزم بعد أن قضى طوافه وهم يسقون فقال : لولا أن يغلبكم الناس لزلت فسقيت معكم ثم ناولوه الدلو فشرب وهو قائم فقيل : هذا نسخ لنيه عن الشرب قائماً وقيل : بل بيان منه لأن النهى على وجه الاختيار وترك الأولى وقيل : بل للحاجة وهذا أظهر . وهل كان في طوافه هذا راكباً أو ماشياً؟ . واختلف أين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ؟ ففي الصحيحين عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى ، وفي صحيح مسلم عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة وكذلك قالت عائشة : وقد رجح جماعة قول عائشة وجابر ورجح آخرون قول ابن عمر (انظر وجوه الترجيح زاد المعاد أول ص ٢٤٣) وقد طافت عائشة في ذلك اليوم طوافاً واحداً وسعت سعيها واحداً أجزاءها عن حجها وعمرتها ، وطافت صافية ذلك اليوم ثم حاضت فأجزأها طوافها ذلك عن طواف الوداع ولم

تودع فاستقرت سنته صلى الله عليه وسلم في المرأة الطاهرة إذا حاضت قبل الطواف أن تقرن وتكتفى بطواف واحد وسعى واحد، وإن حاضت بعد طواف الإفاضة أجزأت به عن طواف الوداع . ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى من يومه ذلك فبات بها فلما أصبح أنتظر زوال الشمس ، فلما زالت مشى من رحله الى الجمار ولم يركب فبدأ بالجمرة الأولى التي تلى مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة يقول مع كل حصاة الله أكبر ثم يقدم على الجمرة أمامها حتى أسهل^(٢) فقام مستقبل القبلة ثم رفع يديه ودعا دعاء طويلا بقدر سورة البقرة ثم أتى الى الجمرة الوسطى فرماها كذلك ثم آنحدر ذات اليسار مما يلي الوادى فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعوا قريبا من وقوفه الأول ثم أتى الجمرة الثالثة وهى جمرة العقبة فاستبطن الوادى وأستعرض الجمرة بفعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه فرماها بسبع حصيات كذلك ولم يرمها من أعلاها كما يفعل الجهال ولا جعلها عن يمينه ، وأستقبل البيت وقت الرمي كما ذكره غير واحد من الفقهاء ، فلما أكل الرمي رجع من فوره ولم يقف عندها فقيل : اضيق المكان بالجبل وقيل وهو أصح : إن دعاءه كان فى نفس العبادة قبل الفراغ منها فلما رمى جمرة العقبة فرغ الرمي ، والدعاء فى صلب العبادة قبل الفراغ منها أفضل منه بعد الفراغ منها . ويغلب على الظن أنه كان يرمى قبل الصلاة ثم يرجع فيصلى . ومما تقدم تعلم أن حجة النبي صلى الله عليه وسلم تضمنت ست وقفات للدعاء ، الموقف الأول على الصفا ، والثانى على المروة ، والثالث بعرفة ، والرابع بمزدلفة ، والخامس عند الجمرة الأولى ، والسادس عند الجمرة الثانية .

وخطب صلى الله عليه وسلم الناس بمنى خطبتين خطبة يوم النحر وقد تقدمت والخطبة الثانية فى أوسط أيام التشريق فقيل : هو ثانى يوم النحر وهو أوسطها أى خيارها وأحتج لذلك بحديث سرى بنت نهبان قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتدرون أى يوم هذا؟ قالت : وهو اليوم الذى تدعون يوم الرءوس

(١) أنظر الجمرات وصفا ورسما بعد .

(٢) صار فى الارض السهلة .

قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا وسط أيام التشريق، هل تدرون أى بلد هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذا المشعر الحرام. ثم قال: إني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد هذا: ألا وإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فليبلغ أدناكم أقصاكم ألا هل بلغت، فلما قدمنا المدينة لم يلبث إلا قليلا حتى مات صلى الله عليه وسلم - رواه أبو داود. ويوم الرؤوس هو ثاني يوم النحر بالاتفاق. واستأذنه العباس بن عبد المطلب أن يبني بمكة ليالى منى من أجل سقايته فأذن له، واستأذنه رعاء الإبل في البيتوتة خارج منى عند الإبل فأرخص لهم أن يرموا يوم النحر ثم يجتمعوا رمى يومين بعد يوم النحر يرمونه في أحدهما قال مالك: ظننت أنه قال في أول يوم منهما ثم يرمون يوم النحر؛ وقال ابن عيينة في هذا الحديث رخص للرعاء أن يرموا يوما ويدعوا يوما فيجوز للطائفتين بالسنة ترك المبيت بمنى، وأما الرمي فإنهم لا يتركونه بل لهم أن يؤخروه الى الليل فيرمون فيه، ولهم أن يجتمعوا رمى يومين في يوم، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رخص لأهل السقاية وللرعاء في البيتوتة فمن له مال يخاف ضياعه أو مريض يخاف من تخلفه عنه أو كان مريضا لا تمكنه البيتوتة سقطت عنه بتنبه النص على هؤلاء. ولم يتعجل صلى الله عليه وسلم في يومين بل تأخر حتى أكمل رمى أيام التشريق الثلاثة وأفاض يوم الثلاثاء بعد الظهر الى المحصب وهو الأبطح وهو خيف بنى كنانة فوجد أبا رافع قد ضرب فيه قبته هنالك وكان على ثقله توفيقا من الله عز وجل دون أن يأمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة ثم هض الى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ولم يرمل في هذا الطواف وأخبرته صفيية أنها حائض فقال أحابستنا هي؟ فقالوا له: إنها قد أفاضت قال: فلتنفرا اذا، ورغبت اليه عائشة تلك الليلة أن يعمرها عمرة مفردة فأخبرها أن طوافها بالبيت وبالصفا والمروة قد أجزأها عن حجها وعمرتها فأبت

(١) المحصب هو الوادي الذي بين المعلاة من جهة مكة وبين المكان المعروف بسبيل الست من جهة منى.

(٢) القل مناع المسافر وحشمه.

إلا أن تعتمر عمرة مفردة فأمر أخاها أن يعمرها من التنعيم ، ففرغت من عمرتها ليلا ثم وافت المحصّب مع أخيها فأتيا في جوف الليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغتما؟ قالت : نعم ، فنادى بالرحيل في أصحابه فأرتحل الناس ثم طاف بالبيت قبل صلاة الصبح ، وقد اختلف في التحصيب أسنة هو أو منزل اتفاق على قولين - وهاهنا ثلاث مسائل هل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت في حجته أم لا؟ وهل وقف بالملتزم أو لا؟ وهل صلى الصبح ليلة الوداع بمكة أو خارجا عنها؟ والذي تدل عليه سنته أنه لم يدخل البيت في حجته ولا في عمرته وإنما دخله عام الفتح وأنه لم يقف بالملتزم إلا عام الفتح وأنه صلى صلاة الصبح بمكة عند البيت ، وسمعته أم سلمة يقرأ فيها بالطور .

ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة ، فلما كان بالروحاء لقي رجا فسلم عليهم وقال من القوم؟ فقالوا : المسلمون فمن القوم؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفعت امرأة صبيا لها من محبة^(١) فقالت يا رسول الله! ألهذا حج؟ قال : نعم ولك أجر ، فلما أتى ذا الحليفة بات بها ، فلما رأى المدينة كبر ثلاث مرات وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيئون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دخلها نهارا من طريق المعرس^(٢) وخرج من طريق الشجرة^(٣) .

هديه صلى الله عليه وسلم في الهدايا : أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنم وأهدى الإبل وأهدى عن نساءه البقر وأهدى في مقامه وفي عمرته وفي حجته

- (١) الحنّة : مركب من مراكب النساء كالهودج ألا انها لاتنصب كما تنصب الهوادج .
- (٢) التعريس نزول المسافر آخر الليل رلة للاستراحة والنوم ، والمعرس موضع التعريس وبه سمي معرس ذى الحليفة الذى عرس به النبي صلى الله عليه وسلم .
- (٣) المراد بالشجرة الشجرة التي ولدت عندها أسماء بدى الحليفة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربها من المدينة ويحرم منها وهي على ستة أميال من المدينة .

وكانت سنته تقليد الغنم دون إشعارها ، وكان إذا بعث بهديه وهو مقيم لم يحرم عليه شيء كان منه حلالا ، وكان إذا أهدى الإبل قلدها وأشعرها فيشق صفحة سنامها اليمنى يسيرا حتى يسيل منها الدم ، قال الشافعي رضى الله عنه : والإشعار في الصفحة اليمنى ، كذلك أشعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا بعث بهديه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أشرف على عطب شيء منه أن ينحره ثم يصبغ نعله في دمه ثم يجعله على صفحته ولا يأكل منه هو ولا أحد من رفقته ثم يقسم لحمه ، ومنعه من هذا الأكل سدا للذريعة فإنه لعله ربما قصر في حفظه ليشارف العطب فينحره ويأكل منه فإذا علم أنه لا يأكل منه شيئا اجتهد في حفظه ، وشرك بين أصحابه في الهدى فالبدنة عن سبع والبقرة كذلك ، وأباح لسائق الهدى ركوبه بالمعروف إذا احتاج إليه حتى يجد ظهرا غيره ، وقال علي رضى الله عنه : يشرب من لبنها ما فضل عن ولدها . وكان هديه صلى الله عليه وسلم نحر الإبل قياما مقيدة معقولة اليسرى على ثلاث وكان يسمى الله عند نحره ويكبر وكان يذبح نسكه بيده وربما وكل في بعضه كما أمر عليا رضى الله عنه أن يذبح ما بقى من المائة ، وكان إذا نحر الغنم وضع قدمه على صفائحها ثم سمي وكبر ونحر ، وقد تقدم أنه نحر بمبنى وقال : إن بفاج مكة كلها مننحر ، وقال ابن عباس : مناحر البدن بمكة ولكنها زهت عن الدماء ومنى من مكة ، وكان ابن عباس ينحر بمكة . وأباح صلى الله عليه وسلم أن يأكلوا من هداياهم وضحاياهم ويتزودوا منها ونهاهم مرة أن يدنحوا منها بعد ثلاث لدافة^(٢) دفت عليهم ذلك العام من الناس فأحب أن يوسعوا عليهم . وروى مسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع لثوبان : أصلح هذا اللحم قال : فأصلحته فلم يزل يأكل منه حتى بلغ المدينة ، وكان ربما قسم لحوم الهدى وربما قال : من شاء أقتطع فعل هذا وفعل هذا ، وكان من هديه صلى الله عليه وسلم ذبح هدى العمرة عند المروة وهدى القران بمبنى وكذلك كان ابن عمر يفعل . ولم ينحر هديه صلى الله عليه وسلم قط إلا بعد أن

(١) وضع فلادة في عنقها ليعلم أنها هدى والإشعار: الضرب في صفحة السنام حتى يسيل منها الدم وقد

تقدما . (٢) الدافة : القوم يسرون جماعة سيرا ليس بالشديد يقال : هم يدفون دفا .

حل ولم ينحره قبل يوم النحر ولا أحد من الصحابة البتة، ولم ينحره أيضا إلا بعد طلوع الشمس وبعد الرمي، فهي أربعة أمور مرتبة يوم النحر: أولها الرمي ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف وهكذا رتبها صلى الله عليه وسلم ولم يرخص في النحر قبل طلوع الشمس البتة ولا ريب أن ذلك مخالف لمهديه فحكمه حكم الأضحية إذا ذبحت قبل طلوع الشمس فإنها لا تجزئ .

فقه المذاهب في الحج

قد رأينا أن نعتمد في نقل فقه المذاهب على ما كتبه الامام آبن رشد (المتوفى سنة ٥٩٥) في كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وإن دعت الحاجة الى الرجوع لكتب المذاهب المختلفة رجعنا اليها، وسنذكر الأحكام مجردة عن الأدلة فان ما قدمنا لك من حجة الرسول فيه الأدلة الكافية لمن أرادها وإن أبيت إلا الزيادة فدونك هذا الكتاب وكتاب نيل الأوطار للعلامة الشوكاني اليمنى فانه البحر الخضم لمن رغب التوسع في الأدلة والله يوفقنا لما فيه الخير لديننا وأمتنا .

النظر في كتاب الحج في ثلاثة أجناس : «الجنس الأول» يشتمل على الأشياء التي تجرى من هذه العبادة مجرى المقدمات التي تجب معرفتها لعمل هذه العبادة؛ «الجنس الثاني» في الأشياء التي تجرى منها مجرى الأركان وهي الأمور المعمولة نفسها والأشياء المتروكة؛ «الجنس الثالث» في الأشياء التي تجرى منها مجرى الأمور اللاحقة وهي أحكام الأفعال وذلك أن كل عبادة فإنها توجد مشتملة على هذه الثلاثة الأجناس .

الجنس الأول

هذا الجنس يشتمل على شيئين : (١) معرفة وجوب الحج وشروطه وعلى من يجب؛ (٢) معرفة متى يجب .

(١) وجوب الحج وشروطه — لا خلاف في وجوب الحج لقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

والشروط قسمان: شروط وجوب، وشروط صحة؛ فأما شروط الصحة فلا خلاف بين الأئمة أن منها الإسلام فلا يصح حج من غير مسلم. واختلفوا في صحة وقوعه من الصبي - فذهب مالك والشافعي إلى جواز ذلك ومنع منه أبو حنيفة، وكذلك اختلف أصحاب مالك في صحة وقوعه من الطنل الرضيع وينبغي أن لا يختلف في صحة وقوعه ممن يصح وقوع الصلاة منه وهو كما قال صلى الله عليه وسلم من السبع إلى العشر.

وأما شروط الوجوب فالإسلام على القول بأن الكفار مخاطبون بفروع شريعتنا ولا خلاف في اشتراط الاستطاعة وإن كان في تفصيل ذلك اختلاف وهي بالجملة تتصور على نوعين: مباشرة ونيابة؛ فأما «المباشرة» فلا خلاف عندهم أن من شرطها الاستطاعة بالبدن وبالمال مع الأمن واختلفوا في تفصيل الاستطاعة بالبدن وبالمال فقال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد وهو قول ابن عباس وعمر بن الخطاب: إن من شرط ذلك الزاد والراحلة، وقال مالك: من استطاع المشى فليس وجود الراحلة من شرط الوجوب في حقه بل يجب عليه الحج وكذلك ليس الزاد عنده من شرط الاستطاعة إذا كان ممن يمكنه الاكتساب في طريقه ولو بالسؤال. فأما وجوبه باستطاعة «النيابة» مع العجز عن المباشرة فعند مالك وأبي حنيفة أنه لا تلزم النيابة إذا استطاعت مع العجز عن المباشرة، وعند الشافعي أنها تلزم فيلزم على مذهبه أن من لا يقدر على الحج ببدنه وعنده مال يكفي لإنباء غيره عنه في الحج تجب عليه تلك الإنابة من ماله الخاص، وإن وجد من يحج عنه بماله وبدنه من أخ أو قريب سقط ذلك عنه، وكذلك عنده الذي يأتيه الموت ولم يحج يلزم ورثته عنه أن يخرجوا من ماله ما يحج به عنه ولا خلاف بين المسلمين أنه يقع عن الغير تطوعاً وإثماً الخلاف في وقوعه فرضاً، واختلفوا من هذا الباب في الذي يحج عن غيره سواء أكان حياً أم ميتاً هل من شرطه أن يكون قد حج عن نفسه أو لا؟ فذهب بعضهم إلى أن ذلك ليس من شرطه وإن كان قد أدى الفرض عن نفسه فذلك أفضل وبه قال مالك فيمن يحج عن الميت لأن الحج عنده عن الحي لا يقع، وذهب آخرون إلى أن من شرطه أن يكون قد قضى فريضة نفسه وبه قال الشافعي وغيره

إنه إن حج عن غيره من لم يقض فرض نفسه آتتاب إلى فرض نفسه ، وأختلفوا في هذا الباب أيضا فيمن يؤاجر نفسه في الحج فكره ذلك مالك والشافعي وقالا : إن وقع ذلك جاز ولم يجز ذلك أبو حنيفة ، وبذلك عرفت من تجب عليه هذه الفريضة وممن تقع .

وأختلفوا من هذا الباب هل من شرط وجوب الحج على المرأة أن يكون معها زوج أو ذو محرم منها يطاوعها على الخروج معها إلى السفر للحج فقال مالك والشافعي : ليس ذلك من شرط الوجوب ، وقال أبو حنيفة وأحمد وجماعة : وجود ذى المحرم ومطاوعته لها شرط في الوجوب .

(٢) متى يجب الحج - اختلفوا هل هو على الفور أو على التراخي ، والقولان منسوبان إلى مالك وأصحابه والظاهر عند المتأخرين من أصحابه أنها على التراخي وبالقول أنها على الفور قال البغداديون من أصحابه واختلف في ذلك قول أبي حنيفة وأصحابه ، والمختار عندهم أنه على الفور وقال الشافعي : هو على التوسعة .

حكم العمرة - قيل : إنها واجبة ، وقيل : إنها سنة ، وقيل : هي تطوع وبالأقول قال الشافعي وأحمد وأبو عبيد والثوري والأوزاعي وهو قول ابن عباس وابن عمر من الصحابة وجماعة من التابعين وبالسنية قال مالك وجماعة ، وبالتطوع قال أبو حنيفة وأبو ثور وداود .

الجنس الثاني

في أفعال هذه العبادة نوعا نوعا والتروك المشترطة فيها

هذه العبادة صنفان : حج ، وعمرة ، والحج ثلاثة أنواع : إفراد وتمتع وقران وكلها تشمل على أفعال محدودة في أمكنة محدودة وأوقات محدودة وعلى تروك تشتت في تلك الأفعال ، ولكل هذه أحكام محدودة إما عند الإخلال بها وإما عند الطوارئ المانعة منها فإذا الجنس الثاني ينقسم إلى الأفعال وإلى التروك ، فلنبدا بالأفعال وهذه منها ما تشترك فيها هذه الأربعة الأنواع من النسك أعني أنواع الحج الثلاثة والعمرة

ومنها ما يختص ببعضها فلنبدا من القول فيها بالمشترك ثم نعقب ذلك بالخاص فنقول : إن الحج والعمرة أول أفعالها الفعل الذي يسمى بالإحرام .

(١) الإحرام - (١) ميقاته

الإحرام : يشترط فيه المكان والزمان أما المكان فهو ما يسمى بمواقيت الحج وقد أجمع العلماء على أن المواقيت التي منها يكون الإحرام، ذو الحليفة لأهل المدينة والمخفة لأهل الشام، وفرن لأهل نجد، ويللم لأهل اليمن، وأختلفوا في ميقات أهل العراق فقال جمهور فقهاء الأمصار: ميقاتهم من ذات عرق، وقال الشافعي والثوري: إن أهلوا من العقيق كان أحب^(١)، وجمهور العلماء على أن من يخطئ هذه وقصده الإحرام فلم يحرم إلا بعدها فعليه دم وهؤلاء منهم من قال : إن رجع الى الميقات فأحرم منه سقط عنه الدم ومنهم الشافعي، ومنهم من قال : لا يسقط عنه الدم وإن رجع وبه قال مالك، وقال قوم: ليس عليه دم، وقال آخرون: إن لم يرجع الى الميقات فسد حجه ويرجع الى الميقات فيهل منه بعمرة، وجمهور العلماء على أن من كان منزله دونهن فميقات إحرامه من منزله، وأختلفوا هل الأفضل إحرام الحاج منهن أو من منزله إذا كان منزله خارجا عنهن؟ فقال قوم: الأفضل له من منزله والإحرام منها رخصة وبه قال الشافعي وأبو حنيفة والثوري وجماعة، وقال مالك وإسحاق وأحمد إحرامه من المواقيت أفضل . وأختلفوا فيمن ترك الإحرام من ميقاته وأحرم من ميقات آخر غير ميقاته مثل أن يترك أهل المدينة الإحرام من ذي الحليفة ويحرموا من المخفة فقال قوم عليه دم ومن قال به مالك وبعض أصحابه وقال أبو حنيفة ليس عليه شيء .

ولا خلاف أنه يلزم الإحرام من مرة بهذه المواقيت ممن أراد الحج أو العمرة وأما من لم يردهما ومرة بهما فقال قوم: كل من مرة بهما يلزمه الإحرام إلا من يكثر ترداده مثل الخطابين وشبههم وبه قال مالك، وقال قوم: لا يلزم الإحرام إلا للمرید الحج

أو العمرة ، هذا كله لمن ليس من أهل مكة وأما أهل مكة فإنهم يخرجون الى الحل ويحرمون منه بالحج أو العمرة . وأما متى يحرم بالحج أهل مكة فقيل : إذا رأوا الهلال وقيل : إذا خرج الناس إلى منى فهذا هو ميقات المكان المشترط لأنواع هذه العبادة . وميقات الزمان محدود أيضا في أنواع الحج الثلاثة وهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة باتفاق ، وقال مالك : ثلاثة الأشهر كلها محل للحج ، وقال الشافعي : الشهران وتسع من ذى الحجة ، وقال أبو حنيفة : وعشر من ذى الحجة ، وفائدة الخلاف تأخر طواف الإفاضة الى آخر الشهر ، فإن أحرم بالحج قبل أشهره كرهه مالك وصح إحرامه عنده ، وقال غيره : لا يصح إحرامه ، وقال الشافعي : ينعقد إحرامه إحرام عمرة . وأما العمرة فاتفقوا على جوازها في كل أوقات السنة ، وقال أبو حنيفة : تجوز في كل السنة إلا يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق فإنها تکره . وأختلفوا في تكريرها في السنة الواحدة فكان مالك يستحب عمرة في كل سنة ويكره تكرارها في السنة الواحدة وقال الشافعي وأبو حنيفة : لا كراهة في ذلك .

فهذا هو القول في شروط الإحرام الزمانية والمكانية .

(ب) محظورات الإحرام

آتى العلماء على أن المحرم لا يلبس قميصا ولا سُرُوَالا (لباسا) ولا بُرْتُسا (قلنسوة طويلة) ولا خفا ولا ثوبا مسه الزعفران أو الورس (نبت أصفر يمتلئ) ولا ما كان في معنى ذلك من مخيط الثياب وأن هذا مخصوص بالرجال فلا بأس بأن تلبس المرأة القميص والسراويل والخفاف والخمر . وأختلفوا فيمن لم يجد غير السراويل هل له لباسها ؟ فقال مالك وأبو حنيفة : لا يجوز له ذلك وإن لبسها آفتدى ، وقال الشافعي والثوري وأحمد وأبو داود وأبو ثور : لا شيء عليه إذا لم يجد إزارا وجمهور العلماء على إجازة لبس الخفين مقطوعين لمن لم يجد النعلين وقال أحمد : يجوز لمن لم يجد النعلين أن يلبس الخفين غير مقطوعين ، قال عطاء : في قطعهما فساد والله لا يحب الفساد ، وأختلفوا فيمن لبسهما مقطوعين مع وجود النعلين فقال مالك : عليه الفدية وبه

قال أبو ثور ، وقال أبو حنيفة : فدية عليه ، والقولان عن الشافعي . واختلفوا في المعصفر فقال مالك : لا بأس به فانه ليس بطيب ، وقال أبو حنيفة والثوري : هو طيب وفيه الفدية وأجمعوا على أن إحرام المرأة في وجهها وأن لها أن تغطي رأسها وتسز شعرها وأن لها أن تسدل ثوبها على وجهها من فوق رأسها سدا خفيفا تستر به من نظر الرجال إليها . واختلفوا في تخيير المحرم وجهه بعد إجماعهم على أنه لا يخمر رأسه ، فروى مالك عن ابن عمر أن ما فوق الذقن من الرأس لا يخمره المحرم واليه ذهب مالك ، وروى عنه أنه إن فعل ذلك ولم ينزعه مكانه آفتدى ، وقال الشافعي والثوري وأحمد وداود وأبو ثور: يخمر المحرم وجهه إلى الحاجبين . واختلفوا في لبس القفازين للمرأة فقال مالك : إن لبستهما آفتدت ، ورخص فيه الثوري وهو مروى عن عائشة .

وأجمع العلماء على أن الطيب كله يحرم على المحرم بالحج أو العمرة في حال إحرامه ، واختلفوا في جوازه للمحرم عند الإحرام قبل أن يحرم لما يبق من أثره عليه بعد الإحرام فكرهه قوم وأجازه آخرون ، وممن كرهه مالك ورواه عن عمر بن الخطاب وهو قول عثمان وابن عمر وجماعة من التابعين ، وممن أجازه أبو حنيفة والشافعي والثوري وأحمد وداود .

وأجمع المسلمون على أن وطء النساء على الحاج حرام من حين يحرم لقوله تعالى ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ .

واتفقوا على أن المحرم لا يلقى تفثه ولا يزيل شعره ولا يقتل القمل ، وأجمعوا على أنه يجوز له غسل رأسه من الجنابة ، واختلفوا في كراهية غسله من غير الجنابة فقال الجمهور: لا بأس بغسله رأسه ، وقال مالك : بكراهية ذلك واتفقوا على منع غسل رأسه بالخطمي ، وقال مالك وأبو حنيفة : إن فعل ذلك آفتدى وقال أبو ثور وغيره : لا شيء عليه . واختلفوا في دخوله الحمام فكان مالك يكره ذلك ويرى أن على من دخله الفدية وقال أبو حنيفة والشافعي والثوري وداود : لا بأس بذلك .

ومن محظورات الإحرام الاصطياد وذلك مجمع عليه لقوله تعالى ﴿ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمَّتْ حُرْمًا ﴾ وقوله تعالى ﴿ لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ وقد أجمعوا على أنه لا يجوز له صيده ولا أكل ما صاده هو منه ، واختلفوا إذا صاده حلال هل يجوز للمحرم أكله ؟ على ثلاثة أقوال : قول أنه يجوز له أكله على الإطلاق وبه قال أبو حنيفة وهو قول عمر بن الخطاب والزيير ، وقال قوم : هو محترم عليه على كل حال وهو قول ابن عباس وعليّ وبه قال الثوري ، وقال مالك : ما لم يصد من أجل المحرم أو من أجل قوم محرمين فهو حلال ، وما صيد من أجل محرم فهو حرام على المحرم . واختلفوا في المضطر هل يأكل الميتة أو يصيد في الحرم ؟ فقال مالك وأبو حنيفة والثوري وزفر وجماعة : إذا اضطرأ كل الميتة ولحم الخنزير دون الصيد ، وقال أبو يوسف : يصيد ويأكل وعليه الجزاء ؛ فهذه الخمسة اتفق المسلمون على أنها من محظورات الإحرام . واختلفوا في نكاح المحرم فقال مالك والشافعي والليث والأوزاعي : لا ينكح المحرم ولا ينكح فان نكح فالنكاح باطل وهو قول عمر وعليّ بن أبي طالب وابن عمر وزيد بن ثابت ، وقال أبو حنيفة والثوري : لا بأس بأن ينكح المحرم وينكح .

(ج) أنواع الإحرام

المحرم إما محرم بعمرة مفردة أو محرم بحج مفرد أو جامع بين الحج والعمرة وهذان ضربان إما متمتع وإما قارن . ولما كان الأفراد هو التعرى عن صفات التمتع والقران وجب أن نبدأ أولاً بصفة التمتع ثم نردف ذلك بصفة القران ، اتفق العلماء على أن هذا النوع من النسك المعنى بقوله سبحانه ﴿ فَمَنْ تَمَعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ هو أن يهبل الرجل بالعمرة في أشهر الحج من الميقات إن كان مسكنه خارجاً عن الحرم ثم يأتي حتى يصل البيت فيطوف لعمرة ويسعى ويحلق في تلك الأشهر بعينها ثم يحل بمكة ثم ينشئ الحج في ذلك العام نفسه وفي تلك الأشهر نفسها من غير أن ينصرف إلى بلده إلا ما روى عن الحسن أنه كان يقول : هو متمتع وإن عاد إلى بلده ولم يحج فعليه الهدى وكان يقول : عمرة في أشهر الحج متعة وقال طاوس : من أعتمر في غير أشهر الحج ثم أقام حتى يحج

وحج من عامه إنه متمتع ، وقد اتفق العلماء على أن من لم يكن من حاضري المسجد الحرام فهو متمتع وأختلفوا في المكي هل يقع منه التمتع أو لا ؟ والقائلون بوقوعه منه اتفقوا على أنه ليس عليه دم لقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ . وأختلفوا فيمن هو حاضر بالمسجد الحرام ممن ليس هو كذلك فقال مالك : حاضر المسجد الحرام هم أهل مكة وذى طوى وما كان مثل ذلك من مكة ، وقال أبو حنيفة : هم أهل المواقيت فن دونهم إلى مكة وقال الشافعي بمصر : من كان بينه وبين مكة ليلتان وهو أقرب المواقيت ، وقال أهل الظاهر : من كان ساكن الحرم ، وقال الثوري : هم أهل مكة فقط ، وأبو حنيفة يقول إن حاضري المسجد الحرام لا يقع منهم التمتع .

وهنا بوعان من التمتع آختلف العلماء فيهما ، أحدهما فسخ الحج في عمرة وهو تحويل النية من الإحرام بالحج إلى العمرة ، بجمهور العلماء يكرهون ذلك من الصدر الأول وفقهاء الأمصار ، وذهب ابن عباس إلى جواز ذلك وبه قال أحمد وداود . وأما النوع الثاني من التمتع فهو ما كان يذهب إليه ابن الزبير أن التمتع الذي ذكره الله هو تمتع المحصر بمرض أو عدو وذلك إذا خرج الرجل حاجا فحبسه عدو أو أمر تعذر به عليه الحج حتى تذهب أيام الحج فيأتي البيت فيطوف ويسعى بين الصفا والمروة ، ويحل ثم يتمتع محله إلى العام المقبل ثم يحج ويهدى ، وعلى هذا القول لا يكون التمتع المشهور إجماعا ، وشذ طاوس أيضا فقال : إن المكي إذا تمتع من بلد غير مكة كان عليه الهدى . واختلف العلماء فيمن أنشأ عمرة في غير أشهر الحج ثم عملها في أشهر الحج ثم حج عامه ذلك فقال مالك : عمرته في الشهر الذي حل فيه فإن كان حل في أشهر الحج فهو متمتع وإن كان حل في غير أشهر الحج فليس بمتمتع ، وبقریب منه قال أبو حنيفة والشافعي والثوري إلا أن الثوري اشترط أن يقع طوافه كله في شوال وبه قال الشافعي ، وقال أبو حنيفة : إن طاف ثلاثة أشواط في رمضان وأربعة في شوال كان متمتعا وإن لا فلا ، وقال أبو ثور : إذا دخل في العمرة في غير أشهر الحج فسواء طاف لها في أشهر الحج أو في غيرها لا يكون متمتعا .

وشروط التمتع عند مالك ستة : (١) أن يجمع بين العمرة والحج في شهر واحد ؛
 (٢) أن يكون ذلك في عام واحد ؛ (٣) أن يفعل شيئاً من العمرة في أشهر الحج ؛
 (٤) أن يقدم العمرة على الحج ؛ (٥) أن ينشئ الحج بعد الفراع من العمرة
 وإحلاله منها ؛ (٦) أن يكون وطنه غير مكة .

والقران أن يهل بالنسكين معا أو يهل بالعمرة في أشهر الحج ثم يردف ذلك بالحج
 قبل أن يحل من العمرة . واختلف أصحاب مالك في الوقت الذي يكون ذلك له فيه
 فقيل ذلك له ما لم يشرع في الطواف ولو شوطاً واحداً وقبل : ما لم يطف ويركع .
 ويكره بعد الطواف وقبل الركوع فان فعل لزمه وقيل : له ذلك ما بقى عليه شيء من
 أعمال العمرة من طواف أو سعى إلا الحلق فانه بالاتفاق إذا أهل بالحج قبله فقط
 لا يكون قارناً والقارن الذي يلزمه هدى التمتع هو عند الجمهور من غير حاصري المسجد
 الحرام إلا آبن الماجشون من أصحاب مالك ، فان القارن من أهل مكة عنده عليه
 الهدى .

والإفراد ما عرى عن الصفات السابقة وهو أن لا يكون متمتعاً ولا قارناً بل أن
 يهل بالحج فقط . واختلف العلماء أيّ الثلاثة أفضل الإفراد أو التمتع أو القران (انظر
 أدلة ذلك ص ٢٧٠ جزء أول بداية وانظر ص ١٨٣ من زاد المعاد أول وتواليها) .

(د) صفة الإحرام

اتفق جمهور العلماء على أن الغسل للإهلال سنة وأنه من أفعال المحرم حتى
 قال ابن نوار : إن هذا الغسل للإهلال عند مالك أوكد من غسل الجمعة ،
 وقل أهل الظاهر : هو واجب ، وقال أبو حنيفة والثوري يجزى عنه الوضوء .
 واتفقوا على أن الإحرام لا يكون إلا بنية ، واختلفوا هل تجزئ النية فيه من غير
 التلبية فقال مالك والشافعي : تجزئ النية من غير تلبية ، وقال أبو حنيفة : التلبية
 في الحج كالتكبيرة في الإحرام بالصلاة إلا أنه يجزئ عنده كل لفظ يقوم مقام
 التلبية كما يجزئ عنده في افتتاح الصلاة كل لفظ يقوم مقام التكبير وهو كل ما يدل

على التعظيم . واتفق العلماء على أن تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك ، وَاخْتَلَفُوا هل هي واجبة بهذا اللفظ فقال أهل الظاهر : هي واجبة بهذا اللفظ ولا خلاف عند الجمهور في استحباب هذا اللفظ وإنما اختلفوا في الزيادة عليه أو في تبديله . وأوجب أهل الظاهر رفع الصوت بالتلبية وهو مستحب عند الجمهور . وأجمع أهل العلم على أن تلبية المرأة فيما حكاه أبو عمر هو أن تسمع نفسها بالقول . وقال مالك : لا يرفع المحرم صوته في مساجد الجماعة بل يكفيه أن يسمع من يليه إلا في المسجد الحرام ومسجد منى فإنه يرفع صوته فيهما . وأستحب الجمهور رفع الصوت عند التقاء الرفاق وعند الإطلال على شرف من الأرض . وكان مالك لا يرى التلبية من أركان الحج ويرى على تاركها دماً وكان غيره يراها من أركانه . وأستحب العلماء أن يكون ابتداء المحرم بالتلبية بأثر صلاة يصلحها ، وكان مالك يستحب ذلك بأثر نافلة . واختلفت الآثار في الموضع الذي أحرم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجته من أقطار ذى الحليفة فقال قوم : من مسجد ذى الحليفة بعد أن صلى فيه وقل آخرون : إنما أحرم حين أطل على البيداء وقال قوم : إنما أهل حين آستوت به راحلته . وسئل ابن عباس عن اختلافهم في ذلك فقال : كل حدث لا عن أول إهلاله صلى الله عليه وسلم بل عن أول إهلال سمعه ، وذلك لان الناس يأتون متسابقين فعلى هذا لا اختلاف . وأجمع فقهاء الأمصار على أن المكى لا يلزمه الإهلال حتى يخرج الى منى ليتصل له عمل الحج ، وروى مالك أن عمر بن الخطاب كان يأمر أهل مكة أن يهلوا إذا رأوا الهلال ، ولا خلاف عندهم أن المكى لا يهل إلا من جوف مكة إذا كان حاجاً وأما إذا كان معتمراً فإنهم أجمعوا على أنه يلزمه أن يخرج الى الحل ثم يحرم منه ليجمع بين الحل والحرم كما يجمع الحاج لأنه يخرج إلى عرفة وهي حل ، واختلفوا إن لم يفعل فقال قوم : يجزيه وعليه دم وبه قال أبو حنيفة وابن القاسم وقال آخرون : لا يجزيه وهو قول الثوري واشهب . واختلفوا متى تقطع التلبية؟ فقال مالك : تقطع بزوال الشمس من يوم عرفة وبه قال الخلفاء الأربعة غير أنه اختلف عن عثمان ،

وقال جمهور فقهاء الأمصار وأهل الحديث : تقطع برمي جمرة العقبة فإذا رمى آخر حصاة قطع التلبية وقيل : بل يقطعها في أول حصاة يلقيها وقيل : غير ذلك ، أما وقت قطع التلبية بالعمرة فقال أبو حنيفة ومالك : يقطعها إذا انتهى إلى الحرم ، وقال الشافعي : إذا أفتتح الطواف .

وجهور العلماء متفقون على إدخال الحج على العمرة ويختلفون في إدخال العمرة على الحج ، وقال أبو ثور : لا يدخل حج على عمرة ولا عمرة على حج كما لا تدخل صلاة على صلاة . وإلى هنا فرغنا من الكلام على أول عمل يأتي به المحرم وهو الإحرام وأما الفعل الذي بعد هذا فهو الطواف إذا دخل مكة .

(٢) الطواف بالبيت

الكلام في الطواف : (١) في صفته ؛ (٢) وشروطه ؛ (٣) وأنواعه وحكمه :

(١) صفة الطواف — الجمهور مجمعون على أن صفة كل طواف واجبا كان أو غير واجب أن يبدأ من الحجر الأسود فإن آستطاع أن يقبله قبله أو يلمسه بده ويقبلها إن أمكنه ثم يجعل البيت على يساره ويمضي على يمينه فيطوف سبعة أشواط يرمل في الثلاثة الأشواط الأول ثم يمشي في الأربعة وذلك في طواف القدوم على مكة وذلك للحاج والمعتمر دون المتمتع وأنه لا رمل على النساء ، ويستلم الركن اليماني وهو الذي على قطر الركن الأسود. وَاختلفوا في حكم الرمل في الثلاثة الأشواط الأول للقادم هل هو سنة أو فضيلة ؟ فقال ابن عباس : هو سنة ، وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وإسحاق وأحمد وأبو ثور ، واختلف قول مالك في ذلك وأصحابه ؛ ومن جعله سنة أوجب في تركه الدم ، ومن جعله فضيلة لم يوجب في تركه شيئا ، وعلى أصول الظاهرية يجب الرمل لقوله صلى الله عليه وسلم ” خذوا عني مناسككم “ وأجمعوا على أنه لا رمل على من أحرم بالحج من مكة من غير أهلها وهم المتمتعون لأنهم قد رملوا في حين دخولهم حين طافوا للقدوم ، واختلفوا في أهل مكة هل عليهم رمل إذا حجوا؟ فقال الشافعي : كل طواف قبل عرفة مما يوصل بينه وبين السعى فإنه يرمل

فيه ، وكان مالك يستحب ذلك ، وكان ابن عمر لا يرى عليهم رملا إذا طافوا بالبيت على ما روى عنه مالك . واتفقوا على أن من سنة الطواف استلام الركنين الأسود واليماني للرجال دون النساء ، واختلفوا هل تستلم الأركان كلها أم لا؟ فذهب الجمهور إلى أنه إنما يستلم الركنان فقط ، واحتج من رأى استلام جميعها بما روى عن جابر ، قال : كنا نرى إذا طفنا أن نستلم الأركان كلها . وكان بعض السلف لا يحب أن يستلم الركنين إلا في الوتر من الأشواط . وكذلك أجمعوا على أن تقبيل الحجر الأسود خاصة من سنن الطواف إن قدر وإن لم يقدر على الدخول إليه قبل يده . وأجمعوا على أن من سنة الطواف ركعتين بعد انقضاء الطواف وجمهورهم على أنه يأتي بهما الطائف عند انقضاء كل أسبوع إن طاف أكثر من أسبوع واحد ، وأجاز بعض السلف أن لا يفرف بين الأسابيع بالركعتين بل يركع لكل أسبوع ركعتين .

(٢) شروط الطواف -- (الشرط الأول) أن يكون في موضعه ، وجمهور العلماء على أن الحجر من البيت وأن من طاف بالبيت لزمه إدخال الحجر فيه وأنه شرط في صحة طواف الإفاضة ، وقال أبو حنيفة وأصحابه : هو سنة . (الشرط الثاني) أن يكون في وقته واختلفوا في وقت جوازه على ثلاثة أقوال : أحدها إجازة الطواف بعد الصبح والعصر ومنعه وقت الطلوع والغروب وهو مذهب عمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وبه قال مالك وأصحابه وجماعة ، والقول الثاني : كراهيته بعد الصبح والعصر ومنعه عند الطلوع والغروب وبه قال سعيد ابن جبير ومجاهد وجماعة ، القول الثالث : إباحة ذلك في هذه الأوقات كلها وبه قال الشافعي وجماعة . (الشرط الثالث) الطهارة . قال مالك والشافعي : لا يجزى طواف بغير طهارة لا عمدا ولا سهوا ، وقال أبو حنيفة : يجزى ويستحب له الإعادة وعليه دم ، وقال أبو ثور : إذا طاف على غير وضوء أجزاء طوافه إن كان لا يعلم ولا يجزئه إن كان يعلم ، والشافعي يشترط طهارة ثوب الطائف كاشتراط ذلك للصلى .

(٣) أنواع الطواف -- أجمع العلماء على أن الطواف ثلاثة أنواع ، طواف القدوم على مكة ، وطواف الإفاضة بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر ، وطواف الوداع ،

وأجمعوا على أن الواجب منها الذى يفوت الحج بفواته هو طواف الإفاضة وأنه المعنى بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ وأنه لا يجزئ عنه دم ، وجمهورهم على أنه لا يجزئ طواف القدوم على مكة عن طواف الإفاضة إذا نسي طواف الإفاضة لكونه قبل يوم النحر، وقالت طائفة من أصحاب مالك : إن طواف القدوم يجزئ عن طواف الإفاضة كأنهم رأوا أن الواجب هو طواف واحد، وجمهور العلماء على أن طواف الوداع يجزئ عن طواف الإفاضة إن لم يكن طاف طواف الإفاضة لأنه طواف بالبيت المعمول فى وقت طواف الوجوب الذى هو طواف الإفاضة ، وأجمعوا فيما حكاه أبو عمر بن عبد البر أن طواف القدوم والوداع من سنة الحاج إلا لخائف فوات الحج فإنه يجزئ عنه طواف الإفاضة، واستحب جماعة من العلماء لمن عرض له هذا أن يرمل فى الأشواط الثلاثة من طواف الإفاضة على سنة طواف القدوم من الرمل ، وأجمعوا على أن المكى ليس عليه إلا طواف الإفاضة كما أجمعوا أنه ليس على المعمار الا طواف القدوم، وأجمعوا أن من تمتع بالعمرة إلى الحج عليه طوافان طواف للعمرة لخله منها وطواف للحج يوم النحر ، وأما المفرد للحج فليس عليه إلا طواف واحد كما قلنا يوم النحر ، واختلفوا فى القارن فقال مالك والشافعى وأحمد وأبو ثور : يجزئ القارن طواف واحد وسعى واحد، وقال الثورى والأوزاعى وأبو حنيفة وابن أبى ليلى : على القارن طوافان وسعيان .

(٣) السعى بين الصفا والمروة

القول فيه فى : (١) حكمه ؛ (٢) صفته ؛ (٣) شروطه ؛ (٤) ترتيبه .

(١) حكم السعى - قال مالك والشافعى : إنه واجب وإن لم يسع كان

عليه حج قابل وبه قال أحمد وإسحاق ، وقال الكوفيون : هو سنة وإذا رجع إلى بلاده ولم يسع كان عليه دم ، وقال بعضهم : هو تطوع ولا شىء على تاركه .

(٢) صفته - جمهور العلماء : على أن من سنة السعى بين الصفا والمروة

أن ينحدر الراقى على الصفا بعد الفراغ من الدعاء فيمشى على دابته حتى يبلغ بطن

المسيل فيرمل فيه حتى يقطعه إلى ما يلي المروة فإذا قطع ذلك وجاوزه مشى على سجيته حتى يأتي المروة فيرقى عليها حتى يبدو له البيت ثم يقول عليها نحواً مما قال من الدعاء والتكبير على الصفا وإن وقف أسفل المروة أجزأه عند جميعهم ثم ينزل عن المروة فيمشى على طبيعته حتى يتهى إلى بطن المسيل فإذا انتهى إليه رمل حتى يقطعه إلى الجانب الذي يلي الصفا يفعل ذلك سبع مرات يبدأ في كل ذلك بالصفا ويختم بالمروة ، فإن بدأ بالمروة قبل الصفا ألغى ذلك الشوط ، وقال عطاء إن جهل فبدأ بالمروة أجزأ عنه . وأجمعوا على أنه ليس في وقت السعي قول محدود فإنه موضع دعاء ، وثبت من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا وقف على الصفا يكبر ثلاثاً ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك .

(٣) شروطه — آتفقوا على أن من شرطه الطهارة من الحيض كالطواف ، ولا خلاف بينهم أن الطهارة ليست من شرطه إلا الحسن فإنه شبهه بالطواف .

(٤) ترتيبه — جمهور العلماء : على أن السعي إنما يكون بعد الطواف ، وأن من سعى قبل أن يطوف بالبيت يرجع فيطوف ويسعى وإن خرج من مكة ، فإن جهل ذلك حتى أصاب النساء في العمرة أو في الحج كان عليه حج قابل والهدى أو عمرة أخرى ، وقال الثوري : إن فعل ذلك فلا شيء عليه وقال أبو حنيفة : إذا خرج من مكة فليس عليه أن يعود وتليه دم .

الخروج إلى عرفة — يلي السعي الخروج يوم التروية (الثامن من ذي الحجة) إلى منى والمبيت بها ليلة عرفة ، وآتفقوا على أن الإمام يصلي بالناس بمنى يوم التروية الظهر والعصر والمغرب والعشاء قاصراً الرباعية إلا أنهم أجمعوا على أن هذا الفعل ليس شرطاً في صحة الحج لمن ضاق عليه الوقت ثم إذا كان يوم عرفة صلى الإمام بالناس صلاة الصبح ومشى معهم بعد شروق الشمس من منى إلى عرفة ووقفوا بها بعد الزوال .

(٤) الوقوف بعرفة

التول في هذا الفعل ينحصر : (١) في معرفة حكمه ؛ (٢) وفي صفته ؛ (٣) وفي شروطه .

(١) حكم الوقوف — أجمعوا على أن الوقوف ركن من أركان الحج وأن

من فاته فعليه حج قابل والهدى في قول أكثرهم لقوله صلى الله عليه وسلم "الحج عرفة".

(٢) صفته — صفته أن يصل الإمام إلى عرفة يوم عرفة قبل الزوال

إذا زالت الشمس خطب الناس ثم جمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر ثم وقف حتى تغيب الشمس ، وإنما اتفقوا على هذا لأن هذه الصفة مجمع عليها من فعله

صلى الله عليه وسلم ، ولا خلاف بينهم أن إقامة الحج هي للسلطان الأعظم أو لمن يقيمه السلطان الأعظم لذلك وأنه يصلى وراءه بركان السلطان أوفاجرا أو مبتدعا ،

وأن السنة في ذلك أن يأتي المسجد بعرفة يوم عرفة مع الناس فإذا زالت الشمس خطب الناس كما قلنا وجمع بين الظهر والعصر . واختلفوا في وقت أذان المؤذن

بعرفة للظهر والعصر ، فقال مالك : يخطب الإمام حتى يمضي صدر من خطبته أو بعضها ثم يؤذن المؤذن وهو يخطب وقال الشافعي : يؤذن إذا أخذ الإمام في الخطبة الثانية

وقال أبو حنيفة : إذا صعد الإمام المنبر أمر المؤذن بالأذان كالحال في الجمعة فإذا فرغ المؤذن قام الإمام يخطب ثم ينزل ويقوم المؤذن الصلاة وبه قال أبو ثور تشبيها

بالجمعة ، وقد حكى ابن نافع عن مالك أنه قال : الأذان بعرفة بعد جلوس الإمام للخطبة ، وفي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما زاغت الشمس أمر بالقصواء

فرحلت له وأتى بطن الوادي فخطب الناس ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا ثم راح إلى الموقف . واختلفوا هل يجمع بين هاتين

الصلاتين بأذنين وإقامتين أو بأذان واحد وإقامتين ؟ قال مالك : بالأول ، وروى عن أحمد ، وقال أبو حنيفة والشافعي والثوري وأبو ثور وجماعة : بالثاني . واتفقوا

على أن الخطبة في هذا اليوم ليست بشرط للصلاة كالجمعة وأن القراءة في الصلاة

سر . واتفقوا على أن الصلاة مقصورة إذا كان الإمام مسافرا ، واختلفوا إذا كان الإمام ميكا هل يقصر بمنى الصلاة يوم التروية وبعرفة يوم عرفة وبالمزدلفة ليلة النحر إن كان من أحد هذه المواضع ؟ فقال مالك والأوزاعي وجماعة : سنة هذه المواضع التقصير سواء أكان من أهلها أم لم يكن ، وقال الثوري وأبو حنيفة والشافعي وأبو ثور وداود : لا يجوز أن يقصر من كان من أهل تلك المواضع . واختلف العلماء في وجوب الجمعة بعرفة ومِنَى فقال مالك : لا تجب الجمعة بعرفة ولا بمنى أيام الحج ، لا على أهل مكة ولا على غيرهم إلا أن يكون الإمام من أهل عرفة ، وقال الشافعي مثل ذلك إلا أنه يشترط في وجوب الجمعة أن يكون هناك من أهل عرفة أربعون رجلا على مذهبه في اشتراط هذا العدد في الجمعة ، وقال أبو حنيفة : إذا كان أمير الحج ممن لا يقصر بمنى ولا بعرفة صلى بهم فيها الجمعة إذا صادفها ، وقال أحمد : إذا كان وإلى مكة يجمع وبه قال أبو ثور .

(٣) شروطه - يشترط في الوقوف بعرفة أن يكون بعد الزوال ويسن له أن يمتد إلى غروب الشمس وأجمعوا على أن من وقف بعرفة قبل الزوال وأفاض منها قبل الزوال أنه لا يعتد بوقوفه وأنه إن لم يرجع فيقف بعد الزوال أو يقف من ليلته تلك قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج ، واختلفوا فيمن وقف بعرفة بعد الزوال ثم دفع منها قبل غروب الشمس فقال مالك : عليه حج قابل إلا أن يرجع ويدفع قبل الفجر ، وإن دفع منها قبل الإمام وبعد الغيوبة أجزاء ، وبالجملة فشرط صحة الوقوف عنده أن يقف ايلا وقال جمهور العلماء : من وقف بعرفة بعد الزوال فحجه تام وإن دفع قبل الغروب ، إلا أنهم اختلفوا في وجوب الدم عليه . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق أنه قال : عرفة كلها موقف وارتفعوا عن بطن عرنة . والمزدلفة كلها موقف إلا بطن محسّر ، ومنى كلها منحر ، وبفجاج مكة منحر ومبيت ، واختلف العلماء فيمن وقف من عرفة بعرنة فقبل : حجه تام وعليه دم . وبه قال مالك ، وقال الشافعي : لا حج له ، وبلى الوقوف بعرفة من أفعال الحج النهوض إلى المزدلفة بعد الغروب وما يعمل بها .

(٥) أفعال المزدلفة

قال تعالى ﴿ وَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ ﴾ أجمع العلماء على أن من بات بالمزدلفة ليلة النحر وجمع فيها بين المغرب والعشاء مع الإمام ووقف بعد صلاة الصبح إلى الإسفار بعد الوقوف بعرفة فإن حجه تام، وذلك أنها الصفة التي فعلها صلى الله عليه وسلم. واختلفوا هل الوقوف بها بعد صلاة الصبح والمبيت بها من سنن الحج أو من فروضه؟ فقال الأوزاعي وجماعة من التابعين : هو من فروض الحج ومن فاتته كان عليه حج قابل والهدى ، وفقهاء الأمصار يرون أنه ليس من فروض الحج ، وأن من فاتته الوقوف بمزدلفة والمبيت بها فعليه دم وقال الشافعي : إن دفع منها بعد نصف الليل الأول ولم يصل بها فعليه دم، وقد أجمعوا على أنه لو وقف بالمزدلفة ولم يذكر الله فإن حجه تام، والمزدلفة وجمع اسمان لموضع بيت الحجاج به ويجمعون بين المغرب والعشاء في أول وقت العشاء ويغسلون بالصبح فيها .

(٦) رمى الجمار

الفعل الذي يلي المبيت بمزدلفة والوقوف بها رمى الجمار وذلك أن المسلمين اتفقوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف بالمشعر الحرام وهو المزدلفة بعد ما صلى الفجر ثم دفع منها قبل طلوع الشمس إلى منى ، وأنه في هذا اليوم وهو يوم النحر رمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس ، وأجمع المسلمون أن من رماها في هذا اليوم في ذلك الوقت أعني بعد طلوع الشمس إلى زوالها فقد رماها في وقتها، وأجمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرم يوم النحر من الجمرات غيرها، واختلفوا فيمن رمى جمرة العقبة قبل طلوع الفجر فقال مالك : لم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لأحد أن يرمى قبل طلوع الفجر ولا يجوز ذلك، فإن رماها قبل الفجر أعادها وبه قال أبو حنيفة وسفيان وأحمد، وقال الشافعي : لا بأس به وإن كان المستحب هو بعد طلوع الشمس ، وقد أجمع العلماء على أن الوقت المستحب لرمي جمرة العقبة

(١) المزدلفة .

هو من لدن طلوع الشمس إلى وقت الزوال وأنه إن رماها قبل غروب الشمس من يوم النحر أجزأه ولا شيء عليه إلا ما لكأ فإنه قال : أستحب له أن يريق دما، وأخلفوا فيمن لم يرمها حتى غابت الشمس فرماها من الليل أو من الغد فقال مالك : عليه دم، وقال أبو حنيفة : إن رماها من الليل فلا شيء عليه وإن أخرها إلى الغد فعليه دم، وقال أبو يوسف ومحمد والشافعي : لا شيء عليه إن أخرها إلى الليل أو إلى الغد . وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى في حجة الجمرة يوم النحر ثم نحر بدنة ثم حلق رأسه ثم طاف طواف الإفاضة، وأجمع العلماء على أن هذا سنة الحج وأختلفوا فيمن قدم من هذه ما أخره النبي صلى الله عليه وسلم أو بالعكس فقال مالك : من حلق قبل أن يرمى جمرة العقبة فعليه الفدية، وقال الشافعي وأحمد وأبو داود وأبو ثور : لا شيء عليه، وعند مالك أن من حلق قبل أن يذبح فلا شيء عليه وكذلك إن ذبح قبل أن يرمى، وقال أبو حنيفة : إن حلق قبل أن ينحر أو يرمى فعليه دم، وإن كان قارنا فعليه دمان، وقال زفر : عليه ثلاثة دماء، دم للقران، ودمان للحلق قبل النحر وقبل الرمي، وأجمعوا على أن من نحر قبل أن يرمى فلا شيء عليه لأنه منصوص عليه . ومن قدم الإفاضة على الرمي والحلق لزمه إعادة الطواف، وقال الشافعي : ومن تابعه لا إعادة عليه، وقال الأوزاعي : إذا طاف للإفاضة قبل أن يرمى جمرة العقبة ثم واقع أهله أراق دما. وآتفقوا على أن جملة ما يرميه الحاج سبعون حصاة يرمى منها في يوم النحر جمرة العقبة بسبع، وإن رمى هذه الجمرة من حيث تيسر من العقبة من أسفلها أو من أعلاها أو من وسطها كل ذلك واسع والموضع المختار منها بطن الوادي . وأجمعوا على أنه يعيد الرمي إذا لم تقع الحصاة في العقبة وأنه يرمى في كل يوم من أيام التشريق ثلاث جمار بواحد وعشرين حصاة كل جمرة منها بسبع وأنه يجوز أن يرمى منها يومين وينظر في الثالث لقوله تعالى ﴿رَمَى تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ .

وقدر الحصاة عندهم أن تكون في مثل حصي الخذف . والسنة عندهم في رمي الجمرات كل يوم من أيام التشريق أن يرمى الجمرة الأولى فيقف عندها ويدعو وكذلك

الثانية ويطيل المقام ثم يرمي الثالثة ولا يقف . وأجمعوا على أن من سنة رمى الجمار الثلاث في أيام التشريق أن يكون ذلك بعد الزوال . واختلفوا إذا رماها قبل الزوال في أيام التشريق فقال جمهور العلماء : يعيد رميها بعد الزوال ، وروى عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : رمى الجمار من طلوع الشمس إلى غروبها . وأجمعوا على أن من لم يرم الجمار أيام التشريق حتى تغيب الشمس عن آخرها فإنه لا يريها بعد . واختلفوا في الواجب من الكفارة فقال مالك : إن ترك رمى الجمار كلها أو بعضها أو واحدة منها فعليه دم وقال أبو حنيفة : إن ترك الجمار كلها كان عليه دم وإن ترك جمرة واحدة فصاعدا كان عليه لكل جمرة إطعام مسكين نصف صاع حنطة إلى أن يبلغ دما بترك الجميع إلا جمرة العقبة فمن تركها فعليه دم ، وقال الشافعي : عليه في الحصاة مد من طعام وفي حصاتين مدان وفي ثلاث دم ، وقال الثوري مثله إلا أنه قال : في الرابعة الدم ، ورخصت طائفة من التابعين في الحصاة الواحدة ولم يروا فيها شيئا ، وقال أهل الظاهر : لا شيء في ذلك والجمهور على أن جمرة العقبة ليست من أركان الحج ، وقال عبد الملك من أصحاب مالك : هي من أركان الحج .

فهذه جملة أفعال الحج من حين الإحرام إلى أن يحل ، والتحلل : تحللان تحلل أكبر وهو طواف الإفاضة وتحلل أصغر وهو رمى جمرة العقبة ، وسنذكر الفرق بين التحليلين .

الجنس الثالث في الأحكام

(١) الإحصار

قال تعالى ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ جمهور العلماء : على أن المحصر عن الحج ضربان محصر بمرض ومحصر بعدو ، فالمحصر بالعدو اتفق الجمهور على أنه يحل من عمرته أو حجه حيث أحصر ، وقال الثوري والحسن بن صالح : لا يتحلل إلا في يوم النحر ، والذين قالوا : يتحلل حيث أحصر اختلفوا في إيجاب الهدى عليه وفي موضع نحره إذا قيل

بوجوبه وفي إعادة ما حصر عنه من حج أو عمرة، فذهب مالك الى أنه لا يجب عليه هدى وأنه إن كان معه هدى نحره حيث حل، وذهب الشافعي الى إيجاب الهدى عليه وبه قال أشهب، واشترط أبو حنيفة ذبحه في الحرم وقال الشافعي: حيثما حل وأما الإعادة فإن مالكا يرى عدم الإعادة عليه، وقال قوم: عليه الإعادة، وذهب أبو حنيفة إلى أنه إن كان أحرم بالحج فعليه حج وعمرة وإن كان قارنا فعليه حج وعمرتان وإن كان معتمرا قصى عمرته، وليس عليه عند أبي حنيفة ومحمد حلق أو تقصير، واختار أبو يوسف أن عليه ذلك.

وأما المحصر بمرض فإن مذهب الشافعي وأهل الحجاز أنه لا يحله إلا الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة وأنه بالجملة يتحلل بعمرة لأنه إذا فاته الحج بطول مرضه أنقلب عمرة وهو مذهب ابن عمر وعائشة وابن عباس، وخالف في ذلك أهل العراق فقالوا: يحل مكانه وحكمه حكم المحصر بعد وفيرسل هديه ويقدر يوم نحره ويحل في اليوم الثالث، والجمهور على أن المحصر بمرض عليه الهدى، وقال أبو ثور وداود: لا هدى عليه وأجمعوا على إيجاب القضاء عليه، وكل من فاته الحج بخطأ من العدد في الأيام أو بخفاء الهلال عليه أو بغير ذلك من الأعذار فحكمه حكم المحصر بمرض عند مالك، وقال أبو حنيفة: من فاته الحج بعذر غير المرض يحل بعمرة ولا هدى عليه وعليه إعادة الحج: والمكي المحصر بمرض عند مالك كغير المكي يحل بعمرة وعليه الهدى وإعادة الحج، وقال الزهري: لا بد أن يقف بعرفة وإن حمل حملا، وأصل مذهب مالك أن المحصر بمرض إن بقي على إحرامه إلى العام المقبل حتى يحج حجة القضاء فلا هدى عليه، فإن تحلل بعمرة فعليه هدى المحصر لأنه حلق رأسه قبل أن ينحرف في حجة القضاء.

(٢) أحكام جزاء الصيد والنبات

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ أي عاقبته.

قتل الصيد حرام على المحرم ، وأختلف العلماء هل الواجب في قتله قيمته أو مثله؟ فذهب الجمهور إلى أن الواجب المثل، وذهب أبو حنيفة إلى أنه مخير بين القيمة أعنى قيمة الصيد وبين أن يشتري بها المثل . وأختلفوا أيضا في استئناف الحكم على قاتل الصيد فيما حكم فيه السلف من الصحابة — مثل حكمهم أن من قتل نعامة فعليه بدنة تشبيها بها، ومن قتل غزالا فعليه شاة، ومن قتل بقرة وحشية فعليه إنسية — فقال مالك : يستأنف في كل ما وقع من ذلك الحكم به . وبه قال أبو حنيفة، وقال الشافعي : إن اجتراً بحكم الصحابة مما حكموا فيه جاز . وأختلفوا هل الأجزية في الآية على الترتيب أو التخخير، فقال مالك وأبو حنيفة بالتخخير، وقال زفر بالترتيب . وأختلفوا هل يقوم الصيد أو المثل إن اختار الإطعام فيشتري بقيمته طعاما . فقال مالك : يقوم الصيد وقال الشافعي : يقوم المثل ، ولم يختلفوا في تقدير الصيام بالطعام في الجملة وإن اختلفوا في التفصيل . فقال مالك : يصوم لكل مد يوما وهو الذي يطعم عندهم كل مسكين ، وبه قال الشافعي وأهل الحجاز، وقال أهل الكوفة : يصوم لكل مدين يوما وهو القدر الذي يطعم كل مسكين عندهم . وأختلفوا في قتل الصيد خطأ هل فيه جزاء أولا؟ فالجمهور على أن فيه الجزاء وقال أهل الظاهر : لا جزاء عليه .

وأحسنوا في الجماعة يشتركون في قتل الصيد فقال مالك : على كل واحد منهم جزاء كامل وقال الشافعي : عليهم جزاء واحد، وفرق أبو حنيفة بين المحرمين يقتلون الصيد وبين المحلين يقتلون في الحرم فقال : على كل من المحرمين جزاء وعلى المحلين جزاء واحد .

وأختلفوا هل يكون أحد الحكمين قاتل الصيد؟ فذهب مالك إلى أنه لا يجوز وقال الشافعي : يجوز وأختلف أصحاب أبي حنيفة على القولين جميعا .

وأختلفوا في موضع الإطعام فقال مالك : في الموضع الذي أصاب فيه الصيد إن كان ثم طعام وإلا ففي أقرب المواضع إليه، وقال أبو حنيفة : حيثما أطعم جاز، وقال الشافعي : لا يطعم إلا مساكين مكة .

وأجمع العلماء على أن المحرم اذا قتل الصيد عليه الجزاء ، وأختلفوا في الحلال يفتل الصيد في الحرم فقال جمهور فقهاء الأمصار : عليه الجزاء ، وقال داود وأصحابه : لا جزاء عليه ، ولم يختلف المسلمون في تحريم قتل الصيد في الحرم وإنما اختلفوا في الكفارة .

وجمهور فقهاء الأمصار على أن المحرم إذا قتل الصيد وأكله فإنه ليس عليه إلا كفارة واحدة ، وروى عن عطاء وطائفة : ان فيه كفارتين . وهذه مشهورات المسائل المتعلقة بالصيد .

وآتفق العلماء على أن صيد البر محترم على المحرم إلا الفواسق الخمس المنصوص عليها في حديث ابن عمر وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خمس من الدواب ليس على المحرم جناح في قتلهن ، الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور ، والجمهور على إباحة قتل هذه الدواب وكذلك آتفقوا على أن صيد البحر حلال كله للمحرم وإن اختلفوا في تفسيره كما اختلفوا فيما يلحق بالفواسق مما لا يلحق بها فقال مالك : الكلب العقور إشارة إلى كل سبع عاد فأما ما ليس بعاد من السباع فليس للمحرم قتله ، ولم يرقتل صغارها التي لا تعدو ولا ما كان منها أيضا لا يعدو ، وقال أبو حنيفة : لا يقتل من الكلاب العقورة إلا الكلب الإنسي والذئب . وقال الشافعي : كل محرم الأكل فهو في معنى الخمس ، ولا خلاف بينهم في قتل الحية والأفعى والأسود وقال مالك : لا أرى قتل الوزغ ، والأخبار بقتلها متواترة لكن مطلقا لا في الحرم ، وأختلفوا في الزنبر فالحقه بعضهم بالعقرب وبعضهم رأى أنه أضعف نكايه من العقرب .

وآتفق العلماء على أن السمك من صيد البحر وأختلفوا في غير السمك بناء منهم على أن ما يحتاج منه إلى زكاة ليس من صيد البحر وأكثر من ذلك ما كان محرما لا يعتبر من صيد البحر ، ولا خلاف بين من يحل جميع ما في البحر في أن صيده حلال . وأختلفوا فيما يعيش في البر والبحر معا ، وقياس قول أكثر العلماء أنه يلحق

بالذى عيشه فيه غالبا وهو حيث يولد . والجمهور على أن طير الماء محكوم له بحكم حيوان البر ، وروى عن عطاء أنه قال في طير الماء : حيث يكون أغلب عيشه يحكم له بحكمه .

وآختلف العلماء في نبات الحرم هل فيه جراء أم لا ؟ فقال مالك : لا جراء فيه وإنما فيه الإثم فقط ، وقال الشافعي : فيه الجزاء في الدَّوْحَة (الشجرة العظيمة) بقرة وفيما دونها شاة وقال أبو حنيفة : كل ما كان من غرس الإنسان فلا شيء فيه وكل ما كان نابتا بطبعه ففيه قيمته ، والأصل في هذا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث : « ولا يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلَا يَنْتَمِرُ صَيْدُهَا » .

(٣) حكم إتيان المحظورات في الإحرام

أجمع العلماء على أن فدية الأذى المذكورة في قوله تعالى ﴿ زِمَّنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ واجبة على كل من أطاق الأذى من ضرورة ، وألحق به مالك من أطاقه من غير ضرورة ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : إن حلق من غير ضرورة وإنما عليه دم فقط ، والمتعمد والناسي في وجوب الفدية سواء عند مالك وأبي حنيفة والثوري والليث ، وقال الشافعي في أحد قولي ، وأهل الظاهر : لا فدية على الناسي .

وأجمع العلماء على أن فدية الأذى ثلاث خصال على التخيير الصيام والإطعام والنسك ، والجمهور على أن الإطعام لستة مساكين ، والصيام ثلاثة أيام ، والنسك أقله شاة ، وروى عن الحسن وعكرمة ونافع أنهم قالوا : الإطعام لعشرة مساكين ، والصيام عشرة أيام ، وقد اختلف الفقهاء فيما يطعمه لكل مسكين فقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم : الإطعام في ذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم لكل مسكين ، وروى عن الثوري أنه قال : من البر نصف صاع ومن التمر والزبيب والشعير صاع ، وروى أيضا عن أبي حنيفة مثله وهو أصله في الكفارات .

والجمهور على أن كل ما منعه المحرم من لبس الثياب المخيطة وحلق الرأس وقص الأظفار أنه إذا استباحه فعليه الفدية دم على اختلاف بينهم في ذلك أو إطعام ولم يفرقوا بين الضرر وغيره في هذه الأشياء وكذلك استعمال الطيب وقال قوم: ليس في قص الأظفار شيء وقال آخرون: فيه دم، وحكى ابن المنذر الإجماع على منع المحرم من قص الأظفار، واختلفوا فيمن أخذ بعض أظفاره، فقال الشافعي وأبو ثور: إن أخذ ظفرا واحدا أطعم مسكينا واحدا وإن اثنين فاشين وإن ثلاثة فعليه دم في مقام واحد، وقال أبو حنيفة في أحد أقواله: لا شيء عليه حتى يقصها كلها، وقال أبو محمد ابن حزم: يقص المحرم أظفاره وشاربه وهو شذوذ وقال: لا فدية إلا في حلق الرأس للعذر الذي ورد فيه النص. وقد أجمع العلماء على منع حلق شعر الرأس، واختلفوا في حلق الشعر من سائر الجسد، فالجمهور على أن فيه الفدية وقال داود: لا فدية عليه. واختلفوا فيمن نتف من رأسه الشعرة والشعرتين أو من لحمه فقال مالك: ليس على من نتف الشعر اليسير شيء إلا أن يكون أمارط به أذى فعليه الفدية وقال الحسن: في الشعرة مد وفي الشعرتين مدان وفي الثلاث دم، وبه قال الشافعي وأبو ثور، وقال عبد الملك صاحب مالك: فيما قل من الشعر إطعام وفيما كثر فدية.

واختلفوا في موضع الفدية فقال مالك: يفعل من ذلك ما شاء أين شاء بمكة وبغيرها وإن شاء ببلده لا فرق في ذلك بين الإطعام وذبح النسك والصيام وهو قول مجاهد، والذي عند مالك هاهنا هو نسك وليس بهدي، فإن الهدى لا يكون إلا بمكة أو بمنى، وقال أبو حنيفة والشافعي: الدم والإطعام لا يجزيان إلا بمكة، والصوم حيث شاء وقال ابن عباس: ما كان من دم فبمكة وما كان من إطعام وصيام فحيث شاء وعن أبي حنيفة مثله.

واختلف العلماء في حلق الرأس هل هو نسك من مناسك الحج أو هو مما يتحلل به منه؟ ولا خلاف بين الجمهور في أنه من أعمال الحج وأنه أفضل من التقصير إلا للنساء فسننهن التقصير، ومعظم الفقهاء على أنه نسك في الحج والعمرة وأنه واجب على

كل من فاته الحج وأحصر بعدو أو مرض، وقال أبو حنيفة : لا حلق ولا تقصير على المحصر بعدو، وبالجملة فمن اعتبر الحلق أو التقصير نسكا (عبادة) أوجب في تركه الدم ومن لم يجعله نسكا لم يوجب فيه شيئا .

(٤) كفارة المتمتع

نص الله سبحانه عليها في قوله ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وجمهور العلماء على أن ما استيسر من الهدى شاة، وذهب ابن عمر إلى أن الهدى لا يطلق إلا على الإبل والبقر، وأن معنى قوله تعالى فما استيسر من الهدى أى بقرة أدون من بقرة وبدنة أدون من بدنة، وأجمعوا على أن هذه الكفارة على الترتيب وإن لم يجد الهدى فعليه الصيام . واختلفوا في حد الزمان الذى ينتقل بأقضائه فرضه من الهدى إلى الصيام فقال مالك : إذا شرع في الصوم فقد أنتقل واجبه إليه ، وقال أبو حنيفة : إن من وجد الهدى في أثناء صوم الثلاثة الأيام لزمه وإن وجده في صوم السبعة لم يلزمه ، وأجمعوا على أنه إذا صام الثلاثة الأيام في العشر الأول من ذى الحجة أنه قد أتى بها في محلها لقوله سبحانه ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ واختلفوا فيمن صامها في أيام عمل العمرة قبل أن يهل بالحج أو صامها في أيام منى ؟ فأجاز مالك صيامها في أيام منى ومنعه أبو حنيفة فقال : إذا فاتته الأيام الأول وجب الهدى في ذمته ، ومنعه مالك قبل الشروع في عمل الحج وأجازه أبو حنيفة ، وآتفقوا على أنه إذا صام السبعة الأيام في أهله أجزاء ، واختلفوا إذا صامها في الطريق ، فقال مالك : يجزئ الصوم وقال الشافعى : لا يجزئ .

(٥) مفسدات الحج ومفواته

ولا خلاف أن من فاته الحج بعد أن شرع فيه إما بفوات ركن من أركانه وإما من قبل غلظه في الزمان أو من قبل جهله أو نسيانه أو إتيانه في الحج فعلا مفسدا له فإن عليه القضاء إذا كان حجا واجبا وهل عليه هدى مع القضاء؟ الجمهور : على وجوب الهدى عليه ، واختلفوا أيضا هل يقضى الحج التطوع أو لا .

ومما يخصّ الحجّ الفاسد عند الجمهور دون سائر العبادات أنه يمضي فيه المفسد له ولا يقطعه وعليه دم، وشذ قوم فقالوا : هو كسائر العبادات .

وأتفقوا على أن الحجّ يفسد بترك أركانه التي هي شرط في صحته على اختلافهم فيما هو ركن مما ليس بركن ، وكذلك يفسده الجماع باتفاق إن كان قبل الوقوف بعرفة أو قبل الطواف والسعي بالنسبة للعمرة ، وأختلفوا في فساد الحجّ بالوطء بعد الوقوف بعرفة وقبل رمي جمرة العقبة وبعد رمي الجمرتين وقبل طواف الإفاضة الذي هو الواجب فقال مالك والشافعي : يفسده الوطء قبل رمي جمرة العقبة وعليه الهدى والقضاء .

وقال أبو حنيفة والثوري : عليه الهدى بدنة وحجه تام وروى مثله عن مالك والجمهور على أن من وطئ بعد رمي جمرة العقبة وقبل الطواف لا يفسد حجه ويلزمه الهدى .

وقالت طائفة : فسد حجه وهو قول ابن عمر . واختلفوا في صفة الجماع الذي يفسد الحجّ وفي مقدماته ، فالجمهور على أن التفاء الختائين يفسد الحجّ ويحتمل من يشترط في وجوب الطهر الإنزال مع التفاء الختائين أن يستتره في الحجّ ، وأختلفوا في إنزال الماء فيما دون الفرج فقال أبو حنيفة : لا يفسد الحجّ ، وقال الشافعي : ما أوجب الحدّ أفسد الحجّ ، وقال مالك : الإنزال نفسه يفسد الحجّ وكذلك مقدماته من المباشرة والقبلة ، وأستحب الشافعي فيمن جامع دون الفرج أن يهدى . وأختلفوا فيمن وطئ مرارا فقال مالك : ليس عليه إلا هدى واحد وقال أبو حنيفة : إن كرر الوطء في مجلس واحد كان عليه هدى واحد وإن كرره في مجالس كان عليه لكل وطء هدى ، وقال محمد بن الحسن يجزيه هدى واحد وإن كرر الوطء ما لم يهد لوطئه الأول ، وعن الشافعي الثلاثة الأقوال إلا أن الأشهر عنه مثل قول مالك ، وسوى مالك بين الوطء عمدا ونسيانا ، وقال الشافعي في الجديد : لا كفارة على الناسي . وأختلفوا هل على المرأة هدى ؟ فقال مالك : إن طاوعته فعليها هدى وإن أكرهها فعليه هديان ، وقال الشافعي : ليس عليه إلا هدى واحد كقوله في المجمع في رمضان ، وجمهور العلماء : على أنهما إذا حجا من قابل تفرقا أي الرجل والمرأة ، وقيل : لا يفترقان وهو مروى عن بعض الصحابة والتابعين وبه قال أبو حنيفة وفي أي الأماكن يفترقان ؟ قال الشافعي :

يفترقان من حيث أفسدا الحج ، وقال مالك : يفترقان من حيث أحراما إلا أن يكونا أحراما قبل الميقات . ولا خلاف بين العلماء أن التحلل الأصغر الذي هو رمي الجمره يوم النحر - يحل به الحاج من كل شئ حرم عليه إلا النساء والطيب والصيد فإنهم اختلفوا في ذلك ، أما التحلل الأكبر بطواف الإفاضة فانه يحل للحاج كل ما حرم عليه بالاتفاق . وآتفقوا أيضا على أن المعتمر يحل من عمرته إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وإن لم يكن حلق ولا قصر لثبوت الآثار بذلك إلا خلافا شاذاً ، روى عن ابن عباس أنه يحل بالطواف وقال أبو حنيفة : لا يحل إلا بعد الحلق ، فإن جامع قبله فسدت عمرته .

وآختلف العلماء في الهدى الواجب بالجماع فقال مالك وأبو حنيفة : شاة ، وقال الشافعي : بدنة ، وإن لم يجدها قومت البدنة دراهم والدراهم طعاما ، فإن لم يجد صام عن كل مده يوما ، قال : والإطعام والهدى لا يجزى إلا بمكة أو بمنى والصوم حيث شاء وقال مالك : كل نقص دخل في الإحرام من وطء أو حلق شعر أو إحصار فإن صاحبه إن لم يجد الهدى صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع ولا يدخل الإطعام فيه ، فالك شبه الدم اللازم لها بدم التمتع ، والشافعي شبهه بالدم الواجب في الفدية ، والإطعام عند مالك لا يكون إلا في كفارة الصيد وكفارة إزالة الأذى .

يفوت وقت الحج بفوات الوقوف بعرفة يوم عرفة وأجمعوا أن من هذه صفته لا يخرج من إحرامه إلا بالطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة أعنى أنه يحل ولا بد من عمرة وجج من قابل ، واختلفوا هل عليه هدى أو لا ؟ فقال مالك والشافعي وأحمد والثوري وأبو ثور : عليه الهدى ، وقال أبو حنيفة : لا هدى عليه ، واختلف العلماء في القارن إذا فاته الحج هل يقضى حجاً مفرداً أو مقروناً بعمرة ؟ فذهب مالك والشافعي إلى أنه يقضى قارناً وقال أبو حنيفة : ليس عليه إلا الأفراد ، وجمهور العلماء : على أن من فاته الحج لا يقيم على إحرامه ذلك إلى عام آخر ، وهذا هو الاختيار عند مالك إلا أنه أجاز ذلك ليسقط عنه الهدى ولا يحتاج إلى التحلل بعمرة .

(٦) الكفارات المسكوت عنها

اتفق الجمهور على أن أعمال الحج أقسام ثلاثة : فرض لا يجب بتركه دم ، وسنة مؤكدة يجب بتركها الدم ، ونفل مرغ فيه لا يجب بتركه دم ولا شيء آخر ؛ وكذلك اتفقوا على أن ما كان من التروك مسنوناً ففي فعله فدية الأذى ، وما كان مرغبا فيه فليس في تركه شيء ، ولكن اختلفوا فيما يعتبر فرضاً أو سنة أو يعتبر سنة أو نفلاً ، وأهل الظاهر لا يوجبون دماً أو فدية إلا فيما ورد فيه النص إذ لا قياس عندهم خصوصاً في العبادات .

وها نحن أولاء نذكر لك أفعال الحج ومحظوراته واحداً واحداً ونبين ما فيه دم أولاً : (١) مجاوزة الميقات من غير إحرام قال قوم : لا دم عليه وقال قوم : عليه الدم وإن رجع وهو قول مالك وآبن المبارك ، وروى عن الثوري . وقال قوم : إن رجع إليه فليس عليه دم وإن لم يرجع فعليه دم وهو قول الشافعي وأبي يوسف ومحمد ، ومشهور قول الثوري . وقال أبو حنيفة : إن رجع مليباً فلا دم عليه وإن رجع غير مليب كان عليه الدم ، وقال قوم : هو فرض ولا يجبره الدم ؛ (٢) غسل الرأس بالخطمي قال مالك وأبو حنيفة : من فعله بفنسي . وقال الثوري وغيره : لا شيء عليه ؛ (٣) دخول الحمام رأى فيه مالك الفدية والأكثر على الإباحة ؛ (٤) لبس ما نهى عن لباسه ، فيه المدينة على قول الجمهور . واختلفوا فيما لبس السراويل لعدم الإزار ، فقال مالك وأبو حنيفة : يفتدى ، وقال الثوري وأحمد وأبو ثور وداود : لا شيء عليه إذا لم يجد إزاراً . واختلفوا فيما لبس الخفين مقطوعين مع وجود النعلين فقال مالك : عليه الفدية ، وقال أبو حنيفة : لا فدية عليه والقولان عن الشافعي . واختلفوا في لبس المرأة القفازين (لباس اليمين) «الجوانتي» هل فيه فدية أولاً ؟ وقد تقدم كثير من هذه الأحكام في باب الإحرام ؛ (٥) ترك التلبية ، قيل : فيه دم ، وقيل لا : وقد تقدم ؛ (٦) نكس الطواف أو نسيان شوط من أشواطه ، يعيد الطواف من فعل ذلك باتفاق ما دام يمكنه . واختلفوا إذا بلغ إلى أهله فقال

قوم منهم أبو حنيفة : يجزيه الدم ، وقال قوم : بل يعيد ويجبر ما نقصه ؛ (٧) ترك الرمل في الثلاثة الأشواط لا يجبر بالدم على قول ابن عباس والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وأبي ثور ، وأختلف في ذلك قول مالك وأصحابه ؛ (٨) تقبيل الحجر أو يديه بعد وضعهما عليه في ترك ذلك دم ؛ (٩) نسيان ركعتي الطواف حتى يرجع الشخص الى أهله فيه دم عند مالك ، وقال الثوري : يركعهما ما دام في الحرم ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : يركعهما حيث شاء ؛ (١٠) طواف الوداع ، لا يجبر بدم عند من يرى أنه فرض ومن لا يراه فرضا ، اختلفوا فيمن تركه ولم يتمكن له العودة اليه ، فقال مالك : ليس عليه شيء إلا أن يكون قريبا فيعود ، وقال أبو حنيفة والثوري : فيه دم إن لم يعد وإنما يرجع عندهم ما لم يبلغ المواقيت ؛ (١١) عدم إدخال الحجر في الطواف فيه دم إلا اذا أعاده قبل أن يخرج من مكة وهذا عند أبي حنيفة ؛ (١٢) المشي في الطواف مع القدرة عليه ، قال مالك : هو من شرط الطواف كالقيام في الصلاة فإن عجز كان كصلاة القاعد ويعيد عنده إلا إذا رجع إلى بلده فإن عليه دما . وقال الشافعي : الركوب في الطواف جائز ؛ (١٣) ترك السعي فيه دم إذا أنصرف إلى بلده وهو عند من لا يراه واجبا ، ومن رآه تطوعا لم يوجب فيه شيئا ؛ (١٤) تقديم السعي على الطواف إذا لم يعده حتى يخرج من مكة فيه دم عند بعضهم ؛ (١٥) الدفع من عرفة قبل الغروب فيه دم عند أبي حنيفة والثوري عاد أولم يعد ، وقال الشافعي وأحمد : لا شيء عليه إذا عاد ودفع بعد الغروب ؛ (١٦) الوقوف بعرفة من عرفة فيه دم عند مالك ، والشافعي يرى أن لا حج له . وتقدم مثل ذلك كثير .

القول في الهدى

النظر في الهدى يشتمل : (١) على معرفة حكمه ؛ (٢) وعلى معرفة جنسه ؛ (٣) وعلى معرفة سنه ؛ (٤) وكيفية سوقه ؛ (٥) ومن أين يساق ؛ (٦) والى أين يساق وهو موضع نحره ؛ (٧) وحكم لحمه بعد النحر .

(١) حكم الهدى — الهدى المسوق في الحج منه واجب ومنه تطوع ، والواجب منه ما هو واجب بالنذر ومنه ما هو واجب في بعض أنواع هذه العبادة

ومنه ما هو واجب لأنه كفارة ، فالواجب في بعض أنواع هذه العبادة هو هدى المتمتع باتفاق وهدى القارن باختلاف ، وأما الذى هو كفارة فهدى القضاء على مذهب من يشترط فيه الهدى وهدى كفارة الصيد، وهدى القاء الأذى والتفت وما أشبه ذلك من الهدى المقيس على المنصوص كما قدمنا .

(٢) جنس الهدى — أتفق العلماء على أن الهدى لا يكون إلا من الأزواج

الثمانية التى نص الله عليها وأن الأفضل فى الهدايا الإبل ثم البقر ثم الغنم ثم المعز .

(٣) سنّ الهدى — أجمعوا على أن الثنّى^(١) فما فوقه يجوز منها وأنه لا يجوز

الجدع^(٢) من المعز فى الضحايا والهدايا ، وأختلفوا فى الجدع من الضأن فأكثر أهل

العلم يقولون بجوازه فى الهدايا والضحايا ، وكان ابن عمر يقول : لا يجوز فى الهدايا

إلا الثنّى من كل جنس ، ولا خلاف فى أن الأغلى ثمننا من الهدايا أفضل وليس

فى عدد الهدى حدّ معلوم ، وكان هدى رسول الله صلى عليه وسلم مائة .

(٤) كيفية سوق الهدى — يساق الهدى مقلدا مشعرا لأن رسول الله صلى

الله عليه وسلم قلده هديه بذى الحليفة وأشعره وأحرم وتقلد الإبل والبقر بنعل أو نعلين

أو غيرهما إذا لم يجد وهذا باتفاق ، أما الغنم فلا تقلد عند مالك وأبى حنيفة وتقلد

عند الشافعى وأحمد وداود وأبى ثور ، ويستحب توجيه الهدى الى القبلة حين

توجيهه ، ومالك يستحب فى الإشعار طعن الهدى فى سنامه حتى يسيل منه الدم وأن

يكون من الجانب الأيسر ، والشافعى وأحمد وأبو ثور يستحبونه من الجانب الأيمن .

(٥) من أين يساق الهدى — يرى مالك أن السنة فى الهدى أن يساق

من الحل ولذلك ذهب الى أن من آشتى الهدى بمكة ولم يدخله من الحل عليه أن

(١) الثنى من الإبل : ما دخل فى السنة السادسة ومن البقر والغنم ما دخل فى الثالثة وعلى مذهب أحمد

هو من المعز ما دخل فى الثانية .

(٢) الجدع : من أسنان الدواب ما كان شابا فتيا وهو من الإبل ما دخل فى السنة الخامسة ، ومن البقر

والمعز ما دخل فى السنة الثانية وقيل : من البقر ما دخل فى الثالثة ، ومن الضأن ما تمت له سنة وقيل : أقل منها .

يقفنه بعرفة وإن لم يفعل فعليه البدل ، وأما من أدخله من الحل فيستحب له أن يقفنه بعرفة وهو قول ابن عمر وبه قال الليث ، وقال الشافعي والثوري وأبو ثور : وقوف الهدى بعرفة سنة سواء أدخل من الحل أم لا ، ولا حرج على من لم يقفنه ، وقال أبو حنيفة : توقيف الهدى بعرفة ليس بسنة .

(٦) منحر الهدى — محله أى الموضع الذى يحل نحره فيه — البيت . قال تعالى : ﴿ ثُمَّ مَحَّيْهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَنِينِ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هَدِيًّا بِأَلْبَعِ الْكَعْبَةِ ﴾ ، وأجمع العلماء على أن الكعبة لا يجوز لأحد أن يذبح فيها وكذلك المسجد الحرام ، وقال مالك : المراد بالكعبة فى الآية مكة ولهذا لم يجز لمن نحر هديه فى الحرم إلا أن ينحره بمكة ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : إن نحره فى غير مكة من الحرم أجأه ، وقال الطبرى : يجوز نحر الهدى حيث شاء إلا هدى القران وجزاء الصيد فانهما لا ينحران إلا بالحرم ، وبالجملة فالنحر بمنى إجماع من العلماء وفى العمرة بمكة إلا ما اختلفوا فيه من نحر المحصر ، وعند مالك إن نحر للحج بمكة وللعمرة بمنى أجأه ، وحجة مالك أنه لا يجوز النحر بالحرم إلا بمكة قوله صلى الله عليه وسلم « كل بغجاج مكة طريق وهنجر » وآستثنى مالك من ذلك هدى الفدية فأجاز نحره بغير مكة . هذا مكانه وأما زهانه فقال مالك : إن ذبح هدى التمتع أو التطوع قبل يوم النحر لم يجزه ، وقال الشافعي : يجوز فى كليهما قبل يوم النحر ، وجوزوه أبو حنيفة فى التطوع والجمهور على أن الصيام المعدول به عن الهدى يجوز حيث شاء لأنه لا منفعة فى ذلك لأهل الحرم ولا لأهل مكة وإنما اختلفوا فى الصدقة المعدولة عن الهدى ، بجمهور العلماء : على أنها لمساكين مكة والحرم لأنها بدل من جزاء الصيد الذى هو لأهل الحرم ، وقال مالك : الإطعام كالصيام يجوز بغير مكة .

وتستحب فى النحر التسمية لأنها ذكاة وأستحب بعضهم التكبير معها ، ويستحب للهدى أن يلى نحر هديه بيده وإن آستخلف جاز ويسن أن تنحر قياما .

(٧) الانتفاع بالهدى — في ذلك مسائل مشهورة : (١) ركوب الهدى ، فذهب أهل الظاهر إلى جوازه لضرورة ومن غير ضرورة بل أوجب بعضهم ركوبه وكره جمهور فقهاء الأمصار ركوبه من غير ضرورة ؛ (٢) أكل لحمه ، أجمع العلماء على أن هدى التطوع إذا بلغ محله أكل منه المتطوع كسائر الناس وإذا عطب قبل ذلك خلى بينه وبين الناس ولم يأكل منه ، بل قال أبو داود وأبو ثور : لا يأكل منه رفقته أيضا ، وَاختلفوا في الواجب على من أكل منه فقال مالك : عليه بدل الهدى وقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد والثوري وآبن حبيب من أصحاب مالك : عليه قيمة ما أكل أو أمر بأكله طعاما يتصدق به ، وروى عن علي وآبن عباس وآبن مسعود وجماعة من التابعين . وما عطب في الحرم قبل أن يصل الى مكة هل بلغ محله أولا ؟ فيه الخلاف وهو مبنى على الخلاف المتقدم هل المحل هو مكة أو الحرم ؟ وأما الهدى الواجب فإن عطب قبل محله فلصاحبه أن يأكل منه لأن عليه بدله ، بل أجاز بعضهم أن يبيع لحمه ليستعين به في بدله — وكره مالك ذلك — وَاختلفوا في الأكل من الهدى الواجب إذا بلغ محله فقال الشافعي : لا يؤكل من الهدى الواجب كله ولحمه كله للمساكين وكذلك جلّه إن كان مجللا والنعل الذي قلده وقال مالك : يؤكل من الهدى الواجب جزاء الصيد ونذر المساكين وفدية الأذى ، وقال أبو حنيفة لا يؤكل من الهدى الواجب إلا هدى المتعة والقران .



وإلى هنا تم ما قصدنا من أحكام الحج في المذاهب وأختصرنا ذلك من بداية

المجتهد كما أعلمناك سابقا .

جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

العمل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الخملية
الحج	(١) وِرْص فورا	وِرْص تراخيا	فرص فورا	وِرْص فورا
العمرة	سنة مؤكدة	»	سنة مؤكدة	»
الإحرام بالحج أى نيته	شِرْص وركن (٢)	ركن	ركن	ركن
» بالعمرة أى نيته	شِرْص وركن	»	»	»
قرن الإحرام بالتلبية	شِرْص وركن (٣)	سنة	سنة وقيل واحد	سنة
الإحرام من الميقات	واحد (٤)	واحد	واجب	واحد
العسل للإحرام	سنة	سنة	سنة	مستحب
التطيب للإحرام	»	»	مكروه	»
التلبية	»	»	واجبة	سنة
طواف القدوم	»	»	واجب	»
فيه الطواف	شرط	شرط (٥)	»	شرط
بده الطواف من الحجر الأسود	واحد	»	»	»
جعل البيت عن سائر الطائف	»	»	شرط	»
المتى فى الطواف لقادر عايه	»	سنة	واجب	»
الظهاره من الحدين فى الطواف	»	شرط	شرط	»
طهاره البدن والثوب والمكان فى الطواف	سنة	»	»	»
كون الطواف من وراء الحجر	واجب	»	»	»
» فى المسجد	»	»	»	»
» سبعة أشواط	(٦) واجب	»	»	»

(١) عند محمد على التراخى . (٢) أى شرط آبتداء حيث يصح حصوله قبل أشهر الحج . وركن آنتهاء حيث لا يصح آستدامته بعد أشهر الحج ليصح به من قابل . والفرق بين الشرط والركن أن الشرط خارج عن الشئ والركن جزء منه وكل منهما لا بد منه لصحة الشئ . (٣) السنة لا يلزم تركها شئ ولكن يموت الثواب . (٤) يلزم بتركه دم . (٥) فى الوداع والتطوع فقط . (٦) الأربعة الأشواط الأولى ركن والثلاثة الأخيرة واجبة فى طواف الزيارة سنة فى الطواف الواجب .

(تابع) جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

العامل	حكم الحنبلية	حكم المالكية	حكم الشافعية	حكم الحنبلية
امرأة بين أشواط الطواف	سنة	سنة	سنة	سنة
سارورة في الطواف	واجب	واجب	واجب	واجب
ركعتا طواف	سنة	سنة	سنة	سنة
اصروف للعمرة	سنة	سنة	سنة	سنة
سعى بين الصفا والمرود في الحج أو العمرة	واجب	واجب	واجب	واجب
وموع سعى بعد طواف	سنة	سنة	سنة	سنة
بدا سعى	سنة	سنة	سنة	سنة
امسى فيه مع القدرة	سنة	سنة	سنة	سنة
كون سعى سبعة أشواط	سنة	سنة	سنة	سنة
امرأة بين أشواط السعى	سنة	سنة	سنة	سنة
« السعى والطواف	سنة	سنة	سنة	سنة
احق أو التقصير في العمرة	سنة	سنة	سنة	سنة
احبت بمنى ليلة عرفه	سنة	سنة	سنة	سنة
وقوف بعرفة	سنة	سنة	سنة	سنة
وقت وقوف بعرفة	سنة	سنة	سنة	سنة
وقوف إلى ما بعد الغروب إن وقف نهارا	سنة	سنة	سنة	سنة
الذبح من عرفه مع الإمام أو نائبه	سنة	سنة	سنة	سنة
الحج بمزدلفة بين صلاتي المغرب والعشاء	سنة	سنة	سنة	سنة
احبت بمزدلفة	سنة	سنة	سنة	سنة

(١) وتكون بمادان ولا يجبران بالدم . (٢) ويجب فيها عند المالكية أن يكونا بوضوء الطواف كما يجب أن لا يصليا بالحجر أو الكعبة وأن لا يفصل بينهما وبين الطواف فاصل طويل .
(٣) ولكن يكفي في تحصيل الواجب انك لحظة في النصف الثاني من الليل عند الشافعي ولحظة بعد انهجر عند أبي حنيفة ومقدار حط الرجال وصلاة العشاءين وتناول شيء من الطعام والشراب عند مالك .

(تابع) جدول بمعظم أحكام الحج في المذاهب الأربعة

معمل	حكم الحنفية	حكم الشافعية	حكم المالكية	حكم الحنبلية
الوقوف بمزدلفة « المشعر الحرام » في وقته ^(١)	واجب	واجب	سنة أو مستحب	واجب
رمي جرة العقبة يوم النحر ^(٢)	»	»	واجب	»
الحلق أو التقصير في الحج	»	ركن	»	»
الترتيب بين الرمي والتذبح والحلق	»	سنة	سنة	سنة
كون الحلق في الحرم وأيام النحر	»	»	»	»
طواف الإفاضة	ركن أكثره	ركن	ركن	ركن
كونه في أيام النحر	واجب	»	واجب في ذي الحجة	سنة يوم العيد
تأخير صواف الإفاضة عن الرمي	سنة	سنة	واجب	سنة
رمي الجمرات الثلاث في أيام التشريق ^(٣)	واجب	واجب	»	واجب
عدم تأخير الرمي عن الليل	سنة	سنة	»	سنة
المبيت بين ليالي يوم التشريق ^(٣)	»	واجب	»	واجب
طواف وداع	واجب	»	مستحب	»

حكم المناسك وأسرارها

نذكر تحت هذا العنوان كلمة ممتعة للسيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار الغراء وهي القسم الأخير من رسالته في مناسك الحج، قال أحسن الله إليه تحت هذا العنوان: يظن كثير من الناس الذين لا يعرفون كنه هذا الدين القويم من غير أهله ومن

(١) وقته من طلوع الفجر الى شروق الشمس . (٢) وقتها المستحب من طلوع الشمس الى الروال ولا يجوز رميها قبل الفجر خلافا للشافعي ويجوز رميها الى غروب شمس يوم النحر فان رماها بالليل وجب عليه دم عند مالك وإن أخرها الى الغد عليه دم عند مالك وأبي حنيفة . (٣) وذلك في يومين فقط إن تعجل وفي ثلاثة لغيره .

المنسويين إليه على سبيل الجحسية لا التدين أن بعض مناسك الحج من العبادات الوثنية وأن الإسلام أقرها تأييساً لمشركى العرب ، وقد سئلنا عن ذلك سؤالاً مطوّلاً نشر في باب الفتوى من المجلد السادس عشر ، فنذكر هنا ملخص ما أجبنا به من حكم الحج وأسارره وأولا ضيق الوقت لزدنا عليه وهو :

حكمة أستلام الحجر الأسود — من عرف معنى العبادة يقطع بأن المسلمين لا يعبدون الحجر الأسود ولا الكعبة ، ولكن يعبدون الله تعالى وحده باتباع ما شرعه فيهما . بل كان من تكريم الله تعالى لبيته أن صرف مشركى العرب وغيرهم من الوثنيين والكتابيين الذين كانوا يعظمونه قبل الإسلام عن عبادته ، وقد وضعوا فيه الأصنام وعبدوها فيه ولم يعبدوه ، ذلك أن عبادة الشىء عبارة عن دعائه وكل قول أو عمل مبنى على اعتقاد أن له سلطة غيبية يترتب عليها الرجاء بنفعه لمن يعبده أو دفع الضرر عنه ، والخوف من ضره لمن لا يعبده أو لمن يقصر في تعظيمه ، سواء أكانت هذه السلطة ذاتية لذلك الشىء المعبود فيستقل بالنفع والضرر أم كانت غير ذاتية له بأن يعتقد أنه واسطة بين من لجأ إليه وبين المعبود الذى له السلطة الذاتية . ولا يوجد أحد من المسلمين يعتقد أن الحجر الأسود ينفع أو يضر بسلطة ذاتية له ، ولا بساطة تقرب من يعبده ويلجأ إليه إلى الله تعالى ، ولا كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ذلك وتقوله فى الحجر كما تقول فى أصنامها : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ وإنما عقيدة المسلمين فى الحجر هى ما صرح به عمر بن الخطاب رضى الله عنه عند تقبيله ، قال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع وأولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك — رواه الجماعة كلهم — أحمد والشيخان وأصحاب السنن . وقد بينا فى المنار من قبل أن هذا القول روى أيضا عن أبى بكر رضى الله عنه وروى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن أثر عمر كان العمدة فى هذا الباب للاتفاق على صحة سنده . قال الطبرى : إنما قال عمر ذلك (أى مع أنه معلوم من الدين بالضرورة) لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام فخشى أن

يظن الجهال أن أستلام الحجر الأسود من باب تعظيم الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية ، فأراد أن يعلم الناس أن أستلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته اه .

بقى أن يقال : إذا كان هذا الحجر لا ينفع ولا يضر - كما قال عمر في الموسم تعليماً للناس وأقره جميع الصحابة عليه - وكان أستلامه وتقبيله لمحض الطاعة والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يتبع في سائر العبادات ، فما حكمة جعل ما ذكر من العبادة؟ وهل يصح ما قيل : من أن النبي صلى الله عليه وسلم تركه في الكعبة مع أنه من آثار الشرك تأليفاً للمشركين وأستمالة لهم إلى التوحيد؟ والجواب أن الحجر ليس من آثار الشرك ولا من وضع المشركين ، وإنما هو من وضع إمام الموحدين إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم ، جعله في بيت الله ليكون مبدءاً للطواف بالكعبة يعرف بمجزد النظر إليها فيكون الطواف بنظام لا يضطرب فيه الطائفون ، وبهذا صار من شعائر الله يكرم ويقبل ويحترم لذلك كما تحترم الكعبة لجعلها بيتاً لله تعالى وإن كانت مبنية بالحجارة فالعبارة بروح العبادة النية والقصد ، وبصورتها الأمتثال لأمر الشارع واتباع ما ورد بلا زيادة ولا نقصان ، ولهذا لا تقبل جميع أركان الكعبة عند جمهور السلف ، وإن قالوا بتقبيل المصحف وغيره من الشعائر الشريفة بعض من يرى القياس في الأمور التعبدية . وتعظيم الشعائر والآثار الدينية والدنيوية بغير قصد العبادة معروف في جميع الأمم لا يستنكره الموحدون ولا المشركون ولا المعطلون ، وأشد الناس عناية به الإفرنج فقد بنوا لآثار عظماء الملوك والفاتحين والعلماء العاملين الهياكل العظيمة ونصبوا لهم التماثيل الجميلة ، وهم لا يعبدون شيئاً منها ، فلماذا نهتم بكل ما يلفظ به كل قسيس أو سياسي يريد تنفير المسلمين من دينهم إذا مود علينا في شأن تعظيم الحجر الأسود فزعم أنه من آثار الوثنية ، ونحن نعلم أنه أقدم أثر تاريخي ديني لأقدم إمام موحد داع إلى الله من النبيين المرسلين الذين عرف شيء صحيح من تاريخهم وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي أجمع على تعظيمه مع المسلمين اليهود والنصارى؟

بقى من حكمة أستلام الحجر وتقبيله ما أعتمده الصوفية فيها أخذاً مما ورد في بعض الأحاديث الضعيفة كحديث ابن عباس « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » رواه الطبراني ، فقالوا : وهو أنه رمز لمبايعة الله تعالى فكان الحجر يمين الله تعالى ، ومستلمه مبائع له على توحيدهِ والإخلاص له واتباع دينه الحق ، والأعمال الرمزية معروفة في جميع الأديان الإلهية . وقال المهلب : حديث عمر يرد على من قال إن الحجر يمين الله في الأرض يصاغ بها عباده — ومعاذ الله أن تكون لله جارحة — وإنما شرع تقبيله اختباراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع ، وذلك شبيهة بقصة إبليس حيث أمر بالسجود لآدم اه . وليس مراد من قال إنه يمين الله أن لله جارحة ، وإنما أراد ما ذكرنا ، والعمدة في رد هذا القول عدم صحة الحديث فيه . فإن صح وجب قبوله ومعناه ظاهر ، وقال الخطابي : معنى كونه يمين الله في الأرض أن من صاحفه في الأرض كان له عند الله عهد ، وجرت العادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والأختصاص به مخاطبتهم بما يعهدونه . وقال المحب الطبري : إن كل ملك إذا قدم عليه الوفد قبل يمينه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم سن له تقبيله نزل منزلة يمين الملك ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ اه .

ولعمري لو أن ملوك الإفرنج وعلماءهم أمكنهم أن يشتروا هذا الحجر لعظيم تغالوا في ثمنه تغاليا لا يتغالون مثله في شيء آخر في الأرض ، ولو وضعوه في أشرف مكان من هياكل التحف والآثار القديمة عندهم ، ولحج وفودهم إلى رؤيته وتمنى الملايين لو تيسر لهم لمسه وأستلامه ، وناهيك بمن يعلم منهم تاريخه وكونه من وضع إبراهيم أبي الأنبياء عليهم السلام وأنهم ليتغالون فيما لا شأن له من آثار الملوك أو النصب .

هذا وأن من مقاصد الحج النافعة تذكر نشأة الاسلام دين التوحيد والنفطرة في أقدم معابده وإحياء شعائر إبراهيم التي طمستها وشوهتها الجاهلية بوشيتها فظهرها الله ببعثة ولده محمد الذي أستجاب الله به دعوته ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ عليهما الصلاة والسلام . روى

أحمد وأصحاب السنن والحاكم عن يزيد بن شيبان قال : أتانا ابن مَرِبَع (كمنبر واسمه يزيد) الأنصاري ونحن بعرفة — في مكان يباعده عمرو عن الإمام^(١) — فقال : أما إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم ، يقول لكم : « قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من أبيكم ابراهيم » هذا سياق أبي داود وقد سكت عليه . وقال الترمذى : حديث ابن مَرِبَع الأنصاري حديث حسن لانعرفه إلا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار .

وجملة القول أن مناسك الحج من شريعة إبراهيم وقد أبطل الإسلام كل ما آتدعته الجاهلية فيها من وثنيته وقبيح عملها كطوافهم بالبيت عرارة ، وأن الكعبة من بناء إبراهيم واسماعيل عليهما السلام كما هو ثابت عند العرب بالإجماع المتواترينهم ، وكانوا يعظمونها هم والأمم المجاورة لهم بل والبعيدة عنهم كالهنود ، ومن الثابت أيضا أنهم لما جددوا بناءها أبقوا الركنين اليمانيين على قواعد إبراهيم ، وإنما اقتصروا من جهة الركنين الشاميين ، ولذلك ورد آستلام الركنين اليمانيين دون غيرهما ، ويقال لأحدهما : الركن الأسود لأن فيه الحجر الأسود وللآخر : اليماني فإذا شئوهما قالوا : اليمانيين تغليبا كما يقولون في تثنية الركن الشامي والركن العراقي : الشاميين . ولما كانت الكعبة قد جدد باؤها قبل الإسلام وبعده ولم يبق فيها حجر يعلم باليقين أنه من وضع ابراهيم إلا الحجر الأسود لامتياز بلونه وبكونه مبدأ المطاف — كان هو الأثر الخاص المذكور بنشأة الاسلام الأولى في ضمن الكعبة المذكورة بذلك بوضعها وموضعها وسائر خصائصها ، زادها الله حفظا وشرفا . وقد علم بهذا أن الحجر له منزلة تاريخية دينية وإن كان الأصل في وضعه بلون مخالف للون البناء آهتداء الناس بسهولة الى جعله مبدأ للطواف . ولنا مع علمنا بهذا أن نقول إن الله تعالى أن يخصص ما شاء من الأجسام والأمكنة والأزمنة بما شاء لروابط العبادة والشعائر ، فلا فرق بين تخصيص

(١) هذه الجملة مدرجة في الحديث أدرجها في الرواية عمرو بن دينار ومعناها أنهم في مكان بعيد عن

موقف الامام بحيث لا يسمعون كلامه فقوله : يباعده عمرو يعني يذكر عمرو بن عبدالله بن صنوان تابعي

أنه بعيد عن الإمام الأعظم صلى الله عليه وسلم أى فلذلك أرسل اليهم رسولا .

الحجر الأسود بما خصصه به وبين تخصيص البيت الحرام والمشعر الحرام وشهر رمضان والأشهر الحرم بما خصت به ، ومبنى العبادات على الاتباع لا على الرأي .

حكمة رمى الجمار

إذا وعيت ماتقدم كان نورا بين يديك تبصر به حكم سائر مناسك الحج ، أعني أنها مما تعبدنا الله تعالى بها لتغذية إيماننا بالطاعة والامتثال سواء عرفنا سبب كل عمل منها وحكمته أم لا ، وأنها إحياء لدين إبراهيم أبي الأنبياء وإمام الموحدين المخلصين ، وتذكير بنشأة الإسلام ومعاهده الأولى . وإن لأستحضار ذلك لتأثيرا عظيما في تغذية الإيمان وتقوية الشعور به والثقة بأنه دين الله الخالص الذي لا يقبل غيره ، فإن جهلنا سبب شرع بعض تلك الأعمال أوحكمتها لا يضرنا ذلك ولا يثنيها عن إقامتها ، كما اذا ثبت لنا نفع دواء من الأدوية مركب من عدة أجزاء وجهلنا سبب كون بعضها أكثر من بعض ، فإن ذلك لا يثنيها عن استعمال ذلك الدواء والانتفاع به ، ولا يدعونا إلى النوقف وترك استعماله إلى أن نتعلم الطب ونعرف حكمة أوزان تلك الأجزاء ومقاديرها .

أبسط ما يتبادر إلى الذهن من منشأ هذه العبادة أن هذه المواضع التي تسمى الجمرات كانت من معاهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فشرع لنا أن نقف عند كل واحدة منها تكبيراً سبع تكبيرات ترمي عند كل تكبيرة حصاة صغيرة بين أصابعنا نعدّ بها التكبير ، والعدّ بالحصى — ومثله النوى في مثل الحجاز — من الأمور المعهودة عند الذين يعيشون عيشة السداجة ، فنجمع بهذا الذكر بهذه الكيفية بين إحياء سنة إبراهيم الذي أقام الدين الحق في هذه المعاهد وبين التعبد لله تعالى بكيفية لا حظ للنفس ولا محل للهوى فيها . والعبادة منها شعائر يجتمع لها الناس وتقصد الأمة بعملها إظهار الدين والاجتماع والتألف على عبادة الله تعالى ، وكل أعمال الحج من هذا القبيل ، ومنها ما يقصد به تربية كل فرد نفسه وتركيتها فقط كالتهدد وذكر الله في الخلوة ، فلا يقال إن الذكر والتكبير لا يختص بذلك الزمان والمكان ، لأن هذا

التول لا يصح إلا في غير الشعائر إذ الشعائر لا بد فيها من التخصيص والتوقيت لأجل جمع الناس عليها بنظام كالأذان وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين .

أما كون رمى الجمار شرع لذكر الله تعالى فسيأتي حديث عائشة المصريح به ، وأما سبب وقوف إبراهيم في تلك المعاهد لذكر الله وتكبيره وعدّه بالحصى فلا يضرنا جهله ويكفينا أن نقتدى به في هذه الشعيرة كشعيرة الطواف وغيرها من المناسك . وورد في بعض الأحاديث الضعيفة السند أن إبليس عرض له هنالك أى يوسوس له ويشغله عن أداء المناسك فكان يرميه كل مرة فيخنس ثم يعود . وروى الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس : لما أتى خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض ثم ذكر الجمرة الثالثة كذات .

وروى عن محمد بن إسحاق قال : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاءه جبريل عليه السلام فقال له طف به سبعا : ثم ساق الحديث وفيه أنه لما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له إبليس عند جمرة العقبة فقال له جبريل : كبر وأرمه سبع حصيات ، فرماه فغاب عنه ، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل : كبر وأرمه فرماه إبراهيم سبع حصيات ، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل : كبر وأرمه ، فرماه سبع حصيات مثل حصى الخذف ، فغاب عنه إبليس . ثم وصى إبراهيم في حجه - الحديث . وليس تمثل الشيطان للأنياء ولا ظهوره لحم بغريب في قصصهم ففي الإنجيل المعتمد عند النصارى أنه ظهر للمسيح عليه السلام وجربه تجارب طويلة . فإذا صح أن إبليس عرض لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في أثناء أداء مناسكه بظهور ذاته أو مثاله أو بمجرد التصدى للوسوسة والشغل عن ذكر الله تعالى فلا غرابة في قذفه ورجمه كما يطرد الكاب ، فمن المعروف في الأخلاق والطباع أن يأتي الإنسان بعمل عضوى يظهر به كراهته لما يعرض له

حتى من الخواطر القبيحة ودفعه عنه وبراءته منه ، فأخذ الحصيات ورمىها مع تكبير الله تعالى من هذا القبيل ، وإن حركة اليد المشيرة الى البعد لتفيد في دفع الخواطر الشاغلة للقلب...والرجم بالحجارة بقصد الدلالة على السخط والتبري أو الإهانة معهود من الناس وله شواهد عند الأمم كرجم بنى اسرائيل مع يشوع النبي (يوشع عليه السلام) لعجان بن زراح وأهله وماله من ناطق وصامت كما في ٧ : ٢٤ و ٢٥ من سفر يشوع ، وكرجم النصارى لشجرة التين التي لعنها المسيح ، ورجم العرب في الجاهلية لقبر أبي رغال في المُفَمَّس بين مكة والطائف لأنه كان يقود جيش أبرهة الحبشى الى مكة لأجل هدم الكعبة حرسها الله تعالى .

والعمدة في رمي الجمار ما تقدم من قصد التعبد لله تعالى وحده بما لاحظ للنفس فيه اتباعا لإبراهيم أقدم رسل الله الذين بقيت آثارهم في الأرض ، ومحمد خاتم رسل الله ومكمل دينه ومتممه الذي حفظ كله في الأرض صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في بيان أسرار الحج من الإحياء : «وأما رمي الجمار فليقصد به الاتقياد للأمر بإظهار اللزق والعبودية ، وأنتهاضا لمجرد الأمتثال من غير حظ للنفس والعقل في ذلك . ثم ليقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية ، أمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله . فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ، ويخيل إليك أنه لا فائدة فيه ، وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به ؟ فاطرده عن نفسك بالحد والتشمير في الرمي ، فبذلك ترغم أنف الشيطان . وأعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى في العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره ، إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس فيه » اه .

حكمة الرمل في الطواف والسعي بين الصفا والمروة

الطواف بالكعبة المعظمة والسعي بين الصفا والمروة من مناسك الحج وشعائر الإسلام عن عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وروى أن هاجر رضى الله تعالى عنها كانت تسعي بينهما والهة حيرى عند حاجتها إلى الماء زمن ولادتها إسماعيل حتى هداها الله تعالى الى بئر زمزم . والحكمة في هذه العبادة ما ذكرناه في الكلام على رمى الجمار من إقامة ذكر الله تعالى في هذه المعاهد التي هي أقدم معاهد التوحيد المعروفة في الأرض وإحياء سنن المرسلين فيها، قال صلى الله عليه وآله وسلم « إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمى الجمار لإقامة ذكر الله » رواه أبو داود والترمذى وقال حسن : صحيح من حديث عائشة . وأذكاره معروفة في المناسك . وأما الرمل فيه فهو سنة نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة ومعناه سرعة في المشى مع تقارب الخطوات من غير عدو ولا وثب، ويسمى الخبب أيضا، فهو دون العدو وفوق المشى المعتاد، فإن زادت السرعة كان عدوا .

أما سبب الرمل في الطواف والسعي بهمة ونشاط بين الصفا والمروة فهو كما يؤخذ من عدة أحاديث إظهار قوة المسلمين لأشركين ، وكان قد علم النبي صلى الله عليه وسلم أن المشركين قالوا عام الحديبية في المؤمنين : قد أوهنتهم حمى يثرب . وروى في الصحيح أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة لعمره القضاء قال المشركون : إن محمدا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال لذلك أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يرملوا في ثلاث طوفات ويمشوا في أربع من الأشواط السبعة من طواف القدوم فقط . وكان خطر لعمر بن الخطاب أن يتركه لأن النبي صلى الله عليه وسلم فعله لسبب عارض ، ثم بداله فمضى عليه لأنه علم أن المحافظة على ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينه عنه كالمحافظة على ما كان فعله جده إبراهيم صلى الله عليه وسلم إن لم تكن أولى، روى أبو داود وآبن ماجه عنه أنه قال : « فيم الرملان اليوم والكشف عن المناكب وقد أطن الله الإسلام

(أى وطأه وأحكه) ونفى الكفر وأهله؟ مع ذلك لا ندع شيئا كما نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم» وأصله في البخارى بلفظ «فما لنا والرمل إنما كما رأينا به المشركين وقد أهلكهم الله — ثم قال — شىء صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه»؛ وقوله: «رأينا» مشاركة من الرؤية أى أريناهم قوتنا وأنا لانعجز عن مقاومتهم، وقيل: هو من الرياء بمعنى إراءة ما هو غير الواقع أى أريناهم من الضعف قوة. والرياء مذموم لأنه خداع والخداع جائز في الحرب وهذا من قبيل الحرب، وقوله في الرواية الأولى: والكشف عن المناكب معناه الأضطباع وهو أن يؤخذ الرداء من تحت إبط اليد اليمنى فيلقى على كتف اليسرى فتظهر المناكب، وحكته عين حكمة الرمل، وقيل: إنما هو لأجل التمكن منه وقد ورد في الصحيح أن المشركين قالوا عندما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يرملون مضطبعين: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم أجلد من كذا وكذا، وفي رواية أجلد منا. فعلم من هذا أن الرمل أو الهرولة كما قال السائل إنما شرعت في الطواف لسبب، وأما نحافظ عليه لتمثيل حال سلفنا الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم اتباعا وتذكرا لنشأة الإسلام الأولى في عهدهم، وهل توجد أمة من الأمم غيرنا تعرف من نشأة دينها هذه الدقائق بيقين؟ لا! فالحمد لله رب العالمين.

• حكمة ذبائح النسك

حكمة ذبائح الهدى والأضاحى معروفة لا يجهلها عامة المسلمين، وهى طاعة الله تعالى وتقواه وإظهار نعمته بتوسعة المسلمين على أنفسهم وعلى الفقراء والمساكين فى أيام العيد التى هى أيام ضيافة الله للؤمنين، وهى من مناسك الحج لأنها إحياء لسنة إبراهيم وتذكر لنعمة الله عليه وعلى الناس بقداء ولده إسماعيل من الذبح الذى آبتلاه الله واختبره به لتظهر قوة إيمانه بالله تعالى وإيثاره لرضاه. ونعمة الله بذلك على الناس كافة إنما هى من حيث إن إسماعيل هو جد محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله تعالى خاتما لرسله وهاديا للناس كافة.

قال الله تعالى في البُذْن التي تتحرر للنسك ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا آلْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ وقال في ذبائح النسك عامة ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ﴾ .

جملة القول في حكمة الحج والاعتبار به

اعلم أيها الحاج أن ما ورد في الحديث الصحيح من أن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وأن «من حج ولم يرفث ولم يفسق نرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» سببه أن الحج إذا أدى كما يجب الله تعالى يقوى الإيمان ويزكى النفس ويطهرها حتى يظهر أثر ذلك في الأخلاق والمعاملات مع الله والناس .

فاذا أردت أن يكون حجك مبرورا فعليك أولا أن تتوب الى الله تعالى توبة صادقة وأن يكون حجك لوجه الله وابتغاء مرضاته بامتثال أمره وتحقيق حكمة شرعه في النسك وغيره .

وذلك بأن تعلم أنك بحج بيت الله تعالى مقبل على الله تعالى مع إخوانك المؤمنين كما تقبلون عليه في الآخرة، وتذكر أن ثياب الإحرام كأكفان الموتى، وأن المحرمين يتساوى كبيرهم وصغيرهم وأميرهم ومأمورهم في الزى وترك ما هو غير ضرورى للحياة من نعيم الدنيا ومميزاتها ومفاحرها وأثاثها ورياشها وزيتها وطيبها وفي أداء المناسك كلها ولا سيما الوقوف بعربات الذى يشبه الوقوف بين يدي الله تعالى يوم القيامة . فتدبر هذه المعانى وتذكر أنك بين يدي الله تعالى وأنه يسمع تلبيةك التى سمعت معناها، فأجتهد أن تكون صادقا فيها وتدبر معناها ومعانى سائر الأذكار والدعوات، وتذكر عند قلبك فى المناسك نشأة الدين الأولى فى عهد سيدنا إبراهيم وعهد ولده سيدنا محمد وهما أفضل الرسل عليهما الصلاة والسلام وعلى سائر رسل الله تعالى . وأنت تطوف حيث طافا وتسمى حيث سعىا وتقف حيث وقفنا وتذكر الله وتدعوه حيث ذكرا ودعوا، ولكنهما تمحلا من العناء والبلاء فى إقامة دين الله فى تلك البلاد ما لا تتحمل شيئا منه .

فاذا أنت تذكرت وتدبرت ماذا يخبئ قلبك وجوارحك وتدمع عيناك، ويقوى شعور الإيمان في نفسك حتى يغلب باذن الله تعالى ما كان فيها من آثار الأوزار السابقة، وتعود بصفاتها وطهارتها الى أصل الفطرة، وهذا معنى خروجك من الذنوب كيوم ولدتك أمك. فيجب أن تحرص بعد الحج على المحافظة على هذه النفس الزكية الطاهرة كما تحرص على نفس ولدك الذي تربيه تربية صالحة أن ينغمس في الفسق والشرور، ولا تنس ما في الحج من فوائد تعارف شعوب المسلمين وقبائلهم وتآلفهم. فحرص على هذه الفائدة والله الموفق، فنسأله تعالى أن يوفقنا لاداء مناسكنا على الوجه الذي يحبه ويرضاه، ويجعل ذلك ذخيرة لنا الى يوم نلقاه. والحمد لله أولا وآخرا.

قبل أن نتكلم على مكة وما فيها من المشاعر نتقدم اليك بكلمة جغرافية عن بلاد العرب ثم بموجز تاريخي عن هذه البلاد وسير الفتوحات الإسلامية منها الى أرجاء المعمورة حتى تكون عليا بتاريخ المسلمين وأين هم الآن فاستمع علمنا الله وإياك.

فصل جغرافي موجز^(١)

في وصف بلاد العرب

(١) حدودها وشواطئها وأهمية موقعها

(١) حدودها — شبه جزيرة العرب أو «جزيرة العرب» كما يسميها العرب أو «الجزيرة» فقط كما يسميها بعضهم هي ثلاثة أشباه الجزائر الأسيوية الكبيرة الواقعة في جنوب آسيا . تحدها البحار من ثلاث نواح فتفصلها عما يليها في هذه النواح فصلا تاما . يحدها البحر الأحمر غربا، والمحيط الهندي جنوبا، وبحر عمان والخليج اندسى شرقا . أما حدودها الشمالية العامة فمبهمة غير واضحة، فقد يلحقون بها شبه جزيرة سيناء وبادية الشام والجزيرة والعراق وقد لا يفعلون . وهذه الجهات تعدّ منها من الوجهة الطبيعية وإن كانت لا تعدّ منها من الوجهة السياسية . وعلى كل حال فمساحة الجزيرة العربية تبلغ نحو ألف ألف ميل مربع أى نحو ثلث القارة الأوربية .

(٢) شواطئها — يكاد الشاطئ الغربى يكون خطا مستقيما وهو على العموم قايين لمرفئ الصالحة لرسو السفن . وأهم الجزائر الواقعة بالقرب منه والتابعة لبلاد العرب جزائر فرسان وكرمان وبريم الواقعة عند مدخل مضيق باب المندب . والشاطئ الجنوبي الممتد في تقوس وأنحاء من مضيق باب المندب الى رأس الحد به عدّة ثغور حسنة ، أهمها عدن والمكلا والشحر وبالقرب منه جزيرة سقطرى وجزائر كوريا موريا . وأما الشاطئ الشرقى الممتد من رأس الحد الى الكويت فرملى قريب الغور ، وتقع قريبا منه جزائر البحرين الشهيرة . هذا ويبلغ طول الشواطئ العربية من السويس الى مصب الفرات نحو ١٠٠٠ ميل .

(١) هذا الفصل والفصل التاريخى الذى يعقبه بقلم حضرة عبد الخيد افندى العبادى أستاذ التاريخ.

(٣) أهمية موقعها — هذا الموقع المتوسط الذي تقعه بلاد العرب بين المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط وبين آسيا وأفريقية الشمالية اللتين هما أهم أقطار العالم التجارية في العصور القديمة والمتوسطة ومن أهم أقطاره التجارية في العصور الحديثة قد جعل لبلاد العرب منذ أقدم أزمنة التاريخ أهمية تجارية عظيمة بحرية وبرية كما يعلم المطلع على تاريخ العرب في الجاهلية والإسلام .

(ب) الجو والنبات والحيوان

(١) الجو — ليس جو بلاد العرب على حالة واحدة في جميع أنحاءها بل هو يختلف اختلافاً بيناً من مكان لآخر . فالجهات المنخفضة القريبة من البحار حارة وغير صحية ، والجهات المرتفعة جافة صحية . ويسقط المطر بنجد في فصلى الربيع والخريف . وقد تنخفض درجة الحرارة شتاء باليمن فتفوت درجة التجمد . وقد ترتفع في الصيف فتبلغ ٨٠° (بمقياس فهرنهايت) وتستفيد هذه البلاد من الرياح الموسمية فيسقط بها المطر في مارس ويولية وأغسطس وسبتمبر . وقد يدوم فصل المطر في الججاز نحو خمسة أسابيع من فصل الخريف . وأما الجهات الشمالية فالمطر بها نادر وإذا سقط فإنما يسقط في فصل الشتاء .

(٢) النبات — تعد اليمن أخصب أنحاء الجزيرة العربية ، ويزرع بها البن والفاكهة والخضروات . ومن حاصلات الججاز الحناء والبلسم . وأهم حاصلات حضرموت البخور . وأهم مزروعات عمان والأحساء النيلة . وأما النخل فينمو في أكثر أنحاء الجزيرة . وقد جلب الى بلاد العرب من الخارج شجر جوز الهند والموز فتما بها نمواً حسناً .

(٣) الحيوان — أهمه الإبل والغنم والخيول والحمير، وكلها تعد في الطبقة الأولى من نوعها ولا سيما مهارى (مهرة) وخیل نجد . ويوجد النعام ببعض الصحارى العربية غير أنه قليل . ويكثر السمك بخليج عمان، ويستخرج من مغاصات اللؤلؤ الشرقية ما قيمته سنوياً نحو ٣٠٠,٠٠٠ جنيه .

(ج) الوصف الطبوغرافى

مقدمة — كان جغرافيو الأغرقيق والرومان يقسمون بلاد العرب بالنظر الى طبيعة أرضها الى ثلاثة أقسام : بلاد العرب الحجرية ، وبلاد العرب السعيدة ، وبلاد العرب الرملية ؛ فأما الأولى فكانت عندهم شبه جزيرة سيناء ؛ وأما الثانية فهى بلاد اليمن ؛ وأما الثالثة فكل ما عدا هذين الإقليمين من بلاد العرب . وأما العرب فكانوا يقسمونها باعتبار المواضع والأقاليم . وأساس تقسيمها عندهم جبال العمارة التى تمتد من أطراف بادية الشام الى اليمن ؛ فنقسم جزيرة العرب الى قسمين : غربى ، وشرقى . فالغربى وهو أصغرهما ينحدر من سفح ذلك الجبل حتى يصل الى شاطئ البحر الأحمر ، وقد صار حابطا أو غائرا فسموه الغور أو تهامة ؛ والقسم الشرقى وهو أكبرهما يمتد شرقا وهو على ارتفاعه الى أطراف العراق والسماوة فسموه نجدا لهذا السبب . وسموا الجبل الفاصل بين تهامة ونجد (الحجاز) وهو عبارة عن جبال تغطاها المدن والقرى . وجعلوا ما تنتهى به نجد فى الشرق حتى يصل الى خليج فارس بلاد اليمامة والبحرين وعمان وما والاها ويسمونها العروض ، وسموا القسم الجنوبى بلاد اليمن وحضرموت والشحر .

وأما الجغرافية الحديثة فتميل الى تقسيم بلاد العرب باعتبار قربها من البحر أو بعدها عنه . وعلى هذا الاعتبار تنقسم بلاد العرب الى قسمين كبيرين : (١) بلاد العرب المتصلة بالبحر وتشمل الحجاز وعسيرا واليمن وحضرموت ومهرة (الشحر) وعمان والأحساء (البحرين) ؛ (٢) بلاد العرب غير المتصلة بالبحر وهذه تشمل نجدا والصحارى الداخلية . وسنتبع هذا التقسيم ونذكر كلمة موجزة عن كل قسم من هذه الأقسام :

بلاد العرب المتصلة بالبحر

(١) الحجاز — أهم الأقطار العربية من الوجهة التاريخية ، فيه نبت الإسلام ومنه درج كما سترى فى الفصل التاريخى الآتى . وهو يمتد بوجه عام من رأس خليج

العقبة إلى حدود اليمن إذا اعتبرنا عسيرا داخلة فيه كما يصنع بعض الجغرافيين .
وبه من الأودية وادى الخمد ووادى الرمة . وأهم مدنه مكة المشرفة والمدينة المنورة
وأنصاف الشهيرة بفواكهها الجيدة . وأهم ثغوره الواقعة على البحر الأحمر، الوجه
والخوراء وينبع ورابع وجدّة ، وكأها محطات للحجاج المصريين . وينزل من القبائل
العربية الآن عرب الحويطات في الإقليم الشمالي المسمى حسمى . وعرب عنزة
شمال المدينة ، وبلى ما بين العقبة والوجه ، وقريش شمالى عرفة وأنصاف ، وهذيل
في بحيل التي بين مكة وأنصاف ، ونقيف في جنوب وشرق أنصاف .

(٢) عسير — تتسع جبال السراء جنوبى مكة وأنصاف فتكون الإقليم
المعروف بعسير والواقع بين الحجاز شمالا واليمن جنوبا . وهذا الإقليم على العموم من
أخصب وأجمل الأقاليم العربية وأغناها من الوجهة الاقتصادية . أهم أوديته :
ودى صنع ووادى بيشة . وأهم مدنه : أبها ومحايل وصديا . وأهم ثغوره : القنفذة .
وأهم قبائل عسير : قبائل حيطان التي هي أصل القبائل اليمنية .

(٣) اليمن — وتنقسم إلى قسمين غير متساويين : تهامة اليمن التي هي عبارة
عن امتداد تهامة عسير والحجاز ، و نجد اليمن ويتضمن أربع هضاب فرعية : هضبة
نجران في الشمال ، وهضبة مأرب في الشرق ، وهضبة صنعاء في الوسط ، وهضبة تعز
في الجنوب . وأهم مدن اليمن صنعاء ، وهي العاصمة ثم صنعاء ومأرب الشهيرة بآثارها
القديمة وبريم وتعز ولحج وزبيد . وأهم ثغور اليمن الحديدة ومخا الواقعتان على
البحر الأحمر ، وعدن الواقعة على المحيط الهندي والتابعة لالنجترا (وكذلك جزيرة بريم
الواقعة عند مدخل مضيق باب المندب) .

(٤) حضرموت — وهي عبارة عن الإقليم الواقع شرق اليمن . سطحها
جبلى ينسقه واد متسع يسائر الشاطئ نحو مائة ميل ويسمى وادى الكسر . وأهم
مدن حضرموت : شبام . وأهم ثغوره : البكة وسيحوت . وبحضرموت ، كما
باليمن آثار حضارة عربية قديمة .

(٥) مهرة — وكان جغرافيو العرب يسمونها (الشحر) وتمتد شرقاً من سيحوت الى حاسك وتشتهر منذ القدم بالبخور والصمغ . وأهم ثغورها : الشحر ومرباط . هذا وأرض مهرة الممتدة من حاسك الى عمان قاحلة وداخلها غير معروف بالمرة .

(٦) عمان — هي أبعد جهات العرب من ناحية الشرق . يمتد شاطئها من رأس الخلد الى الرأس المعروف برأس مسندم . وتكثر به المرافئ الجيدة كما يكثر السمك بمياهه ، وأهل عمان مشهورون من قديم الزمان بالمهارة في الملاحة والاتجار مع بلاد الهند . وأما سطح عمان فجبلي يبلغ غاية ارتفائه في الجبل الأخضر . وعاصمة عمان هي مسقط وتقع الى الشمال منها صحار عاصمة عمان القديمة .

(٧) الأحساء — وكانت تعرف في عهد الدول العربية الإسلامية بالبحرين أو هجر التي كانت عاصمتها إذ ذاك . وأما لفظ الأحساء فاسم المدينة التي أنشأها القرامطة في القرن الرابع الهجري بالقرب من هجر . والأحساء ثلاثة أقسام : قسم جنوبي ويعرف بالقواسم ، وقسم متوسط هو عبارة عن شبه جزيرة (قطر) التي تشتهر هي وجزائر البحرين باستخراج اللؤلؤ ، وقسم شمالي غربي يمتد من قطر الى الكويت ويسمى (القطيف) وأهم مدن قطر الحفوف ، وأهم مدن القطيف الكويت التي ستكون يوماً ما مركزاً تجارياً عظيماً لحسن موقعها الجغرافي . وأهم حاصلات الأحساء : البع ويضرب المثل بكثرتة .

بلاد العرب الداخلية

ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام : البادية ونجد والدهناء .

(١) البادية — ونطلقها مجازاً على الأرض الواقعة شمال نجد والافهى

عبارة عن بادية العراق والجزيرة والشام . ويلى هذه البوادي بادية السماوة التي سلكها خالد بن الوليد عند منصرفه من العراق الى الشام بأمر أبي بكر الصديق . وهي فلاة لا يأمن سالكها الهلاك فيها عطشا وجوعا . وتلى بادية السماوة الواحة المعروفة قديماً بدومة الجندل وتعرف اليوم بالجوف . وهذه الواحة واقعة على الوادي

الآتى من حوران والمعروف بوادى السرحان . وتلى الجوف صحراء (النفود) وهى
فلاة قاحلة لا ماء بها .

(٢) نجد — هضبة عظيمة تلى (النفود) ويبلغ ارتفاعها أحيانا أكثر من
٥٠٠٠ قدم . تشقها أودية تكثر زروعها وحيوانها . وأهم هذه الأودية : وادى الرمة
ووادى الدواسر . ونجد تنقسم الى أقسام : حرة خيبر فى الغرب ، والقصيم فى الشمال
ونجد الأصيلى فى الجنوب . ويقع الى الجنوب والشرق من نجد الإقليم المعروف
باليمامة والذى يطلق العرب عليه وعلى البحرين معا اسم (العروض) . هذا وجو نجد
أصح أجواء بلاد العرب ، وأهم بلدان نجد الرياض وحائل وعنيزة ، وتنزله فى الوقت
الحاضر من القبائل بنو سبيع وعنزة وقبائل تنتمى الى بنى هلال المشهورة .

(٣) الدهناء — صحراء مترامية الأطراف مجهولة الداخل تمتد من جنوبي
نجد الى الحدود الصحراوية لعمان ومهرة وحضرموت واليمن . ليست بها عيون ولا
أودية . وانما تجودها الأمطار فى فصل المطر فتعشب فيؤمها البدو بنخيامهم وإبلهم
فيرعونها نحو ثلاثة أشهر ، فاذا حل فصل الجفاف ارتحلوا عنها . ويطلق على هذه الفلاة
أسماء مختلفة ، فالقسم الواقع منها بين شرق اليمن وشمال غربى حضرموت يسمى
(صيهد) . والجزء الواقع شمال شرق حضرموت يسمى (الأحقاف) . والجزء الواقع
شمال مهرة يسمى (وبار) على أنها تسمى بوجه دام (الدهناء) لحرارة رمالها . وكثيرا
ما يطلقون عليها (الربع الخالى) أى غير المعمور .

التقسيم السياسى الحاضر

إن حال بلاد العرب السياسية مضطربة فى الوقت الحاضر اضطرابا كبيرا ،
وذلك نتيجة الحرب العالمية الكبرى وزوال سلطة الدولة العثمانية عن هذه البلاد .
غير أنه يمكننا أن نقول فى تصوير الحال السياسية العامة لبلاد العرب إن بها اليوم
من الإمارات ما يأتى :

- (١) الإمارة الزيدية في القسم الجبلي من اليمن .
 - (٢) الإمارة الإدريسية في أراضي الشافعية من تهامة اليمن وبعض تهامة عسير .
 - (٣) الساطنة السعودية الوهابية في جميع نجد بما في ذلك إقليم عسير .
 - (٤) الحكومة الهاشمية التي انحصرت في جدة .
 - (٥) إمارة آل الصباح بالكويت عند نهاية الخليج الفارسي .
 - (٦) مشيخة قطر .
 - (٧) مشيخة حضرموت وهي تحت الحماية الإنجليزية .
 - (٨) سلطنة عمان المستقلة ويسكنها الخوارج الأباضية .
- ولا يمكن القول بماستؤول اليه الأحوال السياسية في هذه البلاد، نسأله تعالى أن يوفق أهلها الى ما فيه جمع شملهم وتوحيد كلمتهم ورجوعهم كما كانوا في صدر الإسلام إخوانا متحابين كمة في نفوسهم إنه بالإجابة جدير .

فصل تاريخي موجز

في حال العرب قبل الإسلام وقيام الدولة الإسلامية
وآنتشار الدين الإسلامي

١ - كلمة في العرب قبل الإسلام

اندول العربية قبل الإسلام - إن الجزيرة العربية التي سبق وصفها قد تناوب زعامتها من قديم الزمان ثلاثة شعوب سامية يطلق عليها جميعا أسم (العرب) ولا نعلم للأسف من تاريخها السابق على الإسلام غير اليسير المستمد من آثارهم التي كشفت حديثا ببلاد اليمن وبادية الشام، ثم مما رواه الرواة من أشعارهم وأخبارهم،

وما كتبه عنهم مؤرخو الأمم المتحضرة التي عاصرتهم وأتصلت بهم كالمصريين والإغريق والروم والفرس . تلك الشعوب الثلاثة هي :

(١) العرب البائدة — الذين عاصروا الكلدانيين القدماء ومنهم العمالقة بشمال الجزيرة والشام ومصر ، وعاد بالأحقاف ، وثمود بالبحر ، وطسم وجديس باليمامة والأنباط بشمال الجزيرة . هؤلاء العرب قد بادوا وأنقطعت أخبارهم ، غير أننا نعلم من القرآن وبعض الآثار أنهم كانوا على حضارة راقية ولا سيما إذا اعتبرنا ما يروى عن مدينتهم (إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) وقد بقي ذلك الجبل حتى غلبه على أمره جيل عربيّ ثان يعرف :

(٢) بالعرب الفحطانية نسبة إلى جدّهم قحطان — والراجح أنهم نزحوا إلى جزيرة العرب من بعض جهات الفرات ، وكانت لهم باليمن دول آشتهرت منها «الدولة المعينية» و «الدولة السبئية» (من حوالي ٨٥٠ إلى ١١٥ ق . م) و «دولة حمير» و «التبابعة» (١١٥ ق . م — ٥٢٥ م) وقد برعت العرب الفحطانية في الزراعة لخصب أرضهم ، وفي التجارة لحسن موقع بلادهم من الوجهة الجغرافية ، فكانت عروض التجارة ترد إليهم من الشرق بطريق البحر ثم ينقلونها على ظهور الجمال إلى الشام ومصر . وبرعوا كذلك في الصناعة فدبغوا الجلود وطبعوا السيوف وصنعوا الرماح وغير ذلك . وكان لهم حكومات وملوك ومدن كبيرة منها (مأرب) و (صنعاء) وقصور نفحة ، منها : (ناعط) و (غمدان) وسدود عظيمة يستعان بها في تخزين الماء الزائد عن الحاجة زمن المطر لينتفع به وقت الحاجة إليه كسد مأرب . هذا ولا يزال علماء الآثار من الأوربيين يجدون في البحث عن آثار العرب الفحطانية وربما أوضحوا في المستقبل ما غمض من تاريخهم .

ولما ضعف شأن الدولة السبئية بعد القوة وأهملت مرافق الزراعة والصناعة تصدع سد مأرب ثم أنبتق فأهلك الحرث والنسل ، ولقد أشار القرآن الكريم الى هذا الحادث في سورة سبأ فقال ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ

وَسَمَّالٌ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةً طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٍ فَاعْرَضُوا فَرَّسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَبَّتِهِمْ جَنَّتِينَ ذَوَاتِى أَكْلٍ نَحْمَطُ وَأَنْبِلُ وَشَىءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ) وربما كان ذلك فى أواخر القرن الثانى الميلادى . فهاجرا أكثر القبائل اليمنية من بلادهم وتفرقوا فى طون الجزيرة وعرضها . فكان منهم دولة المناذرة الغنميين التى قامت بالهيرة بالعراق وكانت خاضعة لأكسرة الفرس (٢٦٨ م — ٦٣٢ م) ودولة الغساسنة التى قامت ببيدية الشام وفلسطين وكانت خاضعة لأمبراطرة الروم (٢٠٠ — ٦٣٣ م) . ودولة كندة التى قامت بنجد وكانت مستقلة (٤٠٠ — ٥٦٠ م ؟) وخلف الدولة السبئية دولة أخرى هى دولة حمير والتبابعة فكانت لها العظمة والقوة ردحا من الزمن حتى استولى الرومان على مصر واتخذوا البحر الأحمر طريقا تجاريا إلى اليمن والشرق فساءت حالها لكساد تجارتها البرية ، ونهبوا إليها الأحباش وتغلبوا عليها سنة ٥٢٥ م . وبعد ذلك بقليل من الزمن زالت عنها ساطة الأحباش بفضل البطل العربى المشهور سيف ابن ذى يزن وحلت محلها سلطة الفرس . فكان ذلك كله سببا فى انتقال الزعامة على بلاد العرب من الجنوب إلى الشمال فأصبحت فى الجليل العربى الثالث المعروف :

(٣) بالعرب الإسماعيلية أو العدنانية — وهم أشهر الأجيال العربية اظهور الإسلام فيهم ، وهم ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم الخليل — عليهما السلام — لذى نزل هو وزوجه هاجر وولدهما إسماعيل أرض مكة وحفروا بها بئر زمزم وبنوا الكعبة . ومن ذلك الحين أخذ اليمنيون يتوافدون على تلك البقعة ويعمرونها حتى نشأت مكة المكرمة . وإلى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله على لسان سيدنا إبراهيم (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) ونشأ إسماعيل عليه السلام بين هؤلاء اليمنية (وخاصة قبيلة جرهم) وتزوج منهم ، وعلى مر

الزمن تكاثروا أبناءه وانتشروا بالجواز ونجد وما وراء ذلك من مشارف الشام والعراق، غير أنه بقيت منهم بمكة قبيلة كان لها فيما بعد شأن عظيم . تلك هي قبيلة قريش .

إمارة قريش بمكة - بقي أمر مكة بأيدي ملوك من جرهم . وكان لبني إسماعيل مكانة محترمة لما لأبيهم من بناء الكعبة . ولكن لم يكن لهم من الحكم شيء . فلم يكن حدث سد مأرب وأرتحال القبائل اليمنية من ديارها كان منها من عرج على مكة وهم بنو خزاعة الأزديون فخاروا جرهم وأجلوها عن مكة وأستبدوا بحكم مكة دون قريش حتى ظهر قصي بن كلاب حوائى منتصف القرن الخامس الميلادى بجمع شتات قريش ووحد كلمتهم فكان لهم بذلك قوة مكنتهم من أن يراحوا خزاعة ويغلبوها على حكم مكة . ولم يبق بأيديهم غير سدانة البيت الحرام فأستراها قصي بزق نحر من سادنه المعروف بأبي عَبْشَانَ وإنى ذلك يشير الشاعر بقوله :

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت - بزق نحر فبئست صفقة الشارى .

وبذلك أصبح قصي سيد مكة والمتولى شؤون الكعبة التي كانت تحج إليها العرب من جميع أنحاء الجزيرة فكان له من مظاهر الرياسة :

(١) رياسة دار الندوة التي أنشأها بمكة وكانت تجتمع فيها قريش للفصل فى أمورها العظيمة .

(٢) اللواء فكان لا تعقد راية الحرب إلا بيده .

(٣) الحجابة وهي حجابة الكعبة فلا يفتح بابها إلا هو وهو الذى يلى أمر خدمتها .

(٤) سقاية الحاج ورفادته .

وكان لقصي من الولد، عبد الدار، وعبد مناف، وعبد العزى، وكان عبد مناف قد ساد فى حياة أبيه فأراد أبوه أن يلحق به ابنه عبد الدار وكان أسن منه، فأوصى له بما كان يليه من مصالح قريش فلم ينازع عبد مناف أخاه فى ذلك، ولما توفى ترك أربعة أولاد، هاشما، وعبد شمس، والمطلب، ونوفلا، فنافسوا بنى عمهم عبد الدار فى هذه المصالح التي رأوا أنفسهم أحق بها لشرفهم وسيادتهم وكثرتهم، وأفترقت

قريش طائفتين ، طائفة تنتصر لبني عبد مناف وطائفة تنتصر لبني عبد الدار وكاد يكون بينهم قتال لولا أنهم ألهموا الصلح على طريق لا يفض من الفريقين وهو اقتسام هذه المصالح ، فكان لبني عبد الدار الحجابة واللاواء والندوة ، ولبنى عبد مناف السقاية والرفادة . ثم حكم بنو عبد مناف القرعة في نصيبهم فأصابت القرعة هاشم بن عبد مناف .

وهاشم بن عبد مناف فيما يروى أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء وكانت إلى اليمن ورحلة الصيف وكانت إلى الشام قصد الأتجار ، وربما كان ذلك على أثر المعاهدات التي أبرمتها قريش على أيدي بني عبد مناف مع من يجوارها من الملوك . روى الطبري في تاريخه أن بني عبد مناف أول من أخذ لقريش العصم فانتشروا من الحرم . أخذ لهم هاشم حبلا من ملوك الشام الروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس حبلا من النجاشي الأكبر ، فأختلفوا لذلك السبب إلى أرض الحبشة ، وأخذ لهم نونل حبلا من الأكاسرة فأختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس ، وأخذ لهم المطلب حبلا من ملوك حمير فأختلفوا بذلك إلى اليمن . وقد آمنت الله على قريش هاتين الرحلتين في قوله : **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ** .

الخلاف بين الهاشميين والأمويين — وكان ذلك الشرف كله لهاشم بن عبد مناف فأثار ذلك فيما يروى غيره أمية بن عبد شمس وكان مثريا من المال والبنين ولكنه مع ذلك لم يكن له من رياسة قريش شيء . ووجرت بين العم وأبن أخيه منافرة غلب فيها أمية على أمره فكان ذلك بدء النزاع بين الهاشميين والأمويين . فلما توفي هاشم خلفه أخوه المطلب ثم من بعده آبنه عبد المطلب في السقاية والرفادة ، وتميز إمارة عبد المطلب بثلاث حوادث كبار :

(١) كشفه عن بئر زمزم التي كانت طمّت وخفيت معالمها .

(٢) تجدد النزاع بين الهاشميين والأمويين ، وذلك أن حرب بن أمية بن عبد شمس نفس على عبد المطلب شرفه ورياسته ووجرت بينهما منافرة كالتى كانت بين أبيهما فغلب حرب على أمره ، وكذلك آسمر الخلاف بين الهاشميين والأمويين وكانت له فيما بعد آثار عظيمة في الإسلام .

(٣) واقعة الفيل وكانت عام ٥٧١ م . وسببها أن أبرهة الحبشى لما أقام بيمين أنشأ بصنعاء كنيسة نخمة وأراد أن يكون حج العرب إليها دون الكعبة ، فلما لم يتيسر له ذلك من طريق السلم أعزم أن يسير إلى الكعبة ويهدمها . غير أنه فشل في ذلك كما نطق به القرآن في سورة الفيل : **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (١) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٣)** .

وقد رزق عبد المطلب عشرة أبناء كان أحدهم عبد الله الذى ولد له سيدنا محمد عام الفيل على أصح الروايات .

الحال الدينية للعرب قبل الإسلام — قد اختلفت أديان العرب في جاهليتهم فمنهم الدهريون الذين قالوا : ما يهلكنا إلا الدهر ، ومنهم الصابئة عبدة النجوم والكواكب ، ومنهم الوثنيون عباد الأصنام والأحجار والأشجار . ومنهم اليهود والنصارى . غير أن عبادة الأصنام كانت الغالبة عليهم وكانت الكعبة مجمع أصنامهم . ومن أشهر أصنام العرب ، ود ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر ، والنلات ، والعزى ، ومناة ، وهبل ، والخاصة وقد ورد ذكر كثير منها في القرآن الكريم .

تلك الحال الدينية قد تغيرت بعض الشيء قبيل الإسلام إذ ظهر في حواضر الجزيرة آحاد من العرب لم تطب نفوسهم عن ذلك الضرب من التعبد ورأوا أن هناك حكمة غابت عنهم أو هم ضلوا عنها . روى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق أن قريشا اجتمعت يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم فخلص منهم أربعة نفر نجيا

(١) جماعات جماعات . (٢) طين متعجر . (٣) العصف : ورق الشجر .

هم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو، فقال بعضهم لبعض (تعلموا والله ما قومكم على شيء . لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم . ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع؟ . يا قوم التمسوا لأنفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء) فتفرقوا في البلدان : فأما ورقة بن نوفل فاستحکم في النصرانية وأما عبيد الله فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم آرتد . وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر وتصر . وأما زيد بن عمرو فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه . هذه الحركة تبين لنا ما كان وقتئذ في نفوس العرب من استعداد لقبول دين يلائم الفطرة كالدين الإسلامي .

مما تقدم كله نعلم أنه لم يكن للعرب قبل الإسلام جامعة واحدة تؤلف بينهم . فأما من الوجهة الدينية فقد رأينا تعدد نحلهم . وأما من الوجهة السياسية فقد كان منهم الخاضع للفرس كأهل اليمن أوقلا ومناذرة الحيرة أخيراً، أوللروم كغساسنة بادية الشام، ومنهم من لم يخضع لحكومة أجنبية وهم سائر العرب . على أنه قد كانت لهم أمور عصمتهم من التدابر المطلق : منها إجماعهم على تعظيم الكعبة واختصاصهم قرينها بسداتها واحترامهم للأشهر الحرم واشتراكهم في إقامة الأسواق العامة التي كانوا فيها يتبايعون ويتحاکون ويتناشدون الشعر وذلك مثل سوق عكاظ وغيره .

وإنما الرجل الذي قام بجمع شتات العرب وجعل منهم أمة واحدة ذات دين واحد وحكومة واحدة وعصبية واحدة هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب سيد المرسلين وخاتم النبيين .

٢ - قيام الدولة الإسلامية وامتداد سلطانها

نشأة محمد عليه الصلاة والسلام - ولد نبينا - كما سبقت الإشارة بمكة عام الفيل سنة ٥٧١م من أبوين قرشيين هما عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم وأمنة بنت وهب بن عبد مناف . وقد توفي أبوه قبيل مولده وأمه قبل أن يبلغ السادسة

وجده وهو في الثامنة فأصبح في كفالة عمه أبي طالب . غير أن فقر عمه دفعه الى العمل والارتزاق . وكان في مكة أرملة من فضليات النساء ذات ثروة ويسار . تلك هي (خديجة بنت خويلد) فلما رأت أمانة محمد عرضت عليه أن يسافر الى الشام للتجارة بمالها ففعل فأعجبت به وعرضت عليه أن يتزوجها فقبل ذلك وقد بلغ الخامسة والعشرين . فلما بلغ الأربعين من عمره أرسله الله رحمة للعالمين فأخذ يذيع أصول الدين الإسلامي ويدعو اليه خاصة فأمنت به زوجته خديجة وابن عمه علي بن أبي طالب وصديقه أبو بكر بن قحافة وأفراد غيرهم من كبار قريش . ثم كثر سواد المسلمين . غير أن هريشا شق عليها ترك دينها وتسفيه أحلامها فناصبت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العداوة وتمادوا فيه حتى اضطرب بعض أصحابه الى الهجرة الى الحبشة فتركوا على ملكها ضيوفا كراما وأضطرب النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى الهجرة من مكة الى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة من بعثته وكان قد أصبح له بالمدينة أنصار من أهلها اعتنقوا الإسلام وعرضوا عليه نصرتهم . وقد هاجر النبي الى المدينة واتخذها مستقرا له فكانت أول عواصم الإسلام .

فتح بلاد العرب ٢ - ١١ هـ - وبدأ النبي صلى الله عليه وسلم منذ هاجر الى المدينة سلسلة غزوات كانت بينه وبين أعدائه من يهود المدينة وقريش مكة وسائر القبائل العربية وانتهت بأن عم الإسلام جزيرة العرب ، ونحن نذكر أهم هذه الغزوات على سبيل الإجمال .

غزوة بدر سنة ٢ هـ - بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن عيرا لقريش آتية من الشام وعنيها أبو سفيان بن حرب فأراد أخذها فنهضت قريش لحمايتها . والتقى الجمعان قريبا من المدينة على ماء بدر في ١٧ رمضان سنة ٢ هـ . فانتصر المسلمون على قلة عددهم وكثرة عدوهم وقتلوا جمعا من صناديد قريش فيهم (أبو جهل بن هشام) ألد أعدائه عليه الصلاة والسلام . ومعركة بدر من معارك التاريخ الفاصلة ، فقد اعتر بها الإسلام وقوى شأن المسلمين كما سترى .

وعلى أرواقعة بدر نرح النبي صلى الله عليه وسلم الى بنى قينقاع وهم قبيلة يهودية بالمدينة قد نقضت عهدها مع النبي وآذت المسلمين فأخرجها من المدينة .

غزوة أحد سنة ٣ هـ — صممت قريش على التآمر لنفسها ممن انتصر عليها في واقعة بدر . نخرجت بقيادة أبي سفيان تريد المدينة فنخرج اليهم النبي صلى الله عليه وسلم عام ٣ هـ . والتقى بهم عند جبل أحد وكاد النصر يكون للمسلمين ، لولا أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خالف أمره فانكشف المسلمون وحمل عليهم من خلفهم خالد بن الوليد حملة شديدة اضطرت كثيرا من المسلمين الى الفرار ، وجرح النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وكادت الدائرة تدور على المسلمين لولا أن قريشا اكتفت بأن قتلت من المسلمين بقدر من قتلوا منها في واقعة بدر وثبتت الأعنة راجعة الى مكة . وعلى أثر تلك الواقعة علم النبي صلى الله عليه وسلم أن يهود بنى النضير يآتمرون بقتله فنخرج اليهم وأخرجهم من المدينة الى خيبر^(١) .

غزوة الخندق سنة ٥ هـ — وتعرف أيضا بغزوة الأحزاب ، لأن كثيرا من قبائل العرب ويهود خيبر ظاهروا فيها قريشا وساروا جميعا الى المدينة يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين وحاصروا المدينة ولكنهم لم يستطيعوا أخذها ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد حصنها وحفر حولها بإشارة سلمان الفارسي خندقا عميقا . وكان القتال في تلك الغزوة قاصرا على المبارزة الفردية والترامى بالنبل . وأخيرا اجتمعت على الأحزاب سياسة النبي صلى الله عليه وسلم التي فرقت ألفتهم ومطر وريح وجنود سلطها الله عليهم ، فكانت تكفأ قدورهم وتقلب أخبيتهم فارتدوا عن المدينة ولم يبلغوا مراما .

صلح الحديبية سنة ٦ هـ — وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة الى ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة . ثم نخرج يريد مكة معتمرا لا محاربا وسار حتى بلغ (الحديبية) وكانت قريش قد سمعت بقدومه فتأهبت للذود عن بلدها ، وبعد

(١) وسأقي تفصيل هذه الغزوة عند الكلام عن زيارتنا لأحد .

انى المقوقس رسم ٣٢٠ - ومنهم من ردّ ردّا قبيحا وأهان رسول النبي ، كالحارث ابن شمير الغساني وكسرى الفرس .

فتح خيبر سنة ٧ هـ - على أن المسلمين ، وان كانوا قد آمنوا شر قريش بصاح الحديدية ، كان لهم عدو بالقرب منهم يتربص بهم الدوائر . ذلك العدو هو يهود خيبر الذين لم ينسوا ما حل بهم و بإخوانهم . فسار اليهم النبي عليه الصلاة والسلام ونازل حصونهم واستولى عليها كلها .

ولما حلّ الحول على عمرة الحديدية ، خرج النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا فأخات قريش مكة على حسب شرطها في صلح الحديدية . وقضى النبي صلى الله عليه وسلم وصحابه مناسك الحج ثم عاد الى المدينة . وكان لتلك الحجّة أثر كبير في نفوس قريش ، حتى إن خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما دخلوا في الإسلام على أنرها .

فتح مكة سنة ٨ هـ - كان صلح الحديدية يقضى بأن يسود السلم بين المسلمين وقريش عشر سنوات ، ولكن قريشا تنقضت عهدها واعتدت على بعض أحلاف النبي صلى الله عليه وسلم ، فسار النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه معتمرا فتح مكة . وخرج أبو سفيان يتجسس الأخبار فظفرت به جنود النبي صلى الله عليه وسلم فلم يسعه إلا أن يسلم ، وعند ذلك منحه النبي من العفو ما لم يكن يطمع فيه وخلى سبيله . فعاد أبو سفيان الى مكة وحمل أهلها على الاستسلام لمن لا يستطيعون منادضته . فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تلك البلدة التي طالما جاهدته وآذته وكان بوسعه أن ينتقم منها أشد الانتقام ، ولكنه عفا عن أهلها وقال لهم : « ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ » قالوا خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ، قال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم سار الى الكعبة فكسرها حولها من الأصنام . وقد أذنب ذلك أن أسلم أهل مكة جميعا .

غزوة حنين سنة ٨ هـ — فلما رأت ذلك قبيلة هوازن، وكانت منازلها بالقرب من مكة، توقعت أن يغزوها النبي صلى الله عليه وسلم فأجمعت على أن تغزوه قبل أن يغزوها، وانضمت إليها ثقيف وقبائل أخرى . فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك سار إليهم والتقى بهم في وادي حنين في طريق وعرة . فبغته العسوق وكادت الهزيمة تدور عليه، لولا ثباته وشجاعة الأنصار فإنهم أعادوا الكرة على أعداء وهزموهم وغنموا أسلابهم .

غزوة تبوك سنة ٩ هـ — كان النبي صلى الله عليه وسلم في سنة ٨ هـ قبل فتح مكة قد أرسل جيشا بقيادة زيد بن حارثة، الى عرب بادية الشام فتكاثرت الروم والعرب على ذلك الجيش وقتل زيد بن حارثة، واولا تدير خالد بن الوليد لأبيد الجيش كله . فلما كان عام ٩ هـ . بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الروم يجمعون له فحشد جيشا جرارا تبلغ عدته ثلاثين ألف مقاتل واتجه به نحو الشمال . على أنه لم يلتحم بالروم بل بسط نفوذه على القبائل العربية الشمالية، بأن فرض الجزية على (آيلة) و (دومة الجندل) وغيرهما . ثم عاد وكانت هذه آخر غزواته عليه الصلاة والسلام . وفي ذلك العام أخذت العرب تدخل في دين الله أفواجا وكثرت الوفود على النبي صلى الله عليه وسلم قادمة من جميع أنحاء الجزيرة العربية، فكان عليه الصلاة والسلام يرسل معهم من أصحابه من يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين .

حجة الوداع ووفاته عليه الصلاة والسلام — ولما كانت السنة العاشرة حج النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه آخر حجة له، وخطب الناس في هذه الحجة خطبة بايعة مؤثرة تعرف (بخطبة الوداع) أوضح للناس فيها كثيرا من أمور الدين وألقى عليهم فيها من النصائح الغالية الثمين، وقد تقدمت الحجة بالتفصيل وسيأتى نص الخطبة . ثم عاد الى المدينة المنورة .

وفي أواخر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة اعتلت صحته عليه السلام . فاستأذن نساءه في أن يمرض في بيت زوجته السيدة (عائشة) فأذن له . ولما كان

يوم الاثنين ١١ ربيع الأول من سنة ١١ هـ . لحق عليه السلام بالرفيق الأعلى وقد خلف وراءه دينا يساير الفطر والعقول هو الدين الإسلامي، وأمة بالمعنى الصحيح هي الأمة العربية ووضع أساس دولة سيكون لها شأن عظيم هي الدولة الإسلامية .

٣ - انتشار الدين الإسلامي بالسياسة

الحرب بين العرب وبين الروم والفرس

مقدمة — وضع النبي عليه الصلاة والسلام أساس الدولة العربية، وفي الأرض دولتان كبيرتان هما دولة الروم المسيحية ودولة الفرس المجوسية . فأما دولة الروم فكانت قد أصابها الضعف وتفرقت الكلمة ، لضعف امبراطرتها من بعد جستينان وللنزاع الديني الذي كان قائما بين الملكانية والناسطرة بالشام، وبين الملكانية واليعاقبة بمصر . هذا النزاع قد فصل في الحقيقة هذين القطرين عن الدولة الرومانية من الوجهة الدينية وجعلهما على وشك الانفصال عنها من الوجهة السياسية .

وأما دولة الفرس التي كان يحكمها المتأخرون من ملوك الأسرة الساسانية فلم تكن حالها خيرا من حال الدولة الرومانية، وذلك لأسباب كثيرة منها ظهور نحل دينية غريبة مفسدة للنظم الاجتماعية، وضعف المتأخرين من ملوك الأسرة الساسانية، وكثرة الطامعين في ملكهم من أقربائهم وقواد جيوشهم، وحروبهم الكثيرة مع الدولة الرومانية .

تلك حال الدولتين اللتين اصطدمت بهما الدولة العربية الناهضة فزعزعت أركان الأولى وقوضت دعائم الثانية، وذلك أن أبا بكر الصديق أول خلفاء الإسلام بعد أن قضى على حركة (الردة) التي ظهرت في جزيرة العرب قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأعاد الى هذه الجزيرة وحدتها السياسية، انتهز عودة الجيوش العربية الظافرة فسير بعضها الى الشام والبعض الآخر الى العراق لفتح بلاد هي عربية قبل

كل شيء، ألا وهي بلاد الغساسنة والمناذرة، ولكن القتال مع هؤلاء ترقى بطبيعة الحال الى قتال مع الدولتين الحاميتين لهم أى مع دولتى الروم والفرس. ونحن متكلمون أولاً على الحروب التى نشبت بين العرب والروم وانتشار الإسلام فى الشام ومصر وشمالي أفريقيا وأسبانيا. ثم نعود فنتكلم على نشوب الحرب بين العرب والفرس وانتشار الإسلام فى الأقطار الآسيوية التى دخلها الإسلام قرين السياسة.

(١) فتح الشام

سير أبو بكر الصديق الى الشام جيشاً ضخماً تبلغ عدته ٣٥٠٠٠ مقاتل، وكان أربعة أقسام :

- (١) قسم يقوده أبو عبيدة بن الجراح وكانت وجهته حمص.
- (٢) وقسم يقوده يزيد بن أبى سفيان وكانت وجهته دمشق.
- (٣) وقسم يقوده شرحبيل بن حسنة وكانت وجهته وادى الأردن.
- (٤) وقسم يقوده عمرو بن العاص وكانت وجهته فلسطين.

واقعة اليرموك سنة ١٣ هـ — فلما رأى ذلك هرقل امبراطور الروم قدم بنفسه الى حمص، ومن ثم وجه أربعة جيوش تبلغ عدتها ٢٤٠٠٠٠ مقاتل لسحق الجيوش العربية. فلما رأى قواد العرب ذلك اتفقوا فيما بينهم على أن يجمعوا جيوشهم فى صعيد واحد وأن ينزلوا جميعاً اليرموك. فأمر هرقل قواده أن ينزلوا اليرموك أيضاً وبقي الجمعان متواقفين ثلاثة أشهر، فأوجس أبو بكر فى نفسه خيفة على المسلمين وأمر خالد بن الوليد بالسير من العراق الى الشام، فقدم خالد وعهد اليه قواد العرب أمر القيادة، فعلاً الجيوش تعبئة قائد خبير ثم حمل على الروم فهزمهم وأقنى أكثر جيشهم وانتصر العرب انتصاراً ميبناً. وفى أثناء المعركة جاء البريد بوفاة أبى بكر وتولى عمر بن الخطاب وعزل خالد عن القيادة العليا وجعلها لأبى عبيدة، وذلك لأمر كان ينقمها عمر من خالد.

وكانت واقعة اليرموك فاصلة في أمر الشام، فقد استولى أبو عبيدة وخالدهما على دمشق وعلى مدن الساحل وكذلك حمص واللاذقية وقنسرين وحلب، واضطر هرقل أخيرا إلى الفرار إلى القسطنطينية .

فتح القدس سنة ١٥ هـ — وفي أثناء ذلك كان عمرو بن العاص يجتهد في فتح فلسطين . وكان أرطبين حاكم فلسطين قد بث الجند في بيت المقدس وغزة والرملة، ورابط بجيشه في أجنادين شرق بيت المقدس . ففصل عمرو فصائل من جيشه لمراقبة تلك الجنود ، ثم زحف بمعظم الجيش إلى أرطبين فهزمه عند أجنادين واضطره إلى الفرار إلى مصر . واستولى عمرو عقب الواقعة على مدن الساحل الفلسطينية . وأما بيت المقدس فحاصره أربعة أشهر وأبى بطريقه (سرونيوس) أن يسلم المدينة لأحد غير الخليفة نفسه . بجاء عمر فلسطين وتسلم المدينة وأبني بها مسجده المشهور .

(ب) فتح مصر والنوبة

عند ما قدم عمرو بن الخطاب إلى بيت المقدس لتسلمه سنة ١٥ هـ . اقترح عليه عمرو بن العاص أن يبعثه بجيش لفتح مصر فلم يجبه عمر إلى ذلك . فلما كان عام ١٨ هـ . واضطربت حال الشام عقب طاعون (عمواس) قدم عمر إلى دمشق فأعاد عمرو اقتراحه . وقد أجابه الخليفة هذه المرة وهو متخوف متردد . ومن الحجج التي أدلى بها عمرو تبريرا لما طلب : (١) أن مصر مضطربة الحال مفتحة الأبواب ؛ (٢) أنها غنية جدا ؛ (٣) أن أرطبين الذي كان حاكم القدس قد لجأ إليها وأخذ يحشد الجنود ليسترد الشام .

زحف عمرو على مصر — غادر عمرو قيسارية على رأس ٤٠٠٠ مقاتل وبلغ العريش سنة ١٨ هـ . ثم سار منها إلى الفرما فاستولى عليها من غير جهاد كبير وجردها من معدات دفاعها ، ثم سار إلى بلبيس ملتزما حدود الصحراء فلما بلغها قاتل

الروم عندها وقتل قائدهم أرطبين واستولى على البلد، ثم تركها الى قرية أم دنين الواقعة على رأس الدلتا^(١).

واقعة عين شمس سنة ٢٠ هـ — على أن عمرا أدرك حرج موقفه فأرسل الى الخليفة يستمده وشغل جنده في أثناء ذلك بغزو الفيوم، فلما جاء المدد وقدره ٤٠٠٠ مقاتل عسكر بجميع جنوده شمالي عين شمس ثم التقى بالروم في واقعة عين شمس المشهورة وهزمهم هزيمة كان من أثرها سحق الجيش الروماني والاستيلاء على الإقليم المسمى مصر الواقع عند رأس الدلتا وإتمام إخضاع الفيوم والشروع في حصار حصن بابليون.

أخذ حصن بابليون سنة ٢٠ هـ — وكان المقوقس رئيس بظركية الإسكندرية في ذلك الوقت داخل الحصن وكانت له مآرب سياسية يؤدّ الوصول إليها بكل الوسائل، فأخذ يئس الروم من الانتصار على العرب وأستطاع أن يبعث وفدا الى جزيرة الروضة لمفاتحة العرب في أمر الصلح فلم يفلح الوفد أولا، ثم عقد الصلح أخيرا على أن يؤدى الروم للعرب الجزية، وكتب المقوقس معاهدة بذلك وبعث بها إلى هرقل ليقترها. فدهش الامبراطور لذلك ولم يقتر المعاهدة بل أستدعى المقوقس الى القسطنطينية، فلما رأى العرب ذلك واصلوا الحصار وبنهاهم كذلك اذ بلغهم موت هرقل فكان ذلك مشبها للرومان مقويا للعرب، وتسور الزبير بن العوام الحصن وتبعه الجند، فاستسلمت الحامية الرومانية لهم.

فتح الاسكندرية سنة ٢١ هـ — وعلى أثر ذلك شرع عمرو في الزحف الى الإسكندرية فألتقى بالروم في طريقه اليها عند دمنهور، فهزمهم في واقعة كبيرة انحاز بعدها الجيش الروماني الى الإسكندرية واقتفى العرب أثرهم. وكانت الإسكندرية اذ ذاك مدينة عظيمة حصينة بها نحو ٥٠,٠٠٠ مقاتل وكانت فوق ذلك مفتوحة من ناحية البحر. لذلك ترك عمرو بظاهاها جيشا يحاصرها ثم سار هو لفتح المدن

(١) وموقعها الآن ما بين الأزبكية وعابدين.

الساحلية . وفي أثناء ذلك عاد المقوقس الى الاسكندرية وأخذ يعمل على إنفاذ مآربه القديمة . وقد أفلح سعيه هذه المرة اذ أقنع الامبراطور الجديد بضرورة تسليم الاسكندرية . ثم شرع يفاوض عمرو بن العاص في شأن الصلح والتقى به في بأبليون وعقدا معاهدة تقضى بأن تؤدى الجزية للمسلمين وأن تجلو الجيوش الرومانية عن الاسكندرية والا يتدخل المسلمون في الشؤون الدينية المسيحية وأن يسمح لليهود بالاقامة بالاسكندرية مع شروط أخرى . وبمقتضى هذه المعاهدة دخل العرب الاسكندرية وتم لهم الاستيلاء على مصر . ثم غزوا على أثر ذلك بلاد النوبة وصالحوا ملكها على جزية يؤديها لمصر كل عام .

(ج) فتح بلاد المغرب

لم يكد عمرو بن العاص يفرغ من مصر حتى شرع في الزحف غربا وقد تم له فتح الاقليم المعروف ببرقة ثم صار ولاية مصر من العرب من بعده يعملون على إخضاع بلاد المغرب وإدخال الإسلام فيها فكانوا يلقون في ذلك عناء عظيما وذلك لوعورة أرض المغرب وتنايبها عن المشرق ولاستبسال البربر في القتال زمن الحرب وعدم إخلادهم الى الهدوء زمن السلم ولأن الروم كانوا يساعدون البربر احتفاظا بسلطانهم في تلك البلاد بعد أن زال سلطانهم عن الشام ومصر . هذه الصعاب كلها جعلت الإسلام يسير في بلاد المغرب سيرا بطيئا بل جعلته أحيانا يرجع القهقري . كما حدث عند ما تجمع الروم والبربر على عقبة بن نافع وقتلوه هو ومعظم جيشه سنة ٦٢ هـ . وعند ما ثاروا بزهير بن قيس البلوى وقتلوه ، وعند ما قامت الكاهنة (دهياء) والتف البربر حولها (٧٤ - ٧٩ هـ) على أن البربر نزلوا أخيرا على حكم العرب عند ما عهد أمر إخضاعهم الى القائد الكبير موسى بن نصير فإنه قمع فتنهم ونشر فيهم الإسلام .

(د) فتح الأندلس

بعد أن تم لموسى بن نصير أمر المغرب ولى على طنجة وما حولها مولاه طارق ابن زياد وعاد هو الى القيروان عاصمة المغرب لذلك العهد . وكانت حال الأندلس

في ذلك الوقت مختلة معتلة لضعف الحكومة القوطية التي كانت تحكمها . فطمع طارق في فتحها فعبر الزقاق (مضيق جبل طارق) بإذن موسى سنة ٩٢ هـ . ونزل بشاطئ أسبانيا الجنوبي والتحم بالقوط يقودهم ملكهم (رذريق) في معركة عظيمة على النهر المعروف بوادي بكة . فهزموهم واستولى على المدن الأندلسية الجنوبية ثم سار الى طليطلة عاصمة الدولة القوطية واستولى عليها . وعند ذلك التحق به موسى ابن نصير ليفوز بشرف الفتح وسار القائدان العظيمان معا يفتحان مدن الأندلس حتى بلغا جبال البرانس وبذلك أصبحت أسبانيا (ما عدا الجزء الشمالي الغربي) يخضع عليها علم الدولة الإسلامية . وقد أتيت لتلك الأرض أن تقوم بها للمسلمين دولة عظيمة هي الدولة الأموية الأندلسية وحضارة رائعة يذكرها التاريخ بكل إعجاب .

(هـ) قيام البحرية الإسلامية وفتح أكبر جزائر

البحر الأبيض المتوسط

كان الباعث للعرب على إنشاء الأساطيل البحرية خوفهم من غارات الروم على الشام ومصر من ناحية البحر . وقد أنشأ معاوية بن أبي سفيان أيام ولايته على الشام لعثمان بن عفان أسطولاً لهذا الغرض وجعل عليه عبد الله بن قيس الحارثي . وقد فتح هذا الأسطول جزيرة قبرس وساعده في ذلك الأسطول المصري يتووده عبد الله بن سعد بن أبي سرح .

واستولى المسلمون بمرور الزمن على أهم جزائر البحر الأبيض المتوسط . ففي عام ٢١٠ هـ أخرج عبد الله بن طاهر والي مصر مهاجرة الأندلس من الاسكندرية الى اقريطش (كريت) بعد أن زودهم بالمال والسلاح فساروا اليها وافتتحوها ونشروا فيها الاسلام . وافتتح المسلمون جزائر البليار عند فتحهم أسبانيا في أواخر القرن الأول الهجري . وكذلك افتتحت الدولة الأغلبية التي كانت حاكمة تونس (١٨٤ - ٥٢٩٦ هـ) جزيرة صقلية وجنوبي إيطاليا فكان ذلك سببا في قيام حضارة إسلامية بصقلية

لا يزال بعض آثارها ماثلا الى اليوم . فلما ظهر الترك العثمانيون استولوا على رودس وكثير من جزائر بحر الأرخييل وأدخلوا فيها الإسلام .

(و) فتح العراق (١٢ - ١٤ هـ)

كانت وقائع خالد بن الوليد وغيره من قواد العرب مع المرتدين في اليمامة والبحرين يتطايير شررها الى القبائل العربية النصرانية النازلة ببادية العراق والمختمية بالحكومة الفارسية فكانت خل لا تخلو من قتال بين الفريقين . هذا هو السبب القريب في قيام الحرب بين العرب والفرس غير أنه كان ثمة سببان جوهريان لهذه الحرب هم ، رغبة أبي بكر في نشر الاسلام وشغل العرب بالجهاد بعد حروب الردة . لذلك أمر خالد بن الوليد بعد انتهائه من واقعة اليمامة أن يسير الى العراق وينضم بجيشه الى جيش المثنى بن حارثة الذي كان يقاتل في البحرين . وكذلك أمر عياض بن غنم أن يلاحق بهما . فاجتمع جيشا خالد والمثنى وكانت عدتهما نحو ٣٠,٠٠٠ مقاتل والتقى خالد بالفرس في واقعة (الحفير) فكان النصر لخالد . وقد أثار ذلك الانتصار عصبية بكر وتغلب النازلين غربى الفرات وبعثهما على طلب الثأر لمن قتل خالد منهم . ونصم اليهم كثير من الجند الفارسي . فلما علم بذلك خالد سار اليهم والتقى بهم في واقعة (الليس) وانتصر عليهم بعد قتال عنيف .

وزحف خالد بعد ذلك الى الحيرة عاصمة المماذرة فاستسلمت اليه بشروط معينة ثم ذهب لنجدة عياض بن غنم عند دومة الجندل فاستولى على هذه البلدة وعاد الى الحيرة والتقى بتغلب والفرس في واقعة القراض وانتصر عليهم . ثم خرج الى الحج خفية وعاد ولم يشعر جنده بذلك . فلما علم أبو بكر بحججه هذا عتب عليه وأمره بأن يتوجه بنصف الجيش الى الشام حيث كان المسلمون مرابطين باليرموك كما تقدم القول فأطاع خالد واستحاف على بقية جيش العراق المثنى بن حارثة .

واقعة القادسية سنة ١٤ هـ - رأى المثنى بن حارثة بعد ارتحال خالد قلة جنده وخرج موقنه نخف الى المدينة ليخبر أبا بكر بحقيقة الحال فوجده في مرضه

الأخير . فلما تولى الخلافة عمر بن الخطاب كان أول ما عمله أن نفذ مشيئة أبي بكر فأرسل مددا إلى المثنى يقوده أبو عبيدة بن مسعود الثقفي . فانتصر أبو عبيدة في أول الأمر على الفرس ولكنه خالف نصيحة القائد المجرب المثنى بن حارثة فاشتبك مع الفرس في واقعة الجسر التي انتهت بقتله وفناء معظم جيشه . فلما بلغ الخليفة ذلك جد في إرسال الجند إلى العراق . أما المثنى فتراجع إلى حدود الصحراء واستمد من يليه من القبائل العربية النصرانية فأمدوه عصبية منهم لإخوانهم العرب واشتبك مع الفرس في واقعة البويب فكان النصر له عليهم .

في ذلك الوقت تولى على الفرس شاب حمي هو يزيدجرد آخر آل ساسان فعزم على طرد العرب من بلاده وساق على العراق ١٢٠,٠٠٠ مقاتل يقودهم قائده رستم . فرأى المثنى أن لا قبل له بلقاء ذلك الجيش الجرار وتراجع مرة أخرى إلى الصحراء ريثما ترد عليه النجدة من المدينة . ولكنه لم يمد له في عمره حتى يرى آثار إخلاصه وحسن بلائه فقد توفي بعد قليل من الزمن من جراح أصابته في واقعة الجسر .

ومن حسن حظ الجيش العربي أن أدركته النجدة يقودها سعد بن أبي وقاص . رابط سعد في سهل القادسية بجيش يبلغ (مع مدد جاء من الشام أثناء القتال) ٤٠,٠٠٠ مقاتل . وكان الجيش الفارسي حياله على الجانب الشرقي للفرات . وظل الجيشان متواقفين مدة طويلة حتى نفذ صبر يزيدجرد وأمر رستم ببدء القتال فعبر رستم الفرات ونشب بين الفريقين قتال عظيم دام ثلاثة أيام ثم انجلى عن انتصار باهر للعرب . وكانت تلك الواقعة فاصلة في شأن العراق فانها استتبعته ارتجاع الحيرة وما والاها من المدن التي كانت سقطت في أيدي الفرس ثم الزحف إلى المدائن عاصمة الفرس وأخذها . كذلك كان من نتائجها فرار يزيدجرد واستيلاء العرب على الأرض الواقعة جنوبي الموصل وقرقيسيا . وعند ذلك أمر الخليفة سعدا ألا يتابع الفتح واكتفى من بلاد الفرس بالعراق . فاتخذ سعد المدائن مقراً له وشرع ينظم شؤون الحكومة الجديدة . غير أن غارة من الفرس على العرب كانت السبب في واقعة

جلولاء التي استولى بها العرب على حلوان . وفر يزيدجرد الى الري وأصبحت جبال زجروس حدًا فاصلا بين العرب والفرس .

(ز) فتح فارس

واقعة نهاوند سنة ٢١ هـ — على أن عمر بن الخطاب اضطر لأن يأذن للعرب بمناجزة الفرس لتوالى غارات هؤلاء عليهم . فأمر سعد بن أبي وقاص أن يستير الجنود بقيادة النعمان بن مقرن لقتال الفرس فالتقى النعمان أخيرا بالفرس قرب نهاوند وانتشب بين الفريقين قتال عنيف قتل فيه النعمان بن مقرن فقام مكانه حذيفة ابن اليمان فحمل على الفرس وهزمهم شر هزيمة .

وكانت هذه الواقعة فاصلة في شأن فارس إذ استتبعت استيلاء العرب على همدان والري كما استتبعت فرار يزيدجرد الى ما وراء النهر (حيث توفي في خلافة عثمان) ثم أمر عمر ففتح العرب الأقاليم الفارسية التي لم تكن فتحت .

(ح) فتح أواسط آسيا ودخول الإسلام فيها

حدث في فارس بعد وفاة عمر بن الخطاب خروج عام على العرب فأمر عثمان. والى البصرة عبد الله بن عامر بأن يقمع هذه الثورة ، فقام ابن عامر بذلك سنة ٣١ هـ . ثم تابع الزحف متجها شمالا بشرق فاستولى على أكبر مدن خراسان وهي نيسابور ومرو وسرخس وبلغ بلخ وطخارستان . فلما كان عصر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك فتح العرب الاقليم المسمى « ما وراء النهر » (٨٦ — ٩٦ هـ) وكان فتحه على يد قتيبة بن مسلم عامل خراسان ، فاستولى على بخارى سنة ٨٨ هـ . وسمرقند سنة ٩٢ هـ . وبلغ حدود الصين سنة ٩٦ هـ . وأصبح الإسلام دين أهل تلك البلاد وزهت بها المدنية الاسلامية زهاء عظيم .

(ط) فتح الهند وانتشار الإسلام فيها

قد بلغ العرب في فتوحهم الاسلامية الأولى جهات الهند الشمالية ولكنهم لم يستقروا بها ولا استداموها إقليماً تابعاً لهم . فلما كانت ولاية الحجاج على العراق والمشرق وجه الى الهند محمد بن القاسم سنة ٩٢ هـ . لفتحها ونشر الاسلام فيها . فسار ابن القاسم في جيش لا يزيد عن ١٠,٠٠٠ مقاتل ففتح السند والبنجاب ، ووقف الفتح العربي عند هذا الحد لاضطراب أمر بني أمية وظل إقليم السند زهاء قرنين من الزمان يحكمه أمراء من العرب .

على أن الفتح الحقيقي لبلاد الهند ونشر الاسلام فيها إنما جاء على أبدي أتراك خراسان لا عرب الجزيرة . وقد قام بذلك العمل الجليل أربع دول تاريخها في الحقيقة متصل غير منفصل الأولى الدولة الغزنوية التي حكمت بلاد الأفغان والسجانب (٣٥١ - ٥٨٢ هـ) وكان أكثر رجالها جنداً في فتح الهند محمود بن سبكتكين . الثانية الدولة الغورية التي حكمت بالأفغان وبلاد الهند (٥٤٣ - ٦١٢ هـ) وقد دان لها سهل الهندستان كله . الثالثة دولة سلاطين دهلي (٦٠٢ - ٩٦٢ هـ) وكان مفتر حكومتها بالهند نفسها لا خارجها كما كانت الحال من قبل . الرابعة دولة المغول بالهند كلها (٩٣٢ - ١٢٧٥ هـ) وقد انبسط سلطانها على الهند كلها تقريباً وظلت كذلك حتى اضطحات وآلت الزعامة على الهند الى الانجليز في أواسط القرن الثالث عشر الهجري .

ولا بأس بأن نلّم في هذا المقام بأهم الأمور التي مكنت المسلمين وهم فئة قليلة أجنبية من أن ينزلوا بلاد الهند على سعتها وكثرة سكانها واختلاف لغتها، ويؤسسوا لهم بها الدول ذات الأعمار الطويلة . إن الهندود على الرغم من كثرتهم اذئلة كانوا طوائف متقاطعة متخاذلة من الوجهتين السياسية والأدبية . وكان سوادهم الأعظم من طبقة الزراع المستضعفة من قديم الزمان والتي أمات الاستبداد ما بها من حب الاستقلال فأصبحت لا تهتم لسقوط حكومة وقيام أخرى ما دام الكفاف من

العيش ميسورا لها . لذلك قلما نجد الهنود يناهضون المسلمين . أما المسلمون فكانوا بإزاء ذلك يدا واحدة يقاتلون لنصر الاسلام ونشره بين الوثنيين . ثم إن الديمقراطية التي يتصف بها الاسلام قد جعلت كثيرا من الهنود يدخلون في الاسلام في حين أن من لم يدخل فيه كان يفضل حكومة المسلمين الأجنبية على حكومة (الراجات) الوطنية لأن الأولى كانت أبرّ بهم وأرحم .

(ى) دخول الاسلام فى جنوب، أوروبا الشرقى

للترك فضل كبير فى نشر الدين الاسلامى فهم لذين نشره فى بلاد الهند كما تقدم القول، وهم الذين عملوا على حفظه من غلبة التشيع فى القرن الخامس الهجرى كما يعلم المطلع على تاريخ السلاجقة . وهم الذين رفعوا اواءه ردحا من الزمن بجنوب أوروبا الشرقى .

والترك عامة فرع من الجنس التترى الذى حكم كثيرا من البلاد الآسيوية فى الأزمنة القديمة . ومواطن الترك الأصلية هى سهول بحر قزوين وبحر آرال وما وراء النهر وما والاها من الجهات . وقد تدرجوا فى الظهور فى التاريخ الاسلامى فكانوا أول الأمر خدما فى بيوت الأمراء وقصور الخلفاء بخندا فولاة أقاليم فسلطين إبان حكم السلاجقة وخلفائهم من الأتابكة . ولما جاء التتار فى القرن السابع الهجرى قضوا على بقايا السلاجقة إلا دولة الروم الساجوقية بآسيا الصغرى فانها امتعت عليهم حينما من الزمن . وكان من بين القبائل التركية الخراسانية التى سارت مغربة فرارا من التتار قبيلة صغيرة تعرف (بالأوغوز) يبلغ عددها . . . ٤ فارس . تلك القبيلة هى أس الترك العثمانيين الذين أتموا فتح آسيا الصغرى وأقاموا دولة إسلامية عظيمة بجنوب أوروبا الشرقى .

سار بهذه القبيلة زعيمها المسمى (أرطغرل) يرتاد لقومه منتجما فأدى به السير الى آسيا الصغرى . وبينما هو ذات يوم يطاع اذ رأى فيما يروى جيشين يقتتلان وأنس فى أحدهما علائم الانهزام . فانحاز اليه كرما منه فتغيرت بذلك حال الجيشين

المتحاربين اذ انهزم الذي كان هازما وغلب الذي كان من قبل مغلوبا . وما لبث أرطغرل أن علم أنه نصر السلطان علاء الدين السلجوقي على جيش تترى . واعترافا له بتلك اليد البيضاء أقطعه السلطان المذكور أرضا له على حدود الدولة البيزنطية . في آسيا الصغرى عرفت فيما بعد (بسلاطونى) ذلك الأقطاع هو أس الدولة التركية العثمانية .

نمو الدولة التركية — ولبث أرطغرل أميرا على ذلك الإقطاع حتى توفى سنة ٦٨٠ هـ . فتولى بعده ابنه عثمان الذى ينسب اليه الترك (٦٨٠ — ٧٢٦ هـ) فثبت قدمه فى إقطاعه ، ثم شرع فى الاستيلاء على الحصون البيزنطية التى تتاخم أرضه حتى قارب (بروسه) ، وفى عام ٦٩٩ هـ . قضى التتار على الدولة السلجوقية بآسيا الصغرى فكان ذلك سببا فى استقلال سلاطونى ومن ذلك الحين أخذ سلاطين الترك يعملون من جهة على إخضاع جميع آسيا الصغرى لسلطتهم ومن جهة أخرى على التدخل فى شئون الدولة البيزنطية بقصد الاستفادة من ضعفها ثم إسقاطها والحلول محلها . وقد تم لهم ذلك كله . والذى بدأ سياسة الفتح الأوربية هو أرخان ابن عثمان (٧٢٦ — ٧٦١ هـ) فانه بعد أن نظم شئون دولته وأنشأ جيش الانكشارية الشهير أخذ يتدخل فى الشئون الأوربية وكانت الدولة البيزنطية اذ ذاك فى منتهى الانحطاط وكان يتنازع عرشها رجلان أحدهما يسمى ككتا كوزين والآخر باليولوغ وكان كل منهما يستعين أرخان على خصمه . فمد أرخان يد المساعدة الى أولهما فكافأه على ذلك بأن زوجه من ابنته ، وعند ما زحف الصربيون على القسطنطينية فى عام ٧٥٣ هـ . استعان ككتا كوزين بصهره أرخان فأرسل اليه مددا يقوده ابنه سليمان . وقد تمكن ككتا كوزين بهذا المدد من رد الصربيين . ولكى يكافئ سليمان على صنيعه هذا نزل له عن حصن (ترمب) القائم بالشاطئ الأوربى للدردينيل واتفق فى العام القابل أن حدث زلزال عظيم فى تراقية دك حصون البلاد وهدم أسوار غاليبولى فاستولى عليها الترك فكان ذلك بدء ملكهم بأوربا .

وفي عهد السلطان مراد الأول (٧٦١ - ٧٩٢ هـ) بلغ الترك في فتوحهم نهر الطونة بعد أن هزموا الصرب والبغار والمجر والأفلاق والألبان في واقعة (قوصوه) الشهيرة سنة ٧٩٢ هـ . وبهذه الفتوح كلها أصبحت أملاك الترك تكتنف القسطنطينية من جميع جهاتها . وبذلك طمع مجدا الثاني الملقب بالفاتح (٨٥٥ - ٨٨٦ هـ) في أخذها والقضاء على الدولة البيزنطية ، وقد تم له ذلك في عام ٨٥٧ هـ . وأصبحت القسطنطينية عاصمة الدولة التركية . وقد اتبع محمد الفاتح ذلك العمل الخطير بأن أتم إخضاع البوسنة والصرب والمورة وجزائر الأرخيل وشواطئ البحر الأسود الجنوبية والقرم وألبانيا . ونزلت جنوده بجنوبي إيطاليا . وبذلك أصبحت شبه جزيرة البلقان بأيدي الترك .

ثم وقف نمو الدولة التركية في أوروبا لأن بايزيد بن مراد الأول لم يكن ميالا للحروب بوجه عام ولأن سايمان ابنه (٩١٨ - ٩٢٦ هـ) شغل بحاربة الفرس وممالك مصر والشام وكان مظفرا في حروبه فقد أذل الفرس وأدخل الشام ومصر في حكم الترك وحمل فيما يقال الخليفة العباسي الذي كان مقيا إذ ذاك بالقاهرة على أن ينزل له عن الخلافة ففعل وأصبحت الخلافة في آل عثمان .

فلما تولى ملك آل عثمان السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ - ٩٧٤ هـ) استؤنف الفتح والتوسع في أوروبا ففتح السلطان بلاد المجر ودفع جيوشه في النمسا حتى بلغ عاصمتها ويانا وحاصر هذه العاصمة مرتين ولكنه لم يستطع أخذها لمناعتها واستبسال أهلها .

ذلك أقصى ما باغته حدود الدولة التركية في أوروبا . على أنها لم تستدم ذلك الملك الواسع طويلا فقد أصابها الضعف بعد القوة لفساد إدارتها وسياستها في الداخل ولنهوض الدول المجاورة لها : روسيا والنمسا وبولونيا واجتماعها كلها على محاربة الترك وانتقاص ملكهم فصار الترك ينجلون شيئا فشيئا عن أملاكهم الأوروبية وغير الأوروبية حتى أصبح ملكهم منحصرًا في آسيا الصغرى .

٤ - الأقطار التى دخلها الاسلام بمجئد الدعوة

ومقدار انتشار الاسلام فى الوقت الحاضر

إن الأقطار التى سبق الكلام عليها هى التى شملتها الدول الإسلامية فى الأعصر الإسلامية المختلفة وهى التى دخلها الاسلام قرين السياسة . على أنه ينبغى ألاستفاد من ذلك أن الاسلام قام بالقوة كما يرى كثير من الناس مسلمين وغير مسلمين . فالحقيقة أن الدولة الإسلامية كانت من كثير من الوجوه ذات صفة مدنية وأنها نمت نمو الامبراطوريات الواسعة القديمة والحديثة . أما الدين الاسلامى فقد انتشر فى أكثر الأحوال بمجئد الدعوة من جانب الفاتحين أو بمجئد اطعمشان القلب اليه من جانب من فتحت عليهم بلادهم وذلك كما حدث فى الشام ومصر فقد دخلهما الاسلام والمسيحية فيهما متشعبة المذاهب منقسمة الآراء منحلة النفوذ فكان ذلك سببا فى انصراف كثير من أهلها عنها ودخولهم فى الاسلام . وقد يكون انتشار الاسلام لسبب آخر هو مجئد الرغبة فى التخلص من دفع الجزية وأن يكون الذميون والمسلمون فى مستوى أدبى واحد . ونحن لانذهب بعيدا فى تقرير هذه الحقيقة فالقرآن والسنة حثا فى كثير من المواطن على احترام الذميين ودعوتهم الى الاسلام بالتى هى أحسن . وكان المسلمون عادة لا يكرهون أحدا على الدخول فى دينهم بل كانوا يكتفون منهم فى الغالب بالجزية والسيرة الحسنة .

ومما يدل على صدق النظرية التى تقول بانفصال الدين عن السياسة فى التاريخ الاسلامى أن الدين الاسلامى قد دخل أقطارا كثيرة مجئدا من وسائل الفتح والتغلب السياسى ونحن نختم هذا الفصل التاريخى بذكر هذه الأقطار ثم نتبع ذلك بكلمة تبين مقدار انتشار الاسلام فى أنحاء العالم فى زمننا الحاضر .

(١) الصحراء الكبرى - السودان - غرب أفريقية وشرقها

عرفناك قبلا أن الإسلام دخل مصر والنوبة وبلاد المغرب فى الصدر الأول للإسلام، والآن نقول إن الدين الإسلامى قد سرى أثره من هذه الأقطار الى الأقطار

الأفريقية التي تليها وهي الصحراء الكبرى وبلاد السودان وغربي أفريقيا . وكان ذلك في أغلب الأحوال بمجرد الدعوة ومحض اختلاط المسلمين بأهل تلك الأقطار من وثني البربر والزنوج . وقد ابتدأ ذلك منذ القرن الخامس الهجري عند ما قام عبد الله بن يس داعية الدولة المرابطية وعمل على نشر الإسلام في قبائل الصحراء الكبرى . وقد تابعه في ذلك ابن تومرت الملقب بمهدي الموحدين (٥٢٤ - ٦٦٥ هـ) ، ثم قفى على أثره هؤلاء في نشر الدعوة بالصحراء الكبرى والسودان وغربي أفريقيا مشايخ الطرق التي ظهرت في شمال أفريقيا وأخصها القادرية والتيجانية والسنوسية . فبمجهودات هؤلاء جميعا أصبح الإسلام دين تلك الأقطار، مع أنها خاضعة لدول أوربية مسيحية قوية .

وكما انتشر الإسلام في تلك الأقطار بمجرد الدعوة فإنه انتشر كذلك في شرقي أفريقيا، فقد دخل الإسلام منذ الصدر الأول بلاد الصومال وزنجبار والجالا وكان ذلك بإرتحال رجال من عرب اليمن الزيديين وعرب البحرين الى تلك الجهات واستفراهم بها وللعلائق التجارية التي كانت على العموم بين عرب الجزيرة وبين وثني تلك الجهات .

(ب) روسيا

دخل الإسلام بلاد روسيا في زمن الدولة العباسية (القرن الرابع) وكان دخوله في الأقاليم الروسية المعروفة إذ ذاك ببلاد البلغار، وهي عبارة عن حوض نهر الواغا وكان دخوله تلك النواحي للعلائق التجارية التي كانت بين المسلمين وبين أهل هذه البلاد . على أن الإسلام نما وانتشر في جنوبي روسيا وجنوبها الشرقي عند ما شاب عليها التتار المعروفون بالطائفة الذهبية في القرن السابع الهجري . فإنهم اعتنقوا الإسلام بمحض رغبتهم، وأول من فعل ذلك منهم ما يكهم الوثني بركة خان (٦٥٤ - ٦٦٤ هـ) الذي كان معاصرا وحليفا للظاهر بيبرس سلطان مصر لذلك العهد . ولا يزال الإسلام دين هذه الجهات حتى يومنا هذا .

(ج) الصين

ليس بأيدينا من المصادر الموثوق بها ما يبين تاريخ دخول الإسلام بلاد الصين وانتشاره بها . على أنا نعرف من بعض المصادر الصينية والإسلامية أنه قد كانت علاقات سياسية بين الدولتين الإسلامية والصينية منذ خلافة عثمان بن عفان ، وقد ابتعث هذه العلاقات استعانة فيروز بن يزيدجرد بإمبراطور الصين لارتجاع بلاده . وتقول التواريخ الصينية كذلك إن سفيرا صينيا قدم على الخليفة هشام بن عبد الملك موفدا من قبل أمبراطور الصين . وان الأمبراطور هسوان تسنج عند ما ثار به بعض رعيته واغتصب منه العرش استعان بالخليفة المنصور العباسي ، فأرسل اليه الخليفة جندا إسلاميا ارتجع به بعض مدنه من الثوار . وقد استقر هؤلاء الجنود بالصين ولم يعودوا الى بلادهم فكان ذلك بدء استقرار الاسلام بالصين . على أن العلاقات التجارية التي كانت بين العرب والصين من قديم الزمان كانت سببا آخر في سكنى عدد غير قليل من تجار المسلمين بالثغور الصينية . فلما كانت غارة التتار في القرن السابع الهجرى وما حدث على أثرها من اضطراب في العالم الإسلامى الشرقى نزع عدد كبير من الصناع والتجار المسلمين الى بلاد الصين واستقروا بها وابتنوا المساجد وانتظموا في سلك الحكومة الصينية .

(د) أرخييل الملايو

قد دخل الإسلام جزيرة سومطرة منذ القرن الأول الهجرى ، وكان ذلك بواسطة تجار العرب . ثم بما بهذه الجزيرة على مر الزمن بواسطة دعاة وتجار من الهند وبلاد العرب على السواء كما يستفاد من كلام الرحالة الإسلامى ابن بطوطة والرحالة الايطالى ماركو بولو (القرن السابع الهجرى) ودخل الإسلام كذلك جزيرة جاوه في القرن السادس الهجرى وعظم شأنه بها حتى قامت بها حكومة إسلامية قوية . ثم اقتبست الإسلام من هاتين الجزيرتين سائر جزائر الملايو — بورنيو وسيليبس والفلبين . وكذلك اهند الصينية ، هدا والإسلام في الوقت الحاضر أخذ يتغلب على الوثنية

في جزائر الملايو وقد بلغ عدد حجاج المستعمرات الهولندية بتلك الجزائر في سنة ١٩١٠ نحو ٢٤٠ ٠٠٠ حاجا .

انتشار الاسلام في الوقت الحاضر — هذه هي الأقطار التي دخلها الإسلام بمجرد الدعوة . ولا يستفاد مما تقدم أن هذه الأقطار والأقطار التي دخلها الإسلام مع السياسة الإسلامية بحتة ، فقد تقلص ظل الإسلام عن بعضها كالأندلس وأكثر الأملاك العثمانية الأوروبية وبعضها توجد به أقلية إسلامية كما هي الحال في الصين والهند بوجه عام . وقد اختلفت الإحصائيات في تقدير عدد المسلمين في أنحاء العالم في الوقت الحاضر ، والمتفق عليه أنهم لا يقلون عن ٢٠٠ مليون نسمة ولا يزيدون عن ٢٥٠ مليون نسمة .

مكة المكرمة

مجل الكلام على مكة — أسماؤها — موقعها — جبالها — شوارعها وحراراتها — أقسامها الهامة — مبانيها — مستشفى الغرباء — التكية لمصرية — مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أو داره — دار خديجة بنت خويلد — دار الأرقم — بسان الشريف عون الرفيق باشا — تأثير السيول في مكة وتاريخها — سكان مكة — جنسياتهم — أخلاقهم — أزيائهم — لغتهم — دينهم — عاداتهم — جو مكة — تجارتها — نقودها — مياهها — عين زبيدة — أمراء مكة .

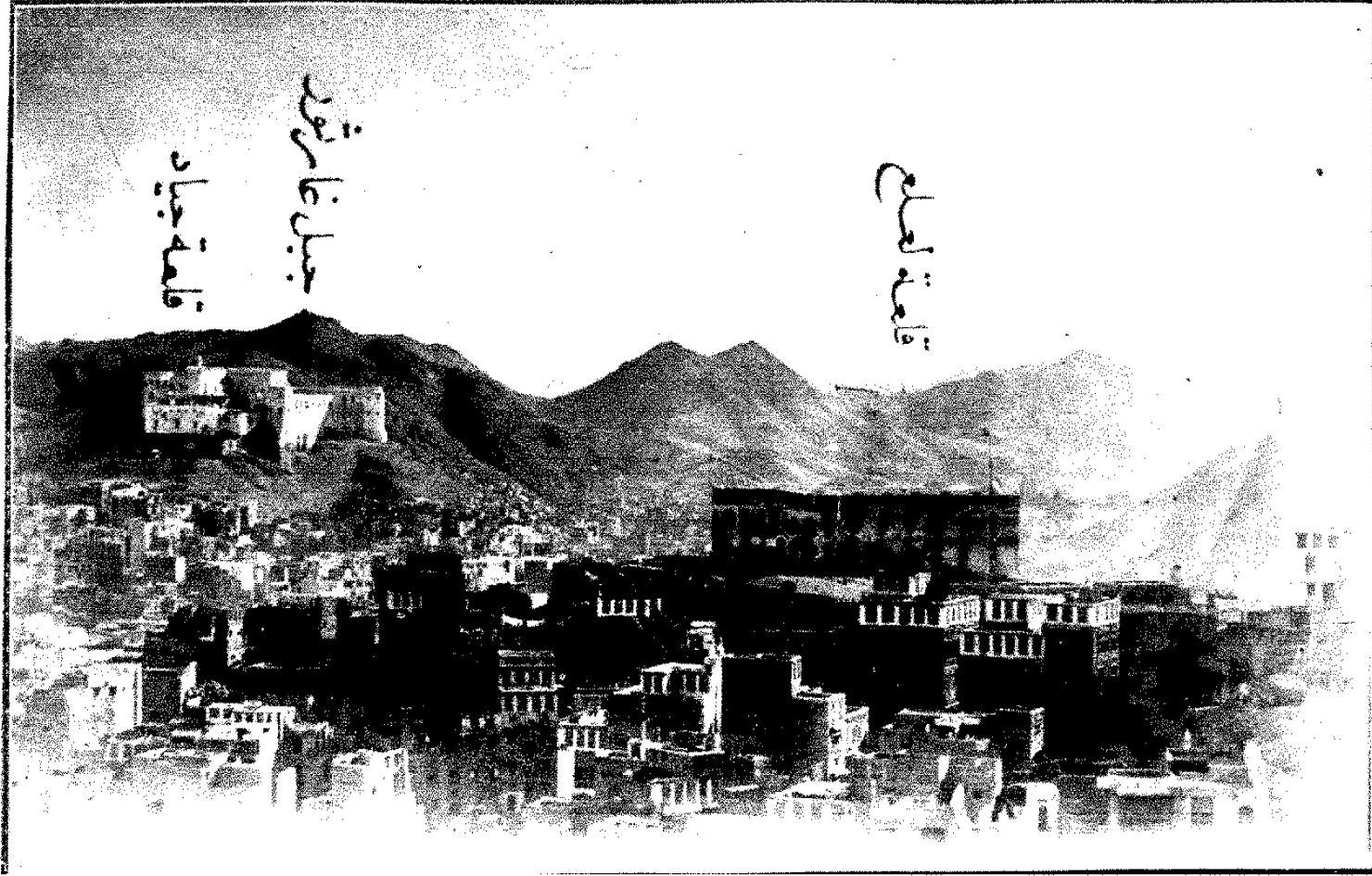
أسماء مكة — ذكر العلماء أن لمكة ستة عشر اسما نذكر أشهرها وهي أربعة نطق بها القرآن أولها : «مكة» قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَبْدِيَهُمْ عَنْهُمْ يُبْطِنُ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ وقالوا سميت بذلك لقلعة مائها ، أخذنا من قولهم : امتك الفصيل ضرع أمه إذا امتصه ، وقيل : لأنها تمك الذنوب أي تذهب بها ، ونانها « أم القرى » قال تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ، وثالثها « بكة » — بالباء الموحدة — قال تعالى

(إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ) ، ورابعها « البلد الأمين » وقد أقسم الله به في قوله (وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) .

موقعها — مكة واقعة على ٢١° و ٢٨ ق عرضا شماليا ، وعلى ٣٧° و ٥٤ ق طولاً شرقى باريس ، وترتفع عن سطح البحر الأحمر بنحو ٢٧٩ متراً ، وهى عاصمة بلاد الحجاز ، وطولها من الشمال الى الجنوب ميلان ، وعرضها شرقاً من جبل أبى قبيس الى أسفل جبل قعيقعان من الغرب ميل واحد ، يقطع الماشى طولها فى نحو نصف ساعة ، ومع كون عرضها دون طولها يقطع فى زمن أكثر مما يقطع فيه الطول ، وذلك لوجود أماكن على تلال فى كل من جانبيها . وهى بيطن واد يحيط به سور من الجبال الشاغخة قد بنيت عليها الحصون المحكمة ، وليس بسورها الجبلى ثغرات إلا حيث مدخنها الأربع ، ففي الشمال الشرقى الطريق الى منى ، وفى الجنوب الشرقى الى اليمن ، وفى الشمال الغربى الطريق الى وادى فاطمة ، وفى الشرق الطريق الى جدّة . وتلك الجبال تكوّن سلسلتين شمالية وجنوبية تتركب الأولى من جبل الفلج غرباً ثم جبل قعيقعان ثم جبل الهندى ثم جبل لعلع ثم جبل كداء (بفتح أوله ومد آخره) وهو فى أعلى مكة ومن جهته دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والثانية تتركب من جبل أبى حديدة غرباً يتلوه جبال كدى وكدى (كلاهما بضم أوله والأول مقصور والثانى مصغر) بأخفاف الى الجنوب ثم جبل أبى قبيس الى شرقيهما ثم جبل الخندمة .

شوارع مكة ومبانيها — نذكر لك أهم شوارعها وما فيها من البنايات الضخمة والمساجد والآثار مفردين الهام منها بالوصف التفصيلى قارنين ذلك بالصورة الكاشفة إن شاء الله فنقول : شوارع مكة ضيقة غير منتظمة ما عدا شارعاً مشهوراً يقطعها من جنوبها الغربى الى شمالها الشرقى يتسدى من الشيخ محمود أو جرول ما زى بباب العمرة الى أمام التكية المصرية ثم على المسعى وعلى طريق القشاشية وسوق الليل الى آخر مكة من جهة المعلاة ، وعرض الشارع بين ثمانية أمتار وعشرة وعشرين ، ومن الحارات النافذة الى الشارع المذكور ، حارة الباب ، وحارة الشبيكة ، والسوق

٦٠ مكر من جبل ابى قيس الى جبل غارثور

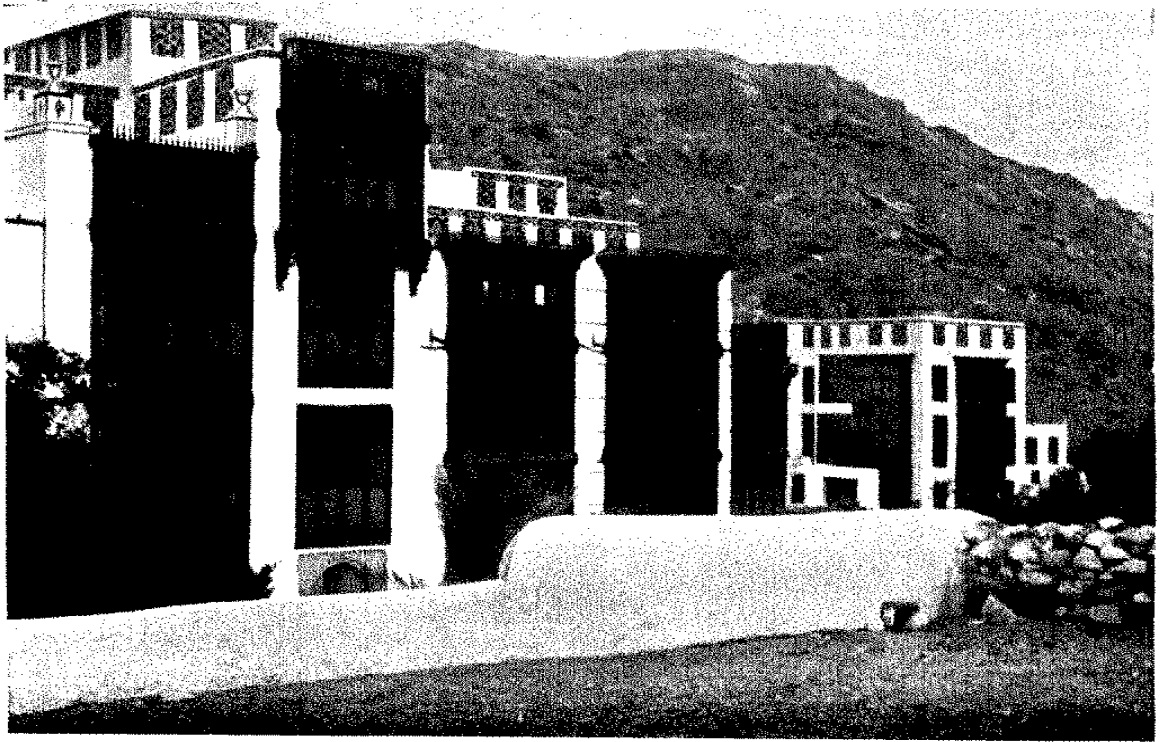


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بدل لعل يقرأ الهندي

60 bis— A view of the route from Mountain Abikobeis to Garsour.

بيوت مكة على الطراز الحديث في جاد للسقاف



62. A view of the houses of Mecca on the modern style in Giad in 1321.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوْنُ الطَّيْرِ وَالسَّيْرِ وَالْمَشْرِ وَالْمَشْرِ وَالْمَشْرِ وَالْمَشْرِ

سكن الوالى

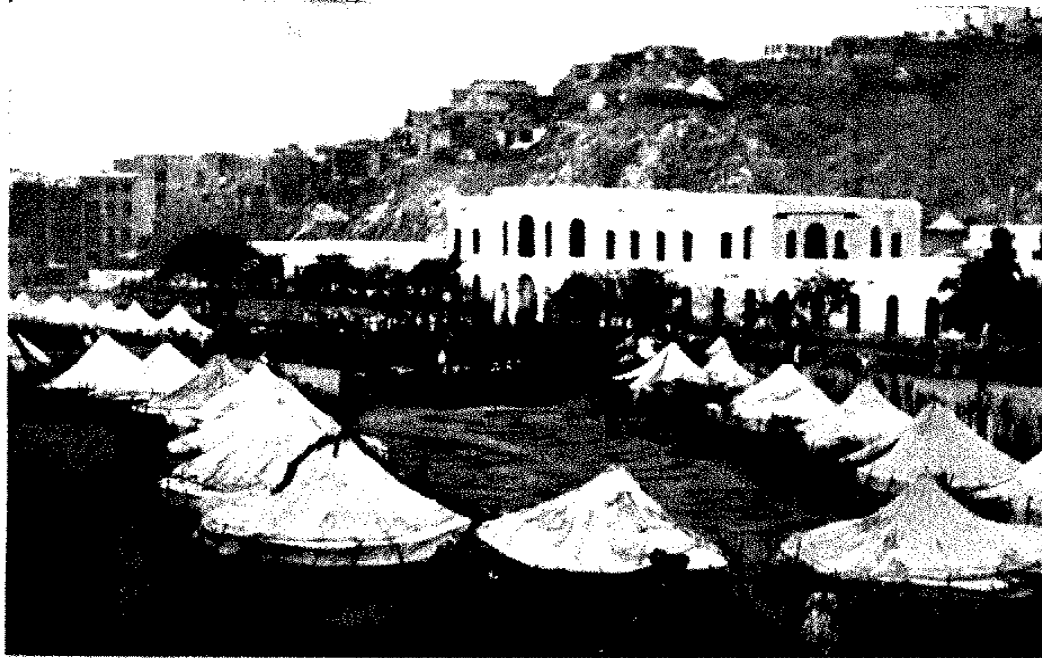
منازل السيد عمر السقاف المشيده بمكة



63. Houses built at Gyad, belonging to Sayed Omar El Sakkaf

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوْنُ الطَّيْرِ وَالسَّيْرِ وَالْمَشْرِ وَالْمَشْرِ وَالْمَشْرِ وَالْمَشْرِ

صيفه ١٧٩



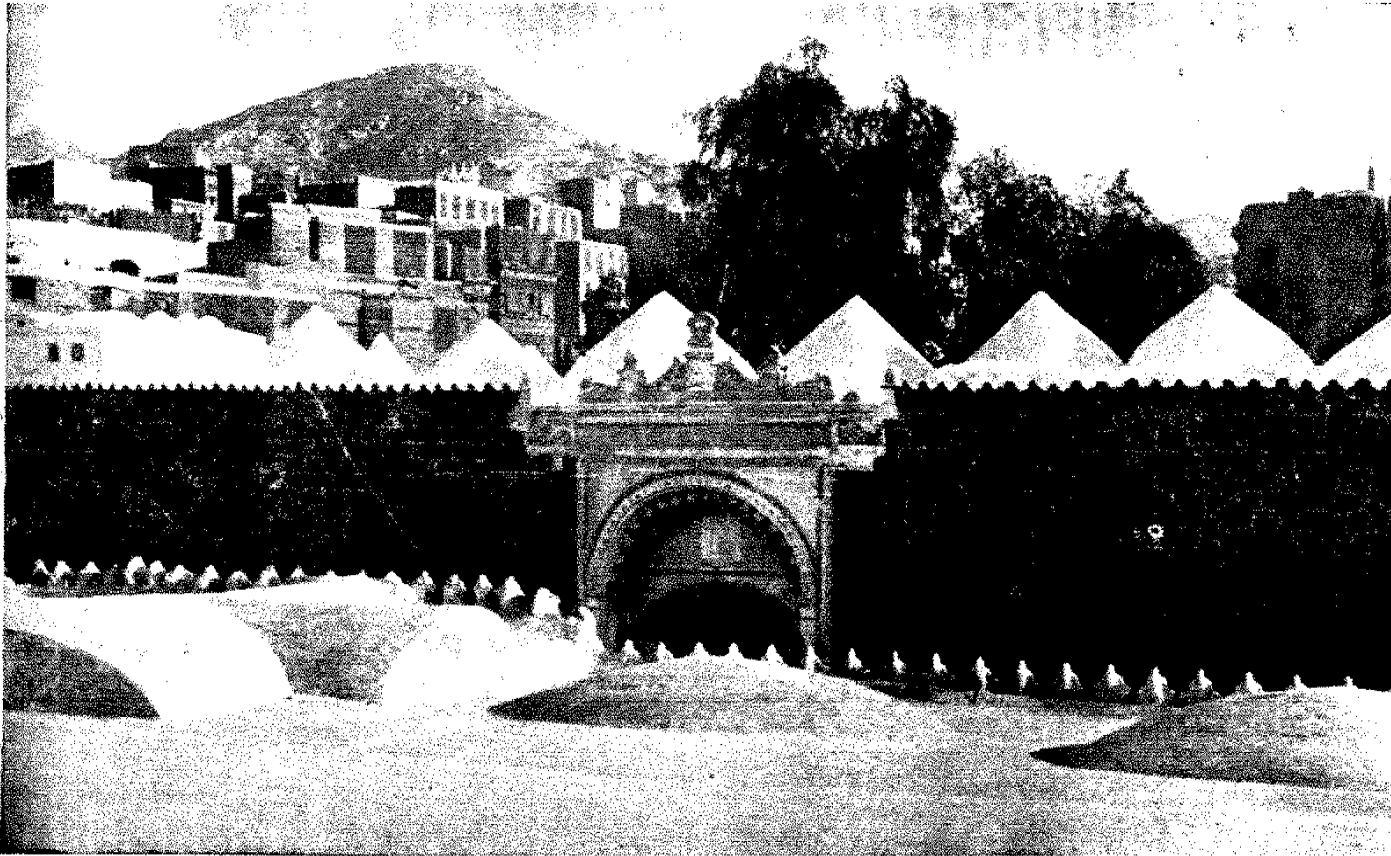
64. A view of the Turkish Barracks in Mecca in 1321.

صيفه ١٨٠



65. The Southern view of the houses of Mecca and the Citadel of Mecca.

منظرية محمد علي باشا بركة المسكوة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

70. The Charity house of Mohamed Aly Pasha at Mecca

الصغير ، وجياذ وسوق الليل وسوق الصفا والمسعى ، والقشاشية عن اليمين ، وياها الغزة ثم سوق المعلاة والبياضية ، وعن يسار القشاشية المسعى الى المروة الذى به يسارا باب السلام ويمينا طريق المدعى ثم الجودرية ثم المحنطة ، ومن حارة الباب ينفذ الى سوق الشامية ومنه الى المروة (الرسم ٦٠) .

ومن الجهات التى بها مبانٍ فخمة أو آثار جملة :

(١) جهة جردول — وعندها جبل جمحيشة وفيها الحفائر وبستان لدولة الشريف عون الرفيق و بئرذى طوى الذى آغسل منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو داخل اى مكة (رسم ٢٦) والمكان المعتاد للحمل المصرى «والمسافر خانة» التى بناها السلطان عبد الحميد وقدمنا لك وصفها ومقياس المياه الذى تراه فى شرقى (الرسم ٦١) على شكل عمود .

(٢) المسفلة — فى جنوب المسجد الحرام وبها بستان الشريف عبد الله ومولد سيدنا حمزة والخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنهما .

(٣) شعب جياذ — فى الجنوب الشرقى للمسجد الحرام وهو أجمل مواقع مكة لعلوه وسعة طرقة وكثرة بيوته التى على الطراز التركى والتى يسكنها غالبا موظفو الولاية من الأتراك وفى مقدمتهم الوالى وترى فى (الرسم ٦٢) نموذجا منها وهو بيت للسيد محمد السقاف ذى الأملاك الواسعة بمكة والمدينة وجدة ، وكذلك فى (الرسم ٦٣) وبهذا الشعب التكية المصرية تجاه المسجد الحرام فى (الرسم ٧٠) ، وكذلك ديوان الحميدية مقر الحكومة العثمانية الذى تراه غربى المسجد فى (الرسم ٨٥) ، والثكنات العسكرية للجنود الشاهانية التى تراها فى (الرسم ٦٤) ، وترى فيه خيما يسكنها الجنود الذين ليس لهم أماكن فى الثكنات .

والديوان والثكنات كلاهما من إنشاء الأمين الحازم المصلح الكبير المشير عثمان باشا نورى والى الحجاز وتجد مكتوبا على باب الحميدية الشرقى :

دار حوت لسعد سلطانتنا * عبد الحميد كل حسن وطيب
أشادها بجى أم القسرى * عثمان والينا بشكل عجيب
بشرى لنا قد جاء تاريخها * نصر من الله وفتح قريب

وعلى الباب الغربى :

دار سلطان الورى عبد الحميد * قد بدت كالبدر فى البيت الأمين
شادها عثمان والينا الذى * توج الأحكام بالعدل المبين
أزخ المجد ونادى فى العلا * أدخلوها بسلام آمين

وعلى الباب الجنوبى المتوسط كتب (دائرت حكومت سنه) .

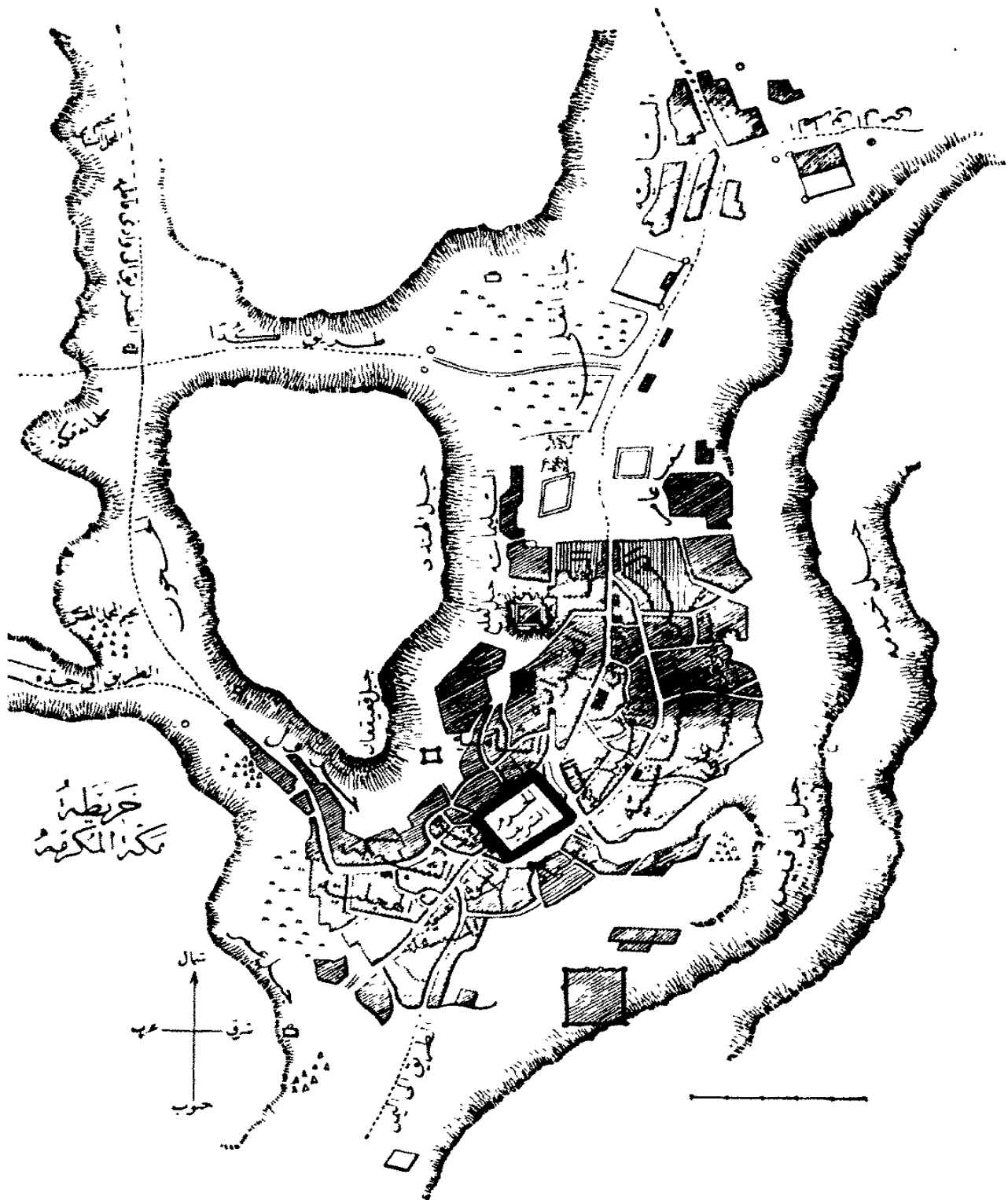
وعلى الباب الجنوبى الجانبى كتب سطر بالخط الثلث الجميل على شكل دائرة ،
العبارة الآتية (دائرة فرقة عسكرية) .

وفى جياذ أيضا ميدان لأستعراض العساكر وفيه المطبعة الأميرية ودار للبريد
(البوستة) والإشارات البرقية (التلغراف) ومركز الصحة ودار عظيمة للشريف
عبد المطلب وبيت لأمين الدفاتر (الدفتردار) ومسجد صغير — زاوية — للشاذلية
وترى فى (الرسم ٦٥) منظرا عاما لجياذ ، والبناء الذى فى أعلى الرسم على قمة الجبل قلعة
جياذ .

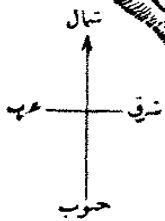
(٤) القشاشية — فى شرق المسجد الحرام ويطل عليها جبل أبى قبيس ،
وفى الجهة الشرقية منها شعب على أو شعب بنى هاشم انظر (خريته مكة) وبالقشاشية
دار الخيزران وهى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى وبها بيوت بنى شيبه حجة

(١) لا عناية ولا نظام للإشارات البرقية ولا بالخطابات فقلما تصل إشارة الى صاحبها ، والخطابات
تحضر من جدّة إلى مكة على ظهور الجمال فى عرارات (زكايب) وتلقى بطرقة فى دار البريد فى الحجاج
أو المطوفون أو خدمهم فيفرزون هذه المكاتبات فان عثروا على شئ لهم أو لأصحابهم وأقاربهم أخذوه ،
وكان خليقا بالحكومة العثمانية أن تعنى بذلك عناية شديدة لأن أولئك الحجاج الذين شط بهم المزار فى حاجة
الى تعرّف الأخبار عن أهلهم وأصحابهم وربما تضمنت أخبارا هامة يترتب على جهلها ضرر كبير .

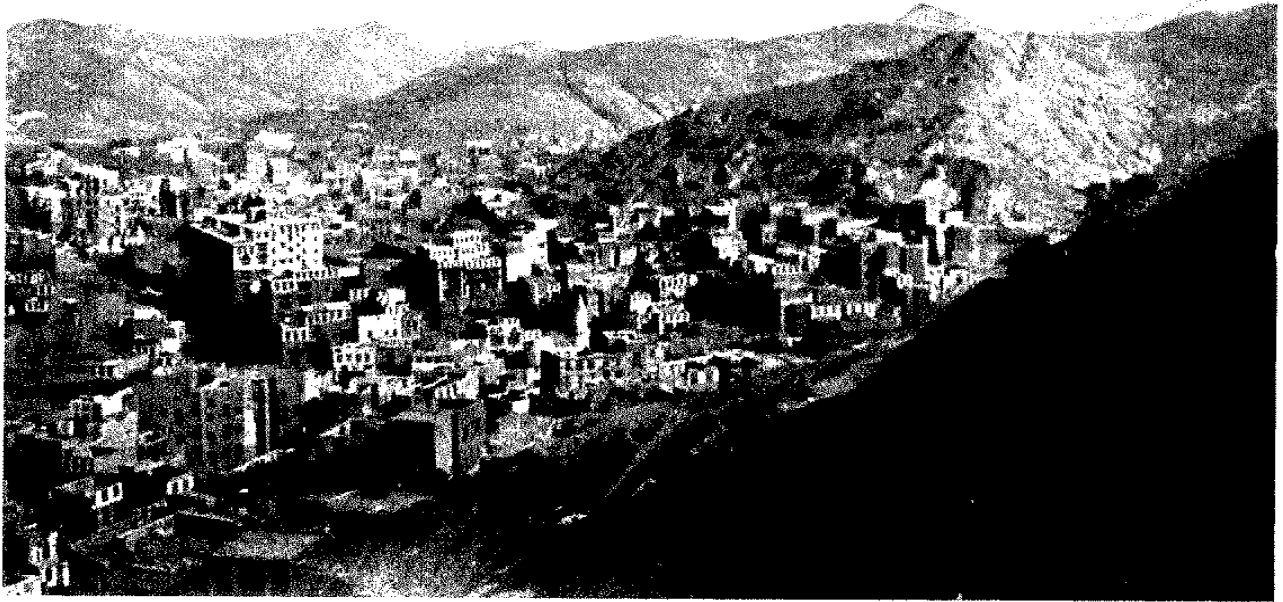
خريطة مكة المكرمة



خريطة
مكة المكرمة



هذا الطبع والنشر من قبل دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع
جميع الحقوق محفوظة © ١٩٨٥



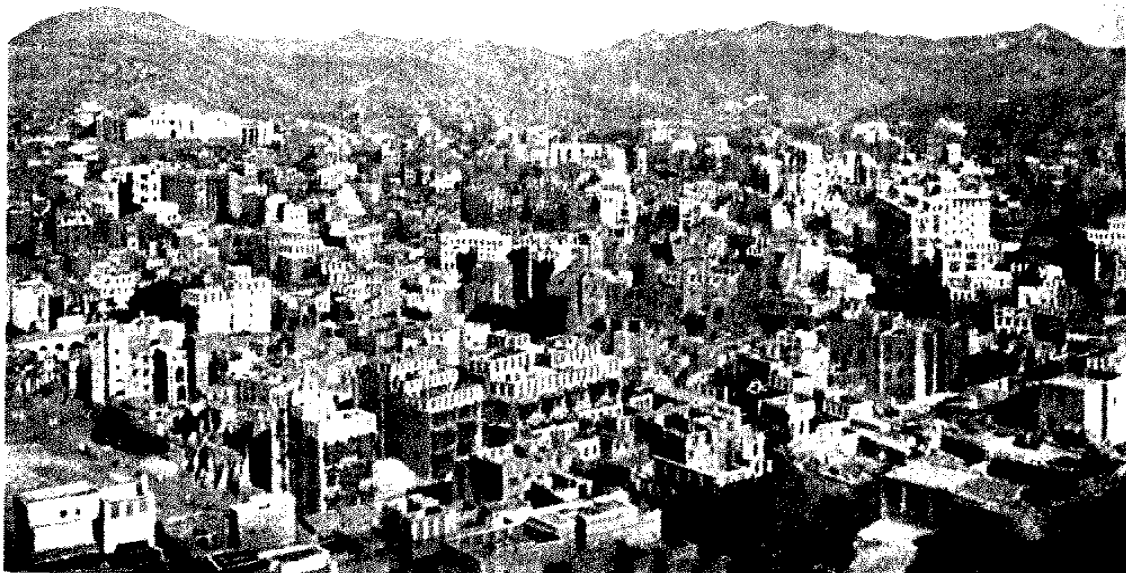
٥٦. Houses of Mecca as seen from the top of Abu-Kobis hills from the East, showing Gar Herak and the Birth Place of the Prophet.

منازل مكة من الشرق والشمال

سجينة ١٨١

مِنْظَرُ مَنَازِلِ مَكَّةَ وَعَارِضَاتِ الشَّيْخَةِ بِجَبَلِ النَّوَى

مِنْظَرُ مَنَازِلِ مَكَّةَ وَعَارِضَاتِ الشَّيْخَةِ بِجَبَلِ النَّوَى



67. The northern and eastern view of the houses of Mecca in 1321.

الكعبة، وبيوت محسن بك وعبد الله بك وأحمد باشا المجازى وكان واليا على الحجاز وهو وائد المرحوم منصور باشا يكن ودار أبي سفيان التي جعلها الرسول عام الفتح مأمنا لمن لحا إليها إذ قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن وهي الآن مستشفى وبها بيت حديجة بنت خويلد أو مولد فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وبها أيضا بيت أبي جهل وهو الآن ميضأة تجاه باب المسجد الحرام المسمى باب النبي عليه السلام .

(٥) الغزوة — فى الشمال الشرقى للمسجد الحرام وبها بيت الإمارة الذى شيده محمد على باشا جد الأسرة الخديوية ثم الملكية ويقوم به الآن شريف مكة عون الرفيق باشا وتراه فى الشمال الشرقى من (الرسم ٦٧) وواضح بالرسم واجهتان منه إحداهما ذات « مشربيات » صنعت صنعا بديعا من الخشب الهندى الأحمر وفيها أيضا مخزن أميرى عام تخزن به الحبوب للحكومة والأهالى وكذلك مخزن كبير للصدقات والحبوب التى ترد من مصر كل عام ومن دونهم منازل لأهل مكة .

(٦) شعب بنى عامر — شمالى الغزوة به مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد عى رضى الله عنه قريبا منه وبيوت لبنى هاشم . وهذه الجهات الشرقية كانت مساكن بنى عبد المطلب فى الجاهلية وفيها الآن كثير من الأشراف أما باقى قريش فكانوا فى الجهة الأخرى من المسجد الحرام خصوصا جهة الشمال انظر (مساكن الجهة الشرقية فى الرسم ٦٦) .

(٧) الشامية — فى شمالى المسجد الحرام مع غربيه وهى شارع تجارى عظيم أشبه بشوارع الموسيقى والتربيع والغورية وخان الخليلى عندنا بمصر ويبيع فيها السبع والأقمشة الهندية والتركية وفصوص الفيروز والياقوت والعقيق الذى يبيعه حجاج اليمن بأثمان رخيصة جدا .

(٨) القرارة - شمالى الشامية وبها منزل الشريف عبد المطلب أمير مكة سابقا وهو البناء الفخم الذى تراه واضحا فى الشمال الشرقى (للرسم ٦٨) وفيه ترى منظرا عاما لبيوت القسم الشمالى وبالقرارة مسجد صغير - زاوية - للجيلانى .

(٩) السليمانية بها النقا والمنحنى والمعابدة والبياضية والمعلاة أى المقبرة - كلها شوارع وجهات فى شمالى المسجد الحرام فوق القرارة والغزة ، والمعابدة محل للصاغة وبيت للشريف غالب أمير مكة سابقا ومسجد الإجابة والراية ومساكن للهنود والحضارم ومحل للخضراوات والمسلى والإبل والأغنام ومساكن « البيشة » وهم عساكر أمير مكة وكذلك بها مساكن قبائل من العربان وفيها معاطن للإبل ومرابض للغنم والبياضية منزل للسيد محمد صالح الشيبى أمين المفتاح وكذلك بستانله ، والمعلاة من زمن بعيد مقبرة أهل مكة وتقدم الكلام عليها مع رسومها .

وفى مكة على الجملة ٦ جوامع كبيرة خلاف المسجد الحرام و ٦٧ مسجداً المشهور منها مسجد الراية بشرق البلد ومسجد الجثن بغربها ومسجدا الإجابة والبيعة شماليها وزاوية السنوسى فى الجنوب الشرقى ، والسنوسى له فى الحجاز شأن كبير ومعظم الأعراب شيعته وكذلك أهل مكة وكثير منهم على طريقة يسمونها الرشيدية وأهلها أتباع الشيخ ابراهيم الرشيدى ، ومنهم الأدرسية أتباع الشيخ أحمد بن إدريس ، والمرغنية وهم شيعة المرغنى المعروف بمصر والسودان وبها محكمة شرعية تحت قبة مجاورة للمسجد الحرام بجهته الشمالية تراها شرقى المذنتين المتقاربتين فى (الرسم ٩١) والقبة التى بينهما على المكتبة السليمانية وترى فى الشمال الغربى قلعة الهندى ، وسيأتى ذكر المكتبة والقلعة قريبا ، وظاهر بالرسم ست مآذن من مآذن المسجد الحرام ، والبناء الفخم الذى فى أعلى الشكل سراى الشريف عبدالله باشا أمير مكة سابقا وقد احترقت . وفى مكة ٦ مدارس للعلوم و ٤٣ مكتبا للصبيان ، وكانت فى سنة ١٣٠٣ - ٣٣ وكان عدد التلاميذ بها ١١٥٠ وأشهر هذه المدارس المدرسة الصولية التى بناها الطيب الأثر الشيخ رحمة الله الهندى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

68. The palace of El Sherif Abdul Mottaleb at El Karara in Mecca.

صاحب كتاب إظهار الحق ، ويدرس فيها القرآن وعلم التجويد وشيء من اللغة العربية والحساب والهندسة وينفق عليها من تبرعات أهل الهند ، ومدرسة أخرى تماثل الأولى أو تزيد عليها . وبمكة مكتبتان صغيرتان الأولى في باب أم هانئ تسمى كتبخانه شروانى زاده محمد رشدى باشا والى الحجاز سابقا وأخرى في باب الدريية قرب باب السلام تسمى بالكتبخانه السليمانية أسسها السلطان عبد المجيد وكونها من شتات كتب المسجد وغيرها مما أرسله إليها من الاستانة ، ولكل مكتبة من هذين فهرس بخط اليد وأمين يقوم بشؤونها ، والكتب التى بهما نحوية وفقهية وأدبية وتاريخية وأكثرها باللغة العربية وفيها شيء بالفارسية والأوردية (الهندية) والتركية والجاوية (لغة الملايو) . وبمكة مستشفى عسكرى وآخر للغرباء - يتى وصفه - وبها ١٧ مصنعا ومدغتان للجلود ومساحتان ومخزان كبيران . وبها قلاع ثلاث تحكم على المدينة ويقم بها عساكر الدولة : أولاها قلعة جياد التى أنشأها فى سنة ١١٩٦ هـ . الشريف سرور بن مساعد أمير مكة بعد أن اشترى م حوطها من البيوت وأنفق فى عمارتها مالا كثيرا ، وقد نقض بعد سنتين كثيرا من بنائها وأعادها متقنا على أحسن شكل كما تراه فى أعلى (الرسم ٦٥) ، وثانيها قلعة الهندى التى بناها الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٢١ هـ . فى الجهة الشمالية وكانت صغيرة وحدث فيها خراب فعمرها ووسعها المشير عثمان نورى باشا شيخ الحرم ووالى الحجاز وقد أحكم بناءها ورتبها فى سنة ١٣٠٠ هـ . زمن السلطان عبد الحميد الثانى ، وثالثها قلعة لعلع التى أنشأها أيضا الشريف غالب أيام محاربة الوهابيين له وهو الذى أقام الأبراج بأطراف مكة . وبمكة حمامان على مثال الحمامات الرومية بمصر . واحد بالعمرة بناه محمد باشا وزير السلطان سليمان سنة ٩٨٠ هـ . والثانى بالفشاشية ويسمونه حمام النبى . وبها ثلاث تكايا : أهمها التكية المصرية أمام باب المسجد الحرام المسمى باب جياد - وسأتى وصفها - وفيها عشرون مسق - سبيلا - وعشرون صهريجا مملوءة بمياه عين زبيدة ، ويختلف طولها وعرضها من ٥ أمتار إلى ١٠ ، والعمق من مترين ونصف إلى ١٣ مترا ، وفم الصهريج سعته ٨٠ سنتيا

ولبعضها فتحتان وثلاث الى ٦ فتحات على خط واحد وتترج المياه منها بواسطة السقائين لذين أكثرهم من العبيد، وبيوت الأمراء أنابيب مائة ذات «حنفيات»، ومكة ١٩ رباطا يؤمى إليها الفقراء، و ٨٠ طاحونة خيل، و ٦٠ تنورا، و ٩٥ قهوة بلدية رصت فيها «التكك» والكرامى التى مقاعدها شباك مصنوعة من الليف أو الخوص المجدول، ويشرب فيها الشاى والقهوة والرجيلة «الشيشة» التى يجهزونها بالتبناك الحمى عادة ويكثرون استعمالها ويضيفون الى البن اليمنى الجبهان والقرنفل والحبة السوداء مما يجعل للقهوة نكهة جميلة، وبها محجر صحى «كورتينا» معطل وصيداية ومتجران كبيران للجوهرات الثمينة، و ١٧ مجيرة «كوشة» لعمل الجير، و ٨ مصانع للنخار، ومخزن كبير للغاز.

ومكة ٣٠٠٠ دكان و ٦٥٠٠ بيت مبنية بالحصص والحجر الأصم ذى اللون الأسود لتخلله نقط حمراء وبيضاء، والبيت يتكون من طبقة الى خمس طبقات وأكثرها نيس به فناء، وأجمل بيوت مكة على الإطلاق بيوت جليس الشريف المسمى (أبو) وبيوت محمد على كاتب الشريف فإنها مبنية على الطراز الحديث من جهة التقسيم والهيئة والزخرف والزينة وهى تضارع بعض البيوت الجميلة بمصر والاسكدرية. وبيوت الأمراء وإن كانت عظيمة إلا أنها على الطراز القديم. ومكة كثير من البساتين الصغيرة والبرك الصناعية ذات الفوارات المائية. وهى نحن أولاء نصف لك بالتفصيل بعض الأماكن الشهيرة كما وعدنا.

مستشفى الغرباء والفقراء — هذا المستشفى بالجهة الشرقية من المسجد الحرام وقد أنشئ فى سنة ١٠٨٦ هـ — كما هو مكتوب عليه — فى زمن السلطان الغازى محمدحان الرابع، وقد زرت هذا المستشفى فى ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣١٨ (١٦ أبريل سنة ١٩٠١) فوجدت به طبيبين يدعى أولهما اسماعيل افندى ثروت طبيبا أول وثانيهما عثمان افندى اسماعيل طبيبا ثانيا ورأيت صيدليا اسمه حسن افندى تحسين والكل مجمل بالثياب

(١) تعداد الأماكن السابقة قلده عن التقويم التركى لبلاد اىجازية سنة ١٣٠٩ هـ. وهو موضوع بمكة بالمضبعة الأميرية.

الجيدة النظيفة، وبه ما يقرب من ٥٠ سريرا وقد مررت بأقسامه فوجدت إهمالا شديدا ولا سيما قسم الأمراض العفنة فالملابس والمفروشات في غاية القذارة تنبعث عنها الروائح الكريهة ولا يصلحها إلا حرقها وقد أعترف الطبيب الذى صاحبنى بذلك وكان يريد عدم مرورى بهذا القسم من شدة عفونته، وقد رأيت كثيرا من المرضى نائما على الألواح قد أشتد به المرض حتى صيره هيكلا عظيما كالحياكل التى نراها بالتصريف العيى، وأن مريضاً هذا حاله لا ينتظر إبلاله من مرضه وهو يتنشق تلك الروائح الخبيثة التى تفتك بالأصحاء فضلا عن المرضى، ولولا وضعى المنديل على أنفى وصغفى عليه لما استطعت المرور، وبغنى أنه قلما يدخل فيها مريض فيشفى، فذ كان ذلك شأنها فاغلافها خير من فتحها، فان الهواء النقى قد يشفى المريض مما أم به . والأدوية تأتى انى هذا المستشفى من الأستانة أما الأغذية والمفروشات فمن ديون مكة المكرمة .

التكية المصرية — هى من الآثار الجليلة ذات الخيرات العميمة وأنها نعمت صدقة جارية لمسديها ثواب جليل وأجر عظيم ، وقد أنشأها ساكن الجدان محمد على باشا رأس الأسرة الحديوية فى سنة ١٢٣٨ هـ . كما هو مسطور بدائر القبة التى بوسط التكية تظل الصنابير « الحنفيات » التى يتوضأ منها الناس والتكية بشارع جاد قيمت مكان دار السعادة التى كانت محل حكومة بنى زيد من الأشراف ، ويرد إليها الفقراء فى الصباح والمساء فتناول الفقير فى كل مرة رغيفين وشيئا من « الشربة » وربما أعطى أكثر من ذلك إن كان فقره مدقعا ، وكثير من نساء مكة وحواريها الفقراء يتعيشن بما يأخذن ويكتفين بذلك عن مسألة الناس ، ويصرف يوميا من الخبز ما يقرب من ٤٠٠ أقة (حاصل ٣ أرادب من القمح) و ١٥٠ أقة من الرز ، وفى يوم الخميس تزد كمية الأرز الى ٤٢٠ أقة ، ويصرف فى هذا اليوم فقط مائة أقة من اللحم ، وفى كل أيام رمضان يكون المرتب كمرتب يوم الخميس ويزيد عليه ٥٠ أقة من الحمص ، ويصرف من السمن ما يكفى لطبخ هذه المقادير ، والفقراء يزداد عددهم حتى يبلغ ٤٠٠٠ شخص وذلك من شهر رمضان حتى آخر ذى الحجة

لورود كثير من الحجاج الفقراء من السودانيين (التكارنة) والمغاربة وغيرهم ثم يتناقص العدد بعد ذلك الى ٤٠٠ تقريبا .

وللتكية ناظر ومعاون وكتبة يقومون جميعا بخدمة الفقراء ، وبها ضحونة يتناوب إدارتها أربعة بغال تطحن القمح . وفيها مطبخ واسع به ثمانية أماكن يوضع عليها أوان ثمان من ذات الحجم الكبير (قزانات) وفيها مخبز ذو بايين يخبز به العيش ومخزن وحجر للمستخدمين انظر التكية (في الرسم ٧٠) وفي مدة الحج يسكنها بعض عمال المحمل كالطبيب والصيدلى وكاتب القسم العسكرى وبعض الضوئية والعكامة والسقائين . ويوضع بها أمتعة الأمير والأمين وبعض الموظفين عند ذهابهم الى عرفات . وفي التكية بيوت أدب وصنابير (حنفيات) ماء ومكان جميل مفروش فى وسطه بركة ماء صناعية (فسقية) ويجلس به أمير الحج وأمين الصرة وكاتب حينما يصرفون المرتبات ، ومكتوب على باب التكية بالخط الثالث الجميل البيتان الآتيان :

عباس مولانا الخديوى فضائل * عليها دليل كل يوم مجدد

رأياه قد أحيا تكية حده . فقلنا أعباس بنى أو محمد

| سنة ١٣١٩ و ١٢٣١ هـ

ولو سمعت الأذعية المتصاعدة من قلوب الفقراء لرب هذه العمة لأكبرت هذا العمل ومسديه ، وأنسقت نفسك الى أمثاله ان كان لديك سعة فى المال وبسطة .

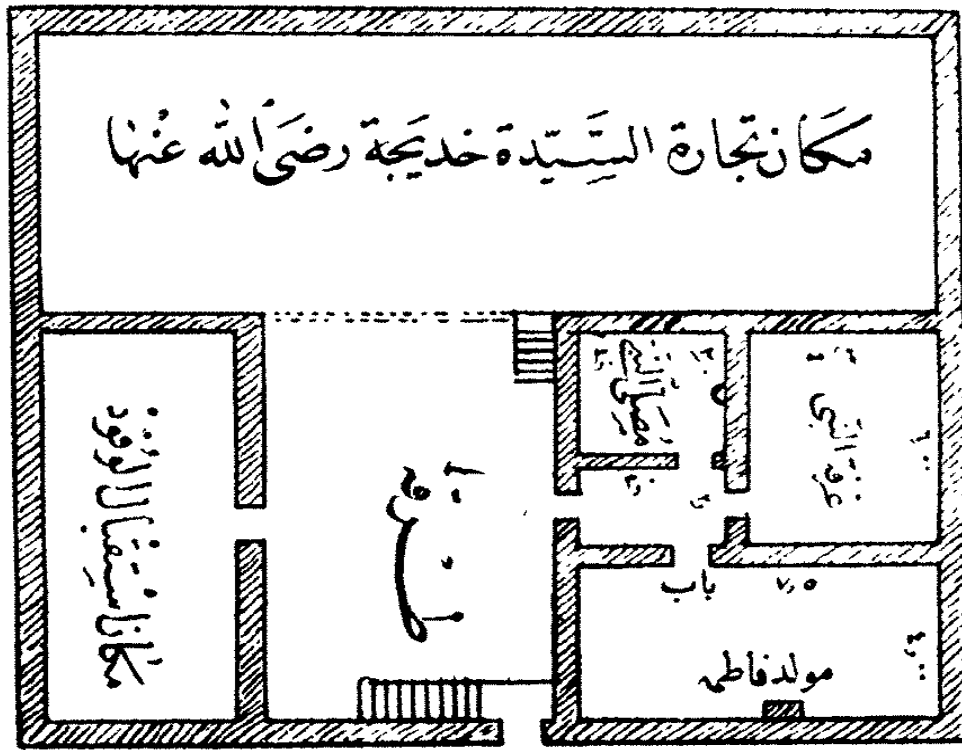
أما التكايا الأخرى فلم أزرها لأنه لا يأوى اليها فقير . وقد سطر بواجهة تكية السيدة فاطمة قوله تعالى *رَبِّهِمْ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا* ، وأنها أنشئت فى سنة ١٠٨٦ هـ . زمن السلطان الغازى محمد خان الرابع كما أسلفنا .

مولد الرسول صلى الله عليه وسلم — مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

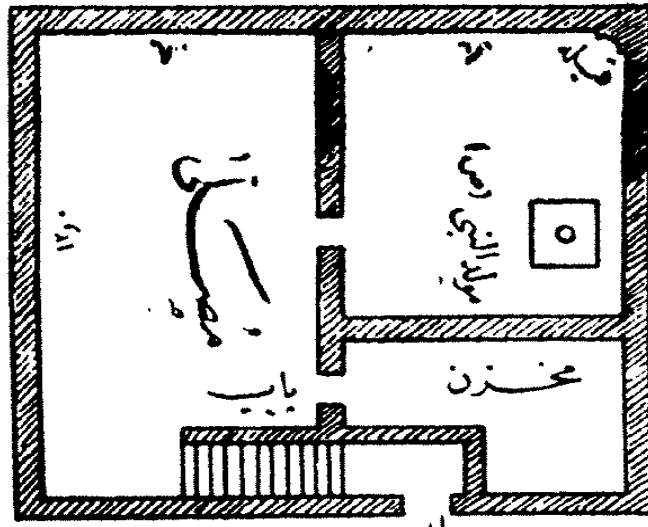
بشعب بنى عامر شرقى مكة وهو مكان قد ارتفع الطريق عنه نحو متر ونصف وينزل اليه بواسطة درج من الحجر يوصل الى باب يفتح الى الشبان يدخل منه الى فناء يبلغ طوله نحو اثنى عشر مترا فى عرض ستة أمتار وفى جدره الأيمن (الغربى)

باب يدخل منه الى قبة في وسطها (يميل الى الحائط الغربى) مقصورة من الخشب داخلها رخامة قد تقعر جوفها لتعيين مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه القبة والفناء الذى خارجها يكونان الدار التى ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم (رحلة البتانونى ص ٥٢ طبعة ثانية)، وجاء فى تاريخ مكة لأبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى المتوفى فى العقد الثانى من المائة الثالثة فى ص ٤٢٢ طبع ألمانيا : أن البيت الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هو فى دار محمد بن يوسف الثقفى أح الحجاج، وكان عقيل بن أبى طالب أخذ من الرسول صلى الله عليه وسلم داره لما هاجر، وفيها يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى عام حجة الوداع لما قيل له : أين تنزل يا رسول الله "وهل ترك لنا عقيل من ظل"؟ ولم تنزل الدار بيد عقيل وولده حتى بعها ولده من محمد بن يوسف الثقفى فأدخالها فى داره التى يقال لها البيضاء وتعرف اليوم بدار ابن يوسف، وبقيت الدار كذلك حتى حجت الخيزران أم الخليفين موسى وهارون سنة ١٧١ هـ . فجعلت دار الرسول مسجدا يصلى فيه وفصلته من دار ابن يوسف وأشرعته فى الرقاق الذى فى أصل تلك الدار ويقال له : زقاق المولد قال أبو الوليد : إنه سمع جده ويوسف بن محمد يثبتان أنه المولد وأنه ذلك البيت لا اختلاف فيه عند أهل مكة اهـ . ولكن جاء فى المواهب اللدنية أنه اختلف فى مكان ولادته صلى الله عليه وسلم فقيل : ولد بمكة فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف الثقفى ، ويقال : بالشعب - شعب بنى هاشم - ويقال : بالردم ، ويقال : بعسفان اهـ . هذا وقد جاء برحلة العياشى (ص ٢٢٥ ج ١) بعد أن ذكر خلاف أهل السير فى مولده صلى الله عليه وسلم ما يأتى : والعجب أنهم عينوا محلا من الدار مقدار مضجع وقالوا له : موضع ولادته صلى الله عليه وسلم ، ويبعد عنى كل البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف لما تقدم من الخلاف فى كونه بمكة أو غيرها وعلى القول بأنه فيها ففى أى شعابها وعلى القول بتعيين هذا الشعب ففى أى الدور، وعلى القول بتعيين الدار، فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار بعد مرور الأزمان والأعصار وانقطاع الآثار والولادة وقعت فى زمن الجاهلية

وايس هناك من يعنى بحفظ الأمكنة ولا سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك ، وبعد مجيء الإسلام قد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف آعتنائهم بتقييد الأماكن التي لم يتعلق بها عمل شرعى لصرفهم آعتنائهم رضوان الله عنهم لما هو أهم من حفظ الشريعة ونذب عنها باللسان واللسان ، وكان ذلك هو السبب في خفاء كثير من الآثار الواقعة في الاسلام من مساجده عليه السلام ومواقع غزواته ومدافن كثير من أصحابه مع وقوع ذلك في المشاعر الجليسة ، فما بالك بما وقع في الجاهلية لا سيما ما لا يكاد يحضره أحد إلا من وقع له كمولد على ومولد عمر ومولد فاطمة رضى الله عن جميعهم . فهذه الأماكن مشهورة عند أهل مكة فيقولون هذا مولد فلان هذا مولد فلان . وفي ذلك من البعد أبعد من تعيين مولده صلى الله عليه وسلم لوقوع كثير من الآيات ليلة مولده صلى الله عليه وسلم فقد يتنبه بعض الناس لذلك بسبب ما ظهر من الآيات وان كانوا أهل جاهلية ، وأما مولد غيره ممن ولد في ذلك العصر فتكاد العادة تقطع بعدم معرفته إلا أن يرد خبر عن صاحب الواقعة بتنبهه أو أحد من أهل بيته اه . كلامه (يلاحظ أن العياشى كتب رحلته في حجته سنة ١٠٥٩ و سنة ١٠٦٤ هـ) . وقد جاء في كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للتنقى الفاسى الذى كتبه في العقد الثانى من المائة التاسعة بعد الهجرة وصف مولد الرسول وقال بعد الوصف : وقد خفى علينا كثير من عمارته والذى علمته من ذلك أن الناصر العباسى عمّره في سنة ٥٧٦ هـ . ثم الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٦٦ هـ . ثم حفيده المجاهد سنة ٧٤٠ هـ . وفي سنة ٧٥٨ هـ . من قبل الأمير شيخون أحد كبار الدولة بمصر ، وفي دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر بإشارة مدير دولته يلبغا الخاسكى سنة ٧٦٦ هـ . وفي آخر سنة ٨٠١ هـ . وفي أول التي بعدها من المال الذى أنفذه الملك الظاهر برقوق صاحب مصر لعمارة المسجد الحرام وغيره بمكة ، وكانت عمارة هذا المولد بعد موته اه . وقد جدد القببة التي على موضع الولادة السلطان سليمان خان سنة ٩٣٥ هـ . وفي سنة ٩٦٣ هـ . أهدى هو أيضا ثلاثة قناديل ذهباً منها اثنان للكعبة والثالث يعلق بالمولد ، وقد علقت بيد الشريف أبى نعى .



رسم نظري تقريبي لبيت السيدة خديجة المشهور بمولد السيدة فاطمة (بمكة)



رسم نظري تقريبي لمولد النبي (ص) اودار عبد الله بن عبد المطلب (بمكة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وفي سنة ١٠٠٩ هـ . أمر السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان بعمارة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبني في أعلاه قبة عظيمة ومنارة ، ووقف عليه وقفا بالديار الرومية ورتب له مؤذنا وخادما وإماما ، وجعل لكل شئ معين يحمل إليه كل عام ، ثم جعلت له السلطنة العثمانية مدرسا يدرس فيه ويتقاضى مرتبا في نظير ذلك أنظر (المثدنة والقبة متجاورتين في وسط الرسم ٦٦ وأنظر الرسم النظري ٧١) .

دار خديجة بنت خويلد أو مولد فاطمة رضی الله عنهما — هذه الدار بزقاق الحجر بمكة ويقال له أيضا : زقاق العطارين على ما ذكره الأزرق وتعرف بمولد فاطمة رضی الله عنها لكونها ولدت فيها هي وإخوتها أولاد خديجة من النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر الأزرق : أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى بخديجة فيها وأنها توفيت فيها ، ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا بها حتى هاجر إلى المدينة وأخذها عقيل بن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجدا يصلى فيه ، ولكن ذكر في موضع آخر أن معتبا بن أبي لهب أخذ بيت خديجة فباعه من معاوية بمائة ألف درهم وهذا يخالف ما ذكره من أن عقيل أخذ بيتها وباعه من معاوية والله أعلم بالصواب ، وهذه الدار الآن قد ارتفع عنها الطريق فينزل إليها بجملته درجات توصل إلى طرفة على يسارها مسطبة مرتفعة عن الأرض بنحو ٣٠ سنتيا ومسطحها نحو عشرة أمتار طولاً في أربعة عرضاً ، وفيها مكتب يقرأ فيه الصبيان القرآن الشريف وعلى يمينها باب ضغير يصعد إليه بدرجتين يدخل منه إلى طرفة ضيقة عرضها نحو مترين ، وفيها ثلاثة أبواب الذي على اليسار لغرفة صغيرة يبلغ مسطحها ثلاثة أمتار طولاً في أقل منها عرضاً ، وهذا المكان كان معداً لعبادته صلى الله عليه وسلم ، وفيه كان ينزل الوحي عليه ، وعلى يمين الداخل إليه مكان منخفض عن الأرض يقال : إنه كان محل وضوئه صلى الله عليه وسلم ، والباب الذي في قبالة الداخل إلى الطرفة يفتح على مكان أوسع يبلغ طوله نحو ستة أمتار في عرض أربعة وهو المكان الذي كان يسكنه النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجته خديجة رضی الله عنها ، أما الباب الذي على اليمين فهو لغرفة مستطيلة عرضها نحو أربعة أمتار في طول

نحو سبعة أمتار ونصف، وفي وسطها مقصورة صغيرة أقيمت على المكان الذى ولدت فيه السيدة فاطمة رضى الله عنها — لا تنس ما أسلفناه فى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم للعايشى — وفي جدار هذه الغرفة الشرقى رف موضوع عليه قطعة من رضى قديمة يقولون: إنها من رضى السيدة فاطمة التى كانت تستعملها فى حياتها، وعلى طول هذا المسكن والطريقة الخارجة والمسطبة من جهة الشمال فضاء مرتفع بنحو متر ونصف يبلغ طوله نحو ستة عشر متراً، وعرضه سبعة أمتار، وأظن أنه المكان الذى كانت السيدة خديجة تخزن فيه تجارتها انظر (الرسم ٧١) . هذا وصف الدار على ما جاء برحلة البتانونى (ص ٥٣) وهو ما شاهدناه ثم قال البتانونى بعد ذلك هذه الدار التى كانت مقراً له صلى الله عليه وسلم ومحل إقامته فى مكة ومبعثه إلى الخلق كافة إذا أنعمت بها نظرك وأمعنت فيها فكرك لا تراها إلا «البساطة» بنفسها، دار تحوى على أربع غرف، ثلاث داخلية منها: واحدة لبناته، والثانية له ولزوجه، والثالثة له ولربه، والرابعة بمعزل عنها له ولعموم الناس؛ بالله ما هذا الترتيب الجميل وما هذا النظام البديع! اه .

وقد جاء فى كتاب شفاء الغرام للقاسى وصفه لدار خديجة عن مشاهدته وهو مخالف للشكل الذى نراها عليه الآن قال: غالب هذه الدار الآن على صفة المسجد لأن فيها رواقاً فيه سبعة عقود على ثمانى أساطين — أعمدة — فى وسط جدره القبلى ثلاثة محاريب وفيه ست وعشرون سلسلة فى صفين وأمامه رواق فيه أربعة عقود على خمس أسطوانات، وبين هذين الرواقين صحن، والرواق الثانى أخصر من الرواق المقدم لأن بقربه بعض المواضع التى يقصدها الناس بالزيارة فى هذه الدار وهى ثلاثة مواضع، الموضع الذى يقال له: مولد فاطمة رضى الله عنها، والموضع الذى يقال له: قبة الوحى وهو ملاصق لمولد فاطمة، والموضع الذى يقال له: المختبأ وهو ملاصق لقبة الوحى، زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبئ فيه من الحجارة التى يرميه بها المشركون والله أعلم بحقيقة ذلك، وذرع الموضع الذى يقال له: المختبأ أربعة أذرع وثلاث ذراع، وذلك من الجدر الذى فيه المحراب إلى الجدر المقابل له وهو طرف جدر

قبة الوحي العرفى هذا ذرعه طولاً، وذرعه عرضاً ثلاثة أذرع وثلاثاً ذراعاً، وذلك من
 الجدر الذى فيه بابه الى الجدر المقابل له، وذرع الموضع الذى يقال له : قبة الوحي
 من الجدر الذى فيه بابه الى الجدر المقابل له ثمانية أذرع وثلاثاً ذراعاً هذا ذرعه طولاً،
 وأما ذرعه عرضاً فثمانية أذرع ونصف بذراع الحديد المقدم ذكره، والموضع الذى
 يقال له مولد وضمة طوله خمسة أذرع إلا ثمن، وعرضه من وسط جدره ثلاثة أذرع
 وثلاثة أثمان الذراع، وفي هذا الموضع موضع صغير يشبه بركة مدورة، وسعتها طولاً
 من داخل الباء نحو ط عليها ذراع وعرضها كذلك، وفي وسطها حجر أسود يقال : أنه
 مسقط رأسه . وذرع الرواق المقدم من هذه الدار من وسط جدره على الأستواء
 ثمانية وثلاثون ذراعاً هذا ذرعه طولاً، وذرعه عرضاً سبعة أذرع وربع، وذرع
 ما بين كل اسطوانتين منه خمسة أذرع وربع، وذرع الرواق المؤخر من هذه الدار من
 جدر قبة الوحي الى الجدر المقابلة له ثلاثة وعشرون ذراعاً، هذا ذرعه طولاً، وذرعه
 عرضاً عشرة أذرع وكان تحرير ما ذكرنا من ذرع المواضع بذراع الحديد (٥٧ ستياً
 تقريباً) كله بحضورى، وعلى باب هذه الدار مكتوب أنها عمرت فى خلافة الناصر
 العباسى وفى زمن الملك الأشرف آبن شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد
 ابن قلاوون صاحب مصر . وفى الرواق المقدم من هذه الدار أن المقتدى العباسى
 أمر بعمله . وعمر بعض هذه الدار فى أول دولة الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر
 بركوق من المال الذى أنقذه أبوه لعامة المسجد الحرام وغيره، ولم يعمر ذلك إلا بعد
 موته فى آخر سنة إحدى وثمانمائة أو فى التى بعدها، ومما عمر فى هذا التاريخ من هذه
 الدار الموضع المعروف بقبة الوحي بعد سقوطه، وباعنى أن القبة الساقطة كانت
 من عمارة الملك مظفر صاحب اليمن رحمهم الله تعالى، وإلى جانب هذه الدار
 حوش كبير عرى بابه حجر مكتوب فيه : إن هذا الموضع مر به مولد فاطمة رضى الله
 عنها، وأن الناصر العباسى عمره ووقفه على مصالح دار خديجة التى إلى جانبه . اه .
 وهذا الوصف فى العقد الثانى من المائة التاسعة بعد الهجرة . هذا وتجد مكتوباً
 بالحروف البارزة على لوح من الرخام وضع فى حائط الطرقة الخارجية على يسار الداخل

ما يأتي (بسم الله الرحمن الرحيم أمر، بعمارة مرشد مولد الزهراء البتول فاطمة سيدة نساء العالمين بنت الرسول محمد المصطفى المختار صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيدنا ومولانا الإمام المفترض للطاعة على الخلق أجمعين الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف أقداره وجعل منافعه ومستغلاته وأجره عائدا على مصاحبه ثم على مصالح هذا المقام الشريف المقدس الطاهر النبوي على ما يرى الناظر المتولى له في ذلك من الحظ الوافر والمصلحة لهذا المرشد والمولد المقدس المذكور بعد ذلك آبتغاء وجه الله تعالى وطلبا لثواب الدار الآخرة، تقبل الله ذلك منه وجره عليه أجر المحسنين، وذلك على يد العبد الفقير الى رحمة الله تعالى على بن أبي البركات الدوراني الانباري في سنة أربع وستمائة، ومن غير ذلك أو بدله عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين إلى يوم الدين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين) وقد عمر الدار السلطان سليمان في سنة ٩٣٥ هـ . وفي هذه الدار صفيحة من حجارة مبنى عيها في جدر البيت الذي كان يسكنه النبي صلى الله عليه وسلم، وقد آتخذ أمام الصفيحة مسجدا، وهذه الصفيحة مرتفعة في الجدر عن الأرض قدر ما يجلس تحنها الرجل . وذرعها ذراع في ذراع وشبر، ويقولون: إن هذه الصفيحة كان يستتر بها الرسول من الحجارة التي ترمى عليه من دار أبي لهب ودار عدى بن الحمراء، ولكن هذا لم يسمع من ثقة، وأصح ما انتهى إليه الخبر أن أهل مكة كانوا يتخذون في بيوتهم صفائح من حجارة تكون شبه الرفاف يوضع عليها المتاع والشئ من الصيني والداجن يكون في البيت، فقل بيت يخلو من تلك الرفاف فالصفيحة التي في دار خديجة من هذا القبيل (ص ٤٢٣ أزرقي) .

دار الأرقم الشهيرة بدار الخيزران — هذه الدار في زقاق على يسار الصاعد إلى الصفا وبابها يفتح إلى الشرق ويدخل منه إلى فسحة سماوية طولها نحو ثمانية أمتار في عرض أربعة وعلى يسارها « إيوان » مسقوف على عرض نحو ثلاثة أمتار، وفي وسط الحائط التي على يمينها باب يدخل منه إلى غرفة طولها ثمانية أمتار في عرض نحو نصف ذلك مفروشة بالحصير، وفي زاويتها الشرقية الجنوبية حجران من الصوان

أحدهما فوق الآخر مكتوب في أعلاهما بالحرف البارز : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ هذا مختبأ رسول الله ودار الخيزران وفيها مبتدأ الإسلام ، أمر بتجديده الفقير الى مولاه أمين الملك مصلح آبتغاء ثواب الله ورسوله ولا يضيع أجر المحسنين) ومكتوب في الثاني بسم الله الرحمن الرحيم : (هذا مختبأ رسول الله المعروف بدار الخيزران أمر بعمله وإنشائه العبد الفقير لرحمة الله تعالى جمال الدين شرف الاسلام أبو جعفر محمد بن علي ابن أبي منصور الأصفهاني وزير الشام والموصل الطالب الوصول الى الله تعالى الراجي لرحمته أطال الله في الطاعة بقاءه وأناله في الدارين مناه في سنة خمس وخمسين وخمسمائة) « رحلة البتانوني ص ٥٥ » . وقد جاء في شفاء الغرام للفاسي : أن طول المسجد (الجزيرة التي على اليمين) الذي في هذه الدار ثمانية أذرع لإلا قيراطين ، وعرضه سبعة أذرع وثلاث وأنه مكتوب فيه ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبَّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ : هذا مختبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الخيزران وفيه مبتدأ الإسلام أمر بتجديده الفقيرة الى الله مولاة أمير الملك مفلح سنة ست وذهب بقية التاريخ (فتجد فرقا في هذه العبارة والعبارة السابقة ، وقال بعد ذلك : وعمره أيضا الوزير الجواد ، وعمرته مجاورة يقال لها : مرة العصمة ، وعمره أيضا في سنة ٨٢١ هـ . والذي أمر بهذه العبارة ما عرفته . والمتولى لصرف النفقة فيها علاء الدين علي بن ناصر محمد بن الصارم المعروف بالقائد . اهـ .

ودار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي كان يجتمع فيها المسلمون سرا يتعلمون الدين ويقيمون الشعائر حتى أسلم عمر رضي الله عنه وعز به الاسلام وجهر المسلمون بدينهم ، وكان إسلام عمر بدار الأرقم : وها نحن أولاء ننقل اليك عن سيرة ابن هشام قصة إسلامه لما فيها من العبر والمواعظ قال ابن اسحاق : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم بعلمها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر ، وكان يعيم بن عبد الله النعام قد أسلم وكان يخفي إسلامه فرقا - خوفا - من قومه ، وكان خباب بن الأرت

يختلف — يذهب — الى فاطمة بنت الخطاب يقرؤها القرآن ، نخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكر له أنهم اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبدالمطلب وأبو بكر بن أبي خافة الصديق وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين رضى الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة، فلقبه نعيم بن عبد الله فقال له : أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد مجدا هذا الصابي الذي فرق أمر قريش وسفقه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله ، فقال له نعيم : والله لقد غررتك نفسك من نفسك يا عمر! أتري بنى عبدمناف تاركك تمشى على الأرض وقد قتلت مجدا أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال : وأى أهل بيتي؟ قال : ختنك^(١) وأبن عمك سعيد بن زيد ابن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فتمد والله أسلما وتابعا مجدا على دينه فعليك بهما ، قال : فرجع عمر : تامدا الى أخته وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرؤها إياها ، فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أوفى بعض البيت ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت نخذها ، وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عايبا فلما دخل قال : ما هذه الهينة التي سمعت؟ قال له : ما سمعت شيئا ، قال : بلى ! والله لقد أخبرت أنكما تابعتما مجدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضر بها فشجها ، فلما فعل ذلك ، قالت له أخته وختنه : نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لأخته : أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أننا أنظر ما هذا الذي جاء به مجد وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ، قال : لاتخافى وحلف لها بأخته ليردنها اذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه فقالت له : يا أختي إنك نجس على شركك وإنه لا يمسها إلا الطاهر ، فقام عمر فأغتسل فأعطته الصحيفة وفيها

(١) اختر محرقة : الصهر وكل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

(طه) فقرأها، فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه! فلما سمع ذلك خباب نرج اليه فقال له يا عمر: والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر ابن الخطاب فإله الله يا عمر: فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على عهد حتى آتية فأسلم، فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا - بيت الأرقم - معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمّد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا بالسيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله: هذا عمر بن الخطاب متوشحا بالسيف، فقال حمزة ابن عبد المطلب: فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن كان يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إئذن له، فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالمجرة فأخذ يُحجّزته - حجة الإزار معقده - أو يجمع رداه ثم جبذه جبذة شديدة - جذبته - وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة، فقال عمر: يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبتأجيل من عند الله، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سمينعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم؛ فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر بن الخطاب حين أسلم . اه .

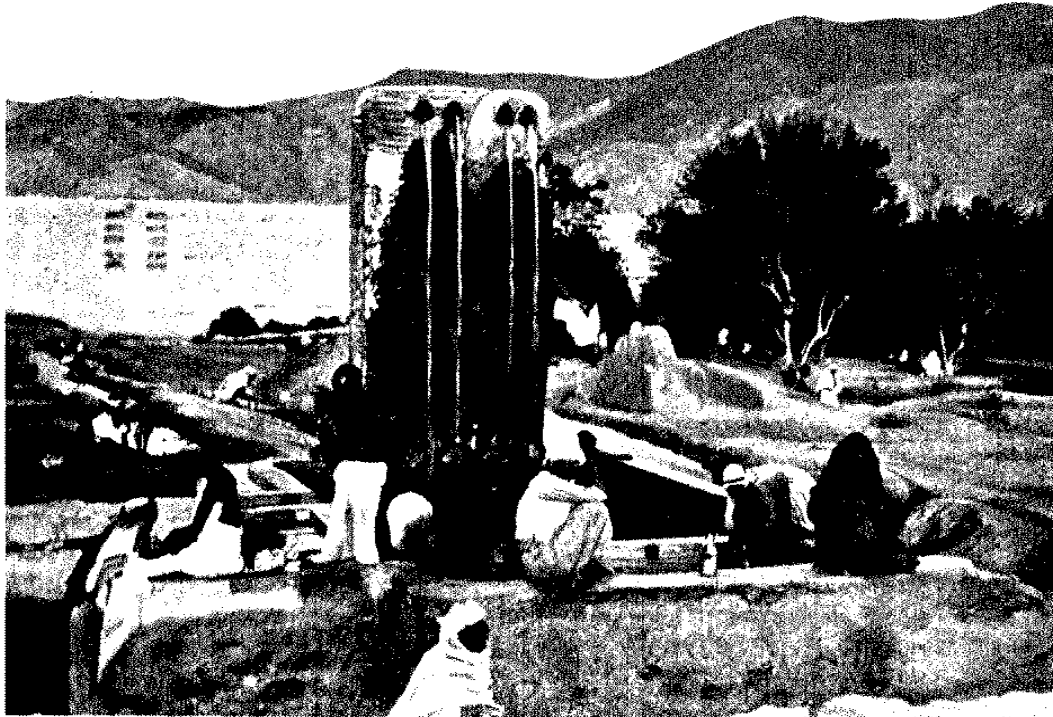
بستان دولة شريف مكة - هو حديقة غناء بجهة جرجول مستطيلة الشكل طول ضلعها البحري ٢٧٠ مترا، والغربي ١٨٠ مترا وارتفاع سورها المحيط بها متران، وفي وسطها خزان للساء مربع الشكل طول ضلعه ٦١ مترا، وسماك حائطه من الأعلى ثلاثة أمتار وربع، وارتفاعه أربعة أمتار، وهو مبني بالجمر الأزرق وجدره من

الداخل والخارج مخصصة بالجير المخلوط بسحوق الآجر، ويصعد إليه من الجهة الشمالية أولا على أربع درجات ثم بعدها ١٦ درجة عن اليمين ومثلها عن اليسار، فله سلمان بعد الأربعة الأولى، وفي آخر السلم درجة كبيرة في مستوى أعلى الخزان والسلم مصنوع من حجر متين زادته الصنعة رونقا وجمالا وفي زوايا الخزان الأربع من الداخل درج منتظم على شكل ربع الدائرة، كل زاوية فيها ١٤ درجة طول العليا منها متر والسفلى ستة أمتار ونصف، وهذا الدرج للتزول منه الى قاع الخزان، وفي منتصف كل جدار من جدار الخزان بحذاء الأرض فتحتان ارتفاع كل فتحة ثلاثة أرباع المتر في عرض نصفه وذلك لتصريف المياه منها الى البستان، وهذا الخزان الكبير لا مثل له في الأقطار الحجازية لهذا عنيينا بوصفه . وبالستان أيضا خزانان بينهما أربعة أمتار ارتفاع كل منهما ستة أمتار وبأعلى كل منهما فتحتان تقذفان المياه الى بركة يشرب منها الناس ويغسلون أو انيهم وثيابهم ويغتسلون منها، وترى الماء حين نزوله أبيض اللون يمثل قطعاً فضية تلاحق رميها، وإنه لمنظر جميل في بلاد قفرة قلت فيها المياه .

والمزروع من أرض البستان نحو الربع، وفيه شجر الجوافة والجوز الهندي والبرتقال والليمون والنخيل والعنب والورد والبرسيم الحجازي والكرب والكرات والباذنجان والطماطم الى غير ذلك، ولا يفوتنا ذكر ما فيه من شجر الكادي الذي يستخرج منه عطر الكادي ذو الرائحة الجميلة، وشكل الشجرة كالصبارة إلا أن طولها يفوق المترين ولها جذوع كثيرة ضاربة في الأرض، وورقها عريض أشبه بسعف النخل من جانبها العريض وله شوك كثير .

وقد أذن لنا دولة الشريف بدخوله والأستظلال بشجر، في ساعات القيلولة، وكان معسكرنا بمحذائه وشدت طنب بعض الخيام بجداره . وقد تناولنا من الجوافة التي كانت به وقت لبثنا بمكة : انظر (الرسم ٧٢) وترى فيه الناس وهم يأخذون المياه ويغتسلون، وقد بلغنى أخيراً أن هذا البستان محي أثره بعد وفاة منشئه الشريف عون

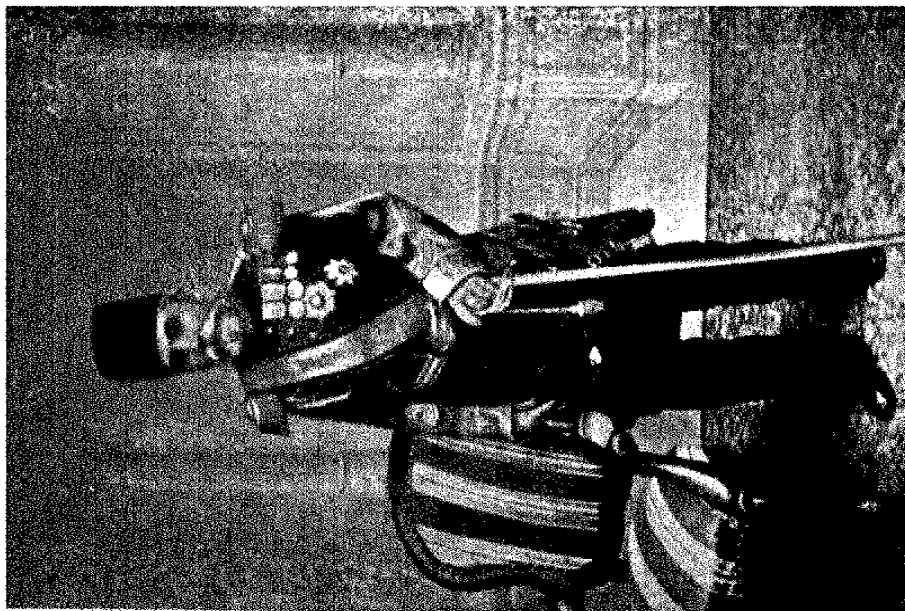
صديقه الشريف عون الرفيق وبها منحد مياها من عين زبيده



72. The garden of El Sherif Oun El Rafik with a water-fall from the well of Zobeidah.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعل في هذه البقعة من بلادنا حيازا من حيازيها
والتي هي عين زبيده التي هي عين زبيده التي هي عين زبيده

الجنينة من القادسيه



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي جعل في هذه البقعة من بلادنا حيازا من حيازيها
والتي هي عين زبيده التي هي عين زبيده التي هي عين زبيده

73. El Moshir Osman Pash Noury, the Wali of El Hejaz

الرفيق باشا فتتحقق بذلك المشل "الجزاء من جنس العمل" وذلك أن والى مكة العادل المشير عثمان نوري باشا كان قد أنشأ بالقرب من معسكر المحمل بستانا بهجة للناظرين فيه من الأشجار أجملها ومن الثمار أطيبها وأباحه لأهل مكة يتزهون فيه ويستظلون بوارف ظله ، وكان أول ما أنشئ بمكة من متزهات ، فإ كان من الشريف إلا أن سعى به لدى الخليفة فعزله ، وأمر بإزالة البستان الذى أنشأه وأنفق عليه الآف الجنيهات .

تأثير السيول فى مباني مكة — إن مكة فى واد تحف به الجبال فإذا هطلت الأمطار بشدة تجمت فى الأودية بسرعة وهرعت الى مكة فكوتت فى كثير من أماكنها بجيرات ترى البيوت فيها أشبه بالجزر ، وإذا علمت أن المسجد الحرام وطى عن الشوارع بنحو ثلاثة أمتار أدركت أنه عند طغيان السيول يتحول الى بحيرة بعيدة الغور ، لذلك تنبغى العناية بتأسيس البيوت حتى لا يجرفها السيل أو يأتى عليها من قواعدها ، وللسيول بمكة حوادث غريبة دعنا الى أن نسطرك بعضها .

ففى زمن جرهم أيام كانوا ولاية البيت جاء سيل جارف هدم الكعبة فبنته جرهم على قواعد اسماعيل ، وكان البانى رجلا أزديا يدعى أبا الجارود .

(١) ول أمر الحجاز لأول مرة سنة ١٢٩٩ هـ . وهو رجل ذكى شهم سياسى تحيل فى القبض على الشريف عبد المطلب الذى هم بانخروج على الدولة فعزلته من إمارة مكة وولت مكانه عون الرفيق باشا وقد وشى هذا بعثمان نوري باشا لما أن غل يده عن المكوس والمظالم التى كان يتقاضاها من العربان والحجاج ، فعزل بالوشاية بعد خمس سنوات وعين واليا على اليمن ثم أعيد الى ولاية الحجاز وقد أصلح مجرى عين زبيدة وعمل فيها صنابير (حنفيات أو بازانات) وهو الذى أنشأ ديوان الحميدية ودار البريد والتحكيات العسكرية بمكة وجدة وأنشأ سورينبع ، وقد أنشأ الحديقة المذكورة فى ولايته الثانية ولم يكن موضعها مقبرة وإنما كان فضاء واسعا ، ولما آمتلأت نفس عون منه خرج الى المدينة فى جمع من علماء مكة وأشرفاها وضم إليه علماء المدينة وأشرفاها وكتبوا الى السلطان يطعنون فى الوالى وأنه يكره الأشراف ويسبهم ويهينهم ويحتقرهم وإنه حوّل مقبرة المسلمين الى متزه ، فإ كان من السلطان إلا أن عزل العادل المصلح ، وكان خليقا بأمر المؤمنين أن يتبين فى قول الشريف كما أمر الله فى كتابه وأن لا يحكم على منهم إلا بعد استجوابه وأستماع قوله .

(أنظر الوالى فى الرسم ٧٣)

وفي زمن خزاعة جاء سيل عظيم دخل المسجد الحرام وأحاط بالكعبة ورمى بالشجر وجاء برجل وامرأة ميتين، فعرفت المرأة وكانت بأعلى مكة يقال لها : قارة وسمى السيل باسمها ولم يعرف الرجل، فبنت خزاعة بناء حول البيت أداروه وأدخلوا الحجر فيه ليحصنوا البيت فلم يزل ذلك البناء الى زمن قريش .

وفي سنة ٥٨٠ هـ . نزل سيل عظيم دفعة واحدة ذهب ببعض الحجاج وبأمتعتهم وكان يحمل الإبل عليها الأحمال والرجال والنساء ودخل المسجد فأحاط بالكعبة وبلغ الركن وهدم بيوتا كثيرة انقضت على كثيرين فأماتتهم، فرق الناس الجبال واعتصموا بها وسمى ذلك السيل « سيل الجحاف » وفيه يقول عبد الله بن عمارة
لم ترعيني مثل يوم الاثنين * أكثر محزوننا وأبكى للعين
اذ نخرج المخبيات يسعين * شواردا الى الجبال يرقين

وفي سنة ١٠٤ هـ . وقع سيل يقال له : الخبل لأنه أصاب الناس بعده مثل الجبال من مرض حدث بهم عقبه في أجسامهم وألسنتهم، وكذلك حصل سيل آخر في هذه السنة .

وفي سنة ٢٠٨ هـ . حدث سيل عظيم أحاط بالكعبة وبلغ الباب والحجر الأسود وهدم أكثر من ألف دار ومات به أكثر من ألف ملاً المسجد والوادي بالطين والبطحاء وذهب بصناديق الباعة فألقى بها في المسفلة ، وفي ذلك كتب عبيد الله ابن الحسن الى المأمون يستنجد به : « يا أمير المؤمنين إن أهل حرم الله تعالى وجيران بيته وألوف مسجده وعمرة بلاده قد استجاروا بعز معروفك من سيل تراكت جرياته في هدم البنيان وقتل الرجال والنسوان واجتياح الأموال وجرف الأثقال حتى ما ترك طارفا ولا تالدا للراجع اليها في مطعم ولا ملبس فقد شغلهم طلب الغذاء عن الاستراحة الى البكاء على الأمهات والأولاد والآباء والأجداد، فأجرهم يا أمير المؤمنين بعطفك عليهم وإحسانك اليهم تجدد الله مكافئك عنهم ومثيبك تلى الشكر منهم » فوجه المأمون اليهم الأموال الكثيرة وكتب اليه (أما بعد ، فقد وصلت شكيتك لأهل حرم الله الى

أمير المؤمنين فبكاهم بعين رحمة وأنجدهم بصيب نعمته وهو متبع لما أسلف إليهم بما يخلفه عليهم عاجلا وأجلا ان أذن الله في تثبيت نيته على عزيمته) فكان كتابه أسر لأهل مكة مما بعث إليهم .

وفي سنة ٢٥٣ هـ . دخل مكة سيل عظيم أحاط بالكعبة وقارب الحجر الأسود وهدم دورا كثيرة وملا المسجد غُثَاءً حتى جرف بالعجلات .

وفي سنة ٣٤٩ هـ . لما برز الحج قافلا جاءهم سيل فأخذهم عن آخرهم وألقى بهم في البحر وما أتى مصر منهم أحد نسأل الله العافية .

وكذلك حدثت سيول في سني ٥٥٩ و ٥٧٣ و ٦٥٠ و ٦٦٩

وفي سنة ٧٣٣ هـ . في آخر ذي الحجة وقعت أمطار وصواعق منها صاعقة على أبي قبيس قتلت رجلا ، وثانية بالخييف قتلت رجلين ، وثالثة بالجرانة قتلت رجلين أيضا .

وفي سنة ٧٣٨ هـ . وقعت سيول جاء معظمها من وادي إبراهيم ودخلت المسجد ومات على العتبة قدر شبرين ، ودخل المطر قناديل المطاف وهدم ما يربو على ٨٠٠ دار وغرق ناس ومات آخرون تحت الأنقاض .

وفي سنة ٧٥٠ هـ . نزل مطر وصاعقة وريح سوداء أوقعت جميع الأعمدة المتجددة حول المطاف التي جتدها فارس المدين في سنة ٧٤٩ هـ . ولم يبق منها إلا عمودان .

وفي سنة ٨٠٢ هـ . نزل سيل كأفواه القرب جعل في مكة بحرا زائرا وملا المسجد الحرام حتى كان عمقه خمسة أذرع ودخل الكعبة من شق بابها وأسقط عمودين بها عليهما وهدم دورا كثيرة ومات به نحو ٦٠ شخصا ما بين غرق وهدم .

وفي سنة ٨٢٥ هـ . وقع مطر عظيم صحبته صاعقة أماتت أربعة أشخاص .

وكذلك حصلت سيول في سني ٩٧١ و ٩٨٣ و ١٠٢١ و ١٠٢٤ و ١٠٣٣

وفي سنة ١٠٣٩ هـ . نزل مطر شديد أمات نحو ١٠٠٠ شخص في يوم وليلة ودخل المسجد الحرام وبلغ طوق القناديل وأسقط الجانب الشامي من الكعبة بوجهه

وأخذ معه من الجدار الشرقي الى الباب، ومن الغربي من الوجهين نحو السدس ودخل بيوتا فأخرج منها الأمتعة وذهب بها الى المسفلة .

وفي سنة ١٠٧٣ هـ . نزل مطر شديد وصل من المسجد الحرام الى القناديل .

وفي سنة ١٠٩١ هـ . أمطرت السماء مطرا لم يشاهد مثله نخرّب أكثر البيوت خصوصا ما كان بسوق الليل والمسفلة والأطراف المنحدرة، ودخل المسجد الحرام وبلغ الى نصف الكعبه، وكان ذلك اليوم يوم خروج الحج المصري ففرق المسافرين، ومن غريب الاتفاق أن حمل السيل جملا محملا ودخل به الى الحرم فلم يزل السيل يدفعه - وقد انقطع حمله - حتى رقى على منبر الخطيب ولم يزل به الى الصبح من اليوم الثاني وقد أترخ بعضهم هذا السيل بقوله (طنى الماء) .

وفي سنة ١٠٩٣ هـ . عملت في المسفلة (أسفل مكة) قناة عظيمة لتصرف

السيل الى بركة ماجن .

وفي يوم السبت ٢١ ذى الحجة من سنة ١٣٢٥ (٢٥ يناير سنة ١٩٠٨) في حجتي

الرابعة نزل مطر شديد وجرى السيل من كل جهات مكة بشكل لم يسبق له مثل منذ ٣٣ سنة على ما بلغنى، وكان السيل أشبه بماء النيل المنحدر وكان عرضه وهو ينحدر من جبال جباد نحو ٥٠ مترا وسمعنا دوى صاعقة يجياد مثلت صوت جملة من المدافع الضخمة أطلقت في لحظة واحدة، وقد ملأ الشوارع حتى كان عمقه في شارع وادى ابراهيم مترين تقريبا، ولذلك دخل المسجد الحرام من أبوابه وانقطع المرور من الطرق إلا بالسباحة، وكنت ترى الشقادف ورجال الإبل سابحة في الماء وتسمع دويا للماء كأنك أمام القناطر الخيرية وقد فتحت عيونها وتجد الناس في (الرسم ٧٤) وقد خرجوا من المسجد الحرام من باب الرحمة يستعدون لاجتياز هذه المياه وقد كشفوا عن سوقهم ورفعوا ثيابهم الى ركبهم ودون ذلك وأكثر.

سكان مكة — قال تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمِّنًا ﴾ وقال ﴿ سَوَاءَ أَلَمَّا كَفِ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾^(٢) لهذا هرع المسلمون من أقطارهم المختلفة الى الاقامة بمكة المكرمة احتفاء بحرم الله وابتغاء لفضل الله ورضوانه وقصد التجارة للدنيا والآخرة. وذلك من يوم أن انشر الاسلام في أطراف المعمورة الى يومنا هذا .

وقد كان من أثر ذلك أن كان المكيون من أجناس مختلفة وأمم متباينة ؛ فمنهم المكي الصميم ، ومنهم أعراب البوادي الذين توطنوا مكة يمينين وحضرميين وحجازيين ونجديين ، ومنهم الهنود والجاوة والبخاريون والأفغان والأعجم والشوام والأتراك والمصريون والسودانيون والمغاربة وكثير غيرهم من الأمم الاسلامية ، ولما كان للغربة والهجرة أثر كبير في الجّد والنشاط كان معظم التجارة بأيدي الأعراب ، فالأشياء الثمينة والبيوت التجارية العظيمة بأيدي أولئك .

قال صديقنا الفاضل لبيب بك البتانوني في رحلته : ومن اختلاط هذه الأجناس بعضهم ببعض بالمصاهرة أو المعاشرة صار سواد أهل مكة خليطا في خَلْقِهِمْ وَخُلُقِهِمْ . فتراهم قد جمعوا الى طبائعهم وداعة الأناضولى وعظمة التركى وأستكانة الجاوى وكبرياء الفارسى ولين المصرى وصلابة الشركسى وسكون الصينى وحادّة المغربى وبساطة الهندى ومكرايمنى وحركة السورى وكسل الزنجى واون الحبشى ، بل تراهم جمعوا بين رقة الحضارة وقشف البداوة ، فبينما ترى الرجل منهم قد آنسك برقة حديثه معك وضعت بين يديك إذ هو قد استوحش منك وأغلظ في كلامه حتى كأن طبيعة البداوة تغلبت فيه على طبيعة الحضارة فلم يطق ما تكلفه في حضرتك . .

وقد وصل هذا الخلط الى أزيائهم التي تراها مجموعة مختلطة من أزياء البلاد الاسلامية : عمامة هندية وقفطان مصرى وجبة شامية ومنطقة تركية فيها خنجر تراه على الخصوص في حزام الأشراف مفضضا أو مذهبا بشكل جميل جدا ، وكثيرا

(١) مكانا يثوب الناس إليه ويرجعون .

(٢) المقيم والطارى .

ما يكون مرصعا بالأحجار الكريمة، وقد ترى الصانع الفقير يلبس القميص وعلى طوقه الوشي المشغول بالحرير وعلى رجل سراويله شئ يشبه « الركامه » وهو حافى القدم غير أنك لا تلاحظ هذا في طبقة الأشراف التي ترفعت عن هذا الخليط فلم يؤثر فيهم الغريب ولم يتغلب عليهم خلق جديد ، بل أخلاقهم أخلاق عربية بحتة هي التي ورثوها عن آبائهم السالفين .

ثم قال : والذي يؤسف له أن هذا الخلط وصل الى لغتهم فتراهم يتكلمون في الأكثر بلغة يكثر فيها الحشو من كلمات عربية مشوهة أو فارسية أو تركية وهم يتنون المضاف فيقولون : في هذا حق فلان مثلا : هذا حق فلان مع ابدال القاف جيا مصرية ، ومنهم من يمد الحرف المنون فيقول « هذا حقون فلان » أو يؤنث لفظه فيقول « حقة فلان » ولا يحذفون النون من الفعل في صيغة الأمر للجمع فيقولون : « هيا صلون المغرب واركبون » بدل صلوا وأركبوا ويستعملون الترخيم في غير المنادى فيقولون : « قم لعينا » أى قم لعندنا ويقولون : في الإبل « اليل » بكسر الباء وفي الجبل « البَل » بفتحها ويقولون كيناً أى كلنا (خلصنا) ويقولون : « وصابتي » في وامصيتي ، وألن في اليمن ، ومما يكثر سماعه منهم قولهم : « دحين » في هذا الحين و « إزهم فلان » في ادع فلانا ، ويعبرون عن الرجل بلفظ « زلمة » ويجمعون الرجل على « أوادم » ويقولون « زكته » أى فكره أو نبهه وقل كذا أى اعمل كذا ويقولون « أبيض » للاستحسان و « سنع » في اصنع أو أتقن و « أتجمعص » في اجلس و « فصّخ حذاك » أى اخلع نعالك ، ويقولون : « مشلح » للعباءة ، و « شاية » للقبطان ، و « امرح » : آجر ، و « الوذن » للفدان من الأرض ، و « الصمادة » للكوفية ، و « زكن عليه » أى أكد عليه ، و « زل » بمعنى صر ، و « آندر » بمعنى أخرج ، و « إلاً » بمعنى نعم ، ويسمون الأولاد « البزورة » فيقولون : بزورة فلان أو بزران فلان أى أولاده ، ويستعملون لفظة « هرّج » في معنى كلم فيقولون : ما هرّجته أى ما كلمته ، ويستعملون لفظ « صاقن » التركية للتنبيه والاحتراس

و « قريوز » للبطيخ الخ ، وهذا كله مع كثرة أغلاطهم وعدم مراعاة قواعد العربية في النطق والكتابة .

وما كان ينبغي بأم البلاد العربية أن تكون لغة أهلها على هذه الشاكلة ، وكان جديرا بها أن تكون موئل العربية الفصحى ومنهلها العذب كما كانت كذلك في أيام الجاهلية وصدر الاسلام ، ولكنه الالهال يذهب بالمجد التليد والعز القديم . وأكثر أهل مكة يعرف التركية ومن المطوفين من يتكلم بلغات مخصوصة كالهندية والأوردية — هندية أيضا — والجاوية والعينية والفارسية وأهل البادية لغتهم عربية بحتة ، ولكن لا تكاد تفهمها ولكل قوم لهجة خاصة ، فمنهم من يقلب القاف زايا فيقول « زربة » في قرية ، ومنهم من يقلب الكاف سينا فيقول « سواسب » في كواكب و « سبد » في كبد الخ .

وسكان مكة يزيدون على ١٢٠ ألفا كلهم مسلمون إذ قد حرم الاسلام أن يقربها مشرك ، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ^(٢) فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنِ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ فلم يسكنها مشرك من ذلك العام ، وذلك ليكون مبعث الاسلام ومشرقه الأمل بمنجى ممن يدسون للمسلمين الدسائس ويشيرون الفتن ، بل مازال عمر في خلافته يحد حتى طهر جزيرة العرب ممن يدين بغير الاسلام فكانت للمسلمين حصنا حصينا وحرزا منيعا خلا من مثرات الفتن وأهل الأهواء والريب .

عادات المكيين — جاء في رحلة صديقنا لبيب بك أن من عادات أشرف مكة أن يرسلوا أولادهم وهم في نعومة أظفارهم الى البادية وخصوصا الى قبيلة عدوان التي في شرق الطائف وهي قريبة من سعد التي أرضع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فينشئون فيها على البداوة التامة مع الأمية الصرفة حتى اذا ترعرعوا عادوا الى مكة وقد تعلموا بعض لغات القبائل وحفظوا من أشعارهم وأخذوا من عاداتهم وأخلاقهم التي من أحسنها الفروسية والحرية في القول والفعل .

ومن عادة الشريف أن يجلس للحكم في دار الإمارة كل يوم من الساعة الخامسة نهارا الى قبيل العصر فتعرض عليه المسائل العامة .

ومن عاداته أن يستقبل صباح الجمعة في دار الإمارة الوالى وكبار الموظفين والأشراف والوجوه .

ومن عادات المكيين التائق في الماكل والمشرب واللباس وتكثر في لباسهم الألوان الزاهية خصوصا الأخضر والأحمر والأزرق والوردى ، وترى في مساكنهم كثيرا من أدوات الزخرف والزينة والرياش الثمينة ولاسيما البسط العجمية النادرة المثال .

ومن عاداتهم تقديم الشاي في أى وقت تحية للقادم عليهم وإقامة المآدب في حفلة يسمونها قيلةً ويتفخرون بكثرة صنوف الطعام ، وليس لأطعمتهم نظام مخصوص ، فمنها : الهندى والمغربى والشامى والتركى والمصرى ويقعد المدعوون في هذه الولايم على سماط يمد على الأرض ويقدم اليهم الطعام لونا فلونا ، وبعد ذلك يجلسون للسمر أو سماع بعض الأغاني وآلات الطرب كالعود والقانون والرباب ثم ينصرفون وفي الأكثر تكون هذه الحفلات في ضواحي مكة كالزاهر والشهداء ، وهناك يبيكون اليها ويقضون يومهم في سرور وألعاب رياضية كالمسابقة بالجرى أو لعب الكرة أو الزرد أو الشطرنج .

ولأهل كل حارة من حارات مكة وليمة يقيمونها للشريف كل سنة في أحد متزهاتهم خارج البلد ، فيحضر مع خاصته في موكبه ويتناولون الطعام وتقام الألعاب حتى آخر النهار وبعد فترة من الليل يعود في موكبه الى مكة .

ومن عاداتهم أن يتناولوا الطعام مرتين في اليوم في الضحوة وبعد صلاة العصر ، ويتظاهرون بالكرم والشجاعة خصوصا في شهر رمضان وقد كانوا يفطرون في المسجد الحرام بعد صلاة المغرب فيمتدون الموائد هناك ولكن أبطل عون الرفيق باشا هذه العادة لما يتبعها من تقدير المسجد وقد أمرنا بنظافة المساجد وتعطيرها ، ومن عادة كثير منهم شرط وجنات الصبيان ثلاث شرطات في كل وجنة .

ونسائهم يدخن بالترجيلة (الشيشة) ويفشو بينهن الزار ويخرجن الى الأسواق بملاءات واسعة سوداوات في الأكثر وبرقع كثيف فيه ثقبان صغيران في محاذة العينين ، وفي أقدامهن خفاف ضخمة أغلبها ذو لون أصفر .

ومن عاداتهم في عرسهم أن يدعوا الأهل والأصدقاء رجالا ونساء ويجلس الرجال خارج البيت في المكان المعتاد لهم ، ويمتد لهم في العشاء سباط طويل يجلسون عليه جميعا مرة واحدة فيأكلون وينصرفون . أما النساء فيدخلن البيت فيجدن على باب القاعة التي يجلسن فيها قصعة كبيرة مملوءة بمعجون الحناء ، فتصبغ المرأة منها إحدى يديها ثم تدخل الى قاعة الجلوس و بعد السلام تجلس مع الجالسات يتجاذبن أطراف الحديث حتى منتصف الليل ، واذ ذاك يزفن العروس الى بعلها ثم يعدن الى بيوتهن بعد أن يطوقن عنقها بعقود من زهر الفل أو ثمر التفاح وهو في قدر البندق .

ومن عاداتهم في مآتمهم أنه حينما تفيض الروح الى بارئها تصرخ امرأة من أقرب الناس اليه صرخة أو صرختين إعلاما بالمصيبة ، فيتوارد اليها النساء فيجدن قصعة على باب القاعة التي يجلسن فيها ملئت بمعجون الحناء فيخضبن منها إحدى اليدين ثم يدخلن القاعة معزيات صاحبة المصيبة ثم يجلسن ويأخذن في الأحاديث المختلفة ثم ينصرفن والميت يأخذه بعض أقاربه الى محل يسمى الشرشوره يغسل فيه ثم يسرعون به الى المقبرة ، ويدفنونه بدون احتفال كبير ثم يتوارد الرجال على أهله معزين ثم ينصرفون لوقتهم .

ومن عاداتهم أنهم يعملون حفلة كبيرة عند ختم أولادهم للقرآن ، فيسيرون بهم في موكب يقطع طرق مكة . ويحتفلون في منتصف شهر صفر بمولد السيدة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عند مدفنها بسرف (الرسم ٧٥) على مسير ثلاث ساعات من مكة على طريق المدينة ، فينصبون خيامهم في تلك الصحراء ويتناخرون بكثرة الطعام والشراب . ويحتفلون بمولد النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول ويعبرون عن المولد بالحول فيقولون حول النبي وحول ميمونة ، ومما تعودوه الاصطياف

في الطائف وفي جبل الهدة فوق جبال كرا، لطيب هوائهما وكثرة بسايتينهما ويرتفع الطائف عن بحر جدة ١٥٤٥ مترا ويرتفع الهدة عنه ١٧٥٨ مترا والكرا ٨٢٢ مترا^(١) وأشهر مصيف في الطائف يسمى شبرا وهو لأشراف ذوى عون، أنشأه الشريف عبد الله باشا وسماه باسم شبرا مصر ثم حدائق المثناة وهي لذوى غالب وهي أحسن حدائق الطائف ومشهورة بنخوخها وعنبها، وماؤها أعذب مياه تلك الجهة .

جو مكة — جوها جاف وحر وتختلف درجة الحرارة في بعض الشهور عن بعض ، ففي يناير تكون ١٨° وفي فبراير ٢٠° وفي مارس ٢٣° وفي أبريل ٢٤° وفي مايو ٢٧° وفي يونيو ٢٩° وكذلك في يولييه وفي أغسطس ٣٠° وفي سبتمبر ٢٨° وفي أكتوبر ٢٥° وفي نوفمبر ٢٤° وفي ديسمبر ٢٠° ، هذا هو الجو الاعتيادى وقد تصل الحرارة الى ٣٩^(٢) ، والأمطار بها قليلة وقد تتحدر اليها سيول عظيمة تحوّل مكة الى بحيرات وتأتى من الأمطار التي تنزل بالجبال المطيفة بالطائف ، وقد وصفنا لك سابقا السيل الذي كان في سنة ١٣٢٥ هـ . والرياح في مكة مختلفة المهاب فتارة تهب من الشمال وأخرى من الغرب وثالثة من الجنوب ورابعة من الشرق ، ومذشأ ذلك أن الجبال تطيف بمكة والهواء يعمل فيما بينها شبه دوامات الماء فتأتى الرياح من جميع الجهات وألطف الأهوية عندهم ماجاء من جهة البحر الأحمر، ثم من جهة الشام، أما ما يهب من الشرق أو الجنوب فخار .

تجارة مكة — أكثر الأشياء التي يتجر بها في هذا البلد يأتى من الخارج : كالבصرة ومصر وبومباى واليمن والشام وغيرها ، وأكثر التجار من الأجانب الذين سكنوا مكة ، ومن الأصناف التي يتجرون فيها العطريات والسيح والسجاجيد والأنسجة الحريرية الهندية والشامية وأنواع الحللى وتأتى اليها الخضراوات والفواكه كالعنب والموز والجوز والسفرجل وغيرها من جهة الطائف ومن بركة ماجن التي تبعد

(١) دليل الحج لصادق باشا ولكن في «سلطنة» — تقويم — الحجاز أن ارتفاع الطائف ١٧٧٥ متر

(٢) سلطنة ١٣٠٥ ص ١٤٩

عن مكة مسير نصف ساعة وكذلك من مزارع جنوبي جبل ثور تبعد عن مكة مسير ساعتين وتأتي أيضا من بساتين وادي فاطمة على بعد خمس ساعات، ومن سولة ووادي الليمون على بعد أربع عشرة ساعة من مكة، وأهم سوق للخضراوات واللحوم السوق الصغير غربى المسجد الحرام أمام باب إبراهيم، والمجوهرات والأشياء الثمينة في سوق الشامية، واوازم الحجاج في سوق الليل شرقى المسجد الحرام. وهالك جدولا بالنقود المستعملة في مكة وجدة وقيمتها بالقروش العثمانية في زمن الحج وبعده نقلناه عن رحلة المرحوم محمد صادق باشا .

أسماء العملة	من بعد الحج	وقت الحج	أسماء العملة	من بعد الحج	وقت الحج
الريال الشيكوا	٢٨	٢٩	الجنيه المصرى	١٦٩	١٧١
« المجيدى	٢٦	٢٨	« الانجليزى	١٦٨	١٧٠
الروبية	١٣	١٣	« العثمانى	١٤٨	١٥١
القرش	٥	—	البنس	١٢٨	١٣٣
القرش المصرى	١ ¼	—	الريال طاعة	٢٨	٢٨ ¼

وأكثر النقود استعمالا النقود العثمانية وغيرها أكثر ما يتعامل به في أوان الحج

بحسب قيمته .

مياه الشرب في مكة — قدمنا لك نبذة عن الصهاريج في مكة ولم نين إذ ذاك موارد مياهها وهانحن نشبع الكلام في ذلك إشباعا ونقفك على سر من أسرار القدر وعمل من أجل الأعمال ربما شق مثله في عصرنا عصر الاختراعات والتقدم الباهر في الصناعات، ولكنها الهمم لا يقف دونها شيء ولا يصدها عن تنفيذ عزماتها صاد ولا سيما اذا صفت النية وخلصت السريرة، فاستمع وفقك الله لخير العمل وأبره، في طريق الطائف على بعد نحو أربعين كيلومترا من مكة جبال تسمى جبال الثقبه تنبع من عندها عين تسير في قناة بنيت لها من منبعها حتى عرفة فالمزدلفة فنى مكة، وهذه العين تعرف بعين زبيدة، وهذه القناة عرضها من الأعلى متروقد تزيد، وفراغها.

من ٥٠ الى ٦٠ سنتيمترا، وعمقها متر ونصفه، وارتفاع الماء في قاعها ٧٠ سنتيمترا وقد يزيد وقد ينقص وهي مغطاة بأبنية الحجارة، وبالغطاء فتحات لأخذ الماء منها، عرضها ستون سنتيمترا وتنقص أو تزيد، والفتحات يتباعد بعضها عن بعض بمسافات مختلفة حسب الحاجة، ويجانب الفتحات أحواض لشرب الآدميين وأخرى لشرب الحيوان، وسطح القناة تارة يكون مساويا لسطح الأرض وتارة يرتفع عنها وقد يصل الارتفاع الى ٧ أمتار، وتارة تسير في تخوم الأرض على مقربة من سطحها أو أبعد، ومن هذه القناة تأخذ كل صحاريح مكة فيشرب أهلها عذبا فراتا، وهذه القناة تدور في سفح جبل عرفات من ثلاث جهات كما ترى ذلك بخريطة عرفة (رسم ٧٨)، وفيها هنالك فتحات كثيرة بين الفتحة وأختها ٤,٥٥ أمتار، وعرض الفتحة ٦٨ سنتيا في عرض ٨٠، وقد يزيد الطول والعرض على ذلك الى متر، وعمق القناة ١,٣٢ متر، وعرضها ١,٤٦ متر من الأعلى، ويصعد الى الفتحات بسلام قد تصل درجات السلم الى ١٥، وعلو الدرجة من ٢٥ سنتيا الى ٣٥ سنتيا، وعرضها ٣٠ سنتيا وهذا المقاس إنما كان في المجرى جنوبى جبل الرحمة فقط، وهذه الحياض ترمم وتنظف كل سنة قبل موسم الحج بقليل. ومما لاحظته أن هذه الحياض بعرفة دون حاجة الجحيج ودوابهم، فان الجحيج زادوا على ١٥٠٠٠٠ شخص، ومعهم من الحيوان ما لا يقل عن ٣٠٠٠٠ حيوان، فترى الناس في زحام شديد على هذه الحياض، وليس هناك جند يقى بعضهم صدمات بعض أو يقدمهم الى الأحواض بنظام، وبسبب هذا التراحم نتقدر المياه حتى لا تصلح لشرب الحيوان فضلا عن الانسان، وبسببه أيضا يعمد الناس الى أخذ المياه من الفتحات التي في المجرى والتي يصعد اليها الناس بسلم ذى أربع عشرة درجة، وهنالك يتوضأون أو يغتسلون من نفس المجرى أو ينظفون ثيابهم وأوعيتهم فيقذرون المياه ولو من أرجلهم على الأقل. ولولا جريان الماء لكان من ذلك أضرار محققة بصحة الحجاج.

وكان خليقا بالحكومة أن تنظف الحيطان وتجدد ماءها كل يوم من أيام عرفة التي لا تعدو الأربعة وتقيم بجانبها حراسا ينظمون حركة الشاربين ويحفظون المياه

من الأقدار، وأن دولة الشريف والوالى يصحبهما بعرفة الحراس الكثيرون فما عليهما لو جعلوا من أولئك حراسا على الحياض؟ ولا يكلفهم ذلك فتيلًا ولا تقيرا، بل ماذا عليهما لو أقاما جنودا في ميدان عرفة الفسيح يحافظون على الأمن ويضربون على أيدي اللصوص الذين تفاقم شرهم يتربصون غرة من الحاج ليسلبوه ماله ومتاعه؟ بل مما يضمن راحة الحجاج في ذلك الميدان أن يقسم الى شوارع وحوارات يوضع عليها أعلام، فان الحجاج كثيرا ما يضلون خيامهم لسعة الميدان فانه ميلان في ميلين تقريبا وذلك لا يكاف الحكومة إلا تخطيط الأرض ووضع أسماء الجهات بالخط العريض على رؤوس الشوارع وإنه لأمر يسير .

ومما لاحظته أن ليس هناك بيوت خلاء فترى الناس يقضون الحاجة في الفضاء متدانيين ومتباعدين فتنصاعد الروائح الكريهة، فلو أقيمت بيوت أدب على مبعدة من الخيام وأنضاف الى ذلك العناية بالماء لكان الناس في صحة وهناء، ومن الحسن جدا أن تغطى الحياض بغطاء من الصاج ويجعل فيها صنابير « حنفيات » فبذلك يجنب الماء القذر ولا يغيره طول المكث، وكذلك ينبغى أن يجعل للفتحات التي في مجرى العين أغطية حتى تمنع عن العين الأتربة وآستقاء الناس وتطهرهم منها وغسل ثيابهم وأوانيهم، وإن ما تنفقه الحكومة في تنظيف الحياض وترميمها في سنتين ليكنفى عمل الأغطية والصنابير فيوفر عليها النفقات الطائلة التي تنفقهها كل سنة .

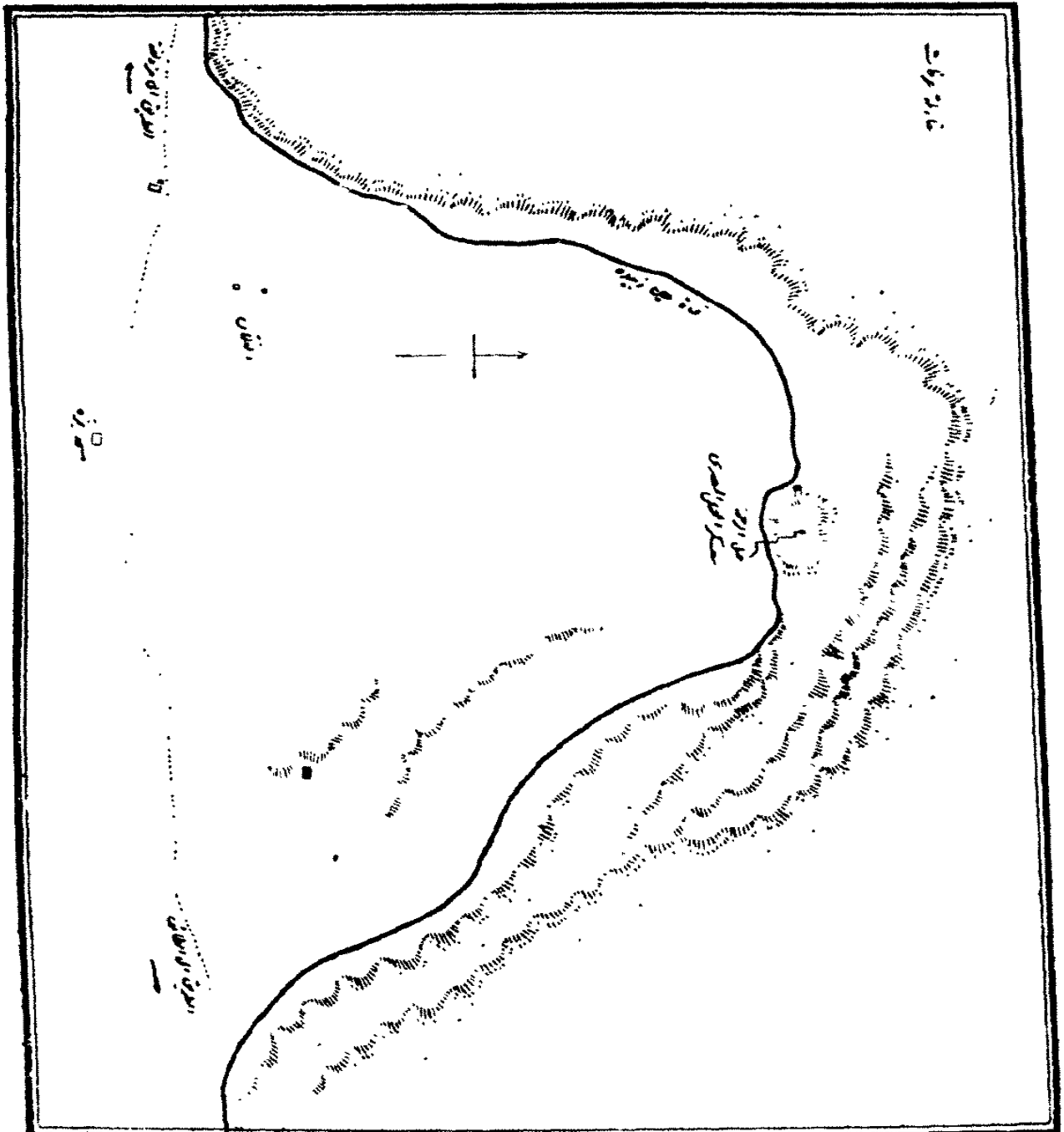
أهمية عين زبيدة — وبما أن عين زبيدة تعتبر كنهر يجرى على مسافة ٤ كيلومترا يستقى منه سكان البلد الحرام والحجيج الوافدون من جميع الأقطار بل وينبتون به المزروعات وينحطون منه البساتين، كان من الواجب علينا أن نقدم بين يديك نبذة تاريخية عن عين زبيدة خاصة والمياه بمكة عامة، ومنها تعرف أن الاسلام أمتزج حبه بلحوم المسلمين ودمائهم وأنه تأصل في نفوسهم وازع الخيرات والرحمة يَقُطَّان الوادى المبارك كما تعرف أن الحج لم يفرضه الله عبثا — تعالى عن ذلك علوا كبيرا — ولكن أنقذ به أمة في صحراء جرداء ومكن به الروابط بين المسلمين في جميع الاقطار : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ .

المياه في مكة وضواحيها وتاريخها — كان أهل مكة فيما سلف يشربون من الآبار التي بداخل البلدة وخارجها، فلما كانت خلافة معاوية أجرى إلى مكة عيوناً عشرة في قنوات عملها لذلك؛ ولما حج عبد الله بن عامر جمع العيون وصرفها في عين واحدة واتخذ حياضاً بميدان عرفة أجرى إليها ماء العين فبقى الناس في راحة من جهة الماء بمكة وعرفة، وفي آخر دولة بني أمية — ١٣٢ — تخربت العيون التي كانت تمد العين الكبيرة فانقطعت المياه عن أهل مكة وأصابهم كما أصاب الحجاج من جراء ذلك جهد شديد حتى كانت القرية تباع بعشرة دراهم — ٢٥ قرشاً مصرياً — وأكثر، ورجع الناس إلى مياه الآبار كما بدءوا واستمروا على ذلك إلى خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣) فأمر بإصلاح ما تخرب من العيون، ولكن ما لبثت أن تقطع ماؤها وأصاب الناس من جراء ذلك شدة شديدة؛ فلما بلغ ذلك أم جعفر زبيدة زوجة هارون الرشيد وكانت رغبة في الأعمال الخيرية أمرت بإجراء عين حنين — عين زبيدة — إلى مكة بعد أن استأذنت في ذلك أمير المؤمنين، ومنبع هذه العين في ذيل جبل شاهق يقال له «طاد» بين جبال سود عاليات تسمى جبال (الثقبة) في طريق الطائف من مكة، وكانت عين حنين يسقى بها نخل ومزارع للناس إليها ينتهي جريان الماء وكانت تسمى هذه البقعة حائط حنين وهو موضع غزاة فيه النبي صلى الله عليه وسلم غزوة حنين، فاشترت زبيدة هذه الأراضي وأبطلت ما فيها من النخيل والمزارع وبنت للماء قناة يجري فيها شقت لها الجبال وجعلت لها شحاحيد (بركا) في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند هطول الأمطار، وجعلت فيها قناة متصلة إلى مجرى هذه العين فصارت كل شحاذ عينا يساعد عين حنين، وهي سبعة تصب فيها ومياهها تارة تزداد وتارة تنقص حسب الأمطار التي تنزل على أمهات تلك الشحاحيد، ولا زالت تمد تلك القناة حتى وصلت بها إلى مكة؛ وكذلك أمرت بإجراء عين وادي النعمان إلى عرفة وهي عين منبعها في ذيل جبل كرا وهو جبل شامخ صعب المرتقى، من أسفله إلى أعلاه مسيرة نصف يوم وبعده أرض الطائف، وتتحد المياه من ذيل الجبل في قناة إلى

موضع يقال له «الأوجر» بوادي النعمان ثم يجري منه الماء الى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات فيه مزارع وفي ذلك يقول القائل :

أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

ثم أجرى الماء في قنوات الى عرفات فاتصلت عين النعمان بها ثم أديرت القنوات في سفح جبل عرفات كما تراه في الخريطة (نمرة ٧٨) وجعل منها طرق



(الخريطة نمرة ٧٨)

الى البرك التي بارض عرفات فتمتلئ ماء يشرب منه المجحاج يوم عرفة ثم سير بالقناة نحو الشمال وعلى بعد ١٣٧٨ مترا عمل بازان - بئر في الأرض قاعه مجرى العين وينزل اليه بدرج ، وقد يكون عميقا وقد يكون قريب الغور حسب بعد القناة عن سطح الأرض أو قربها وهذه البئر تعمل ليستقي منها الناس - اسمه « فقير الذئب الأعلى » وعلى بعد ٤٠٥ متر من هذا البازان بازان « فقير الذئب الثاني » ثم تتعطف القناة نحو الغرب داخله في وادي المغمس وتنتهي الى « حوض البقر » على بعد ١٤٢٠ مترا من البازان الثاني ، وفي هذا الحوض ٢٥ خرزة ثم تسير في باطن الجبل الى موضع يقال له « الخاصرة » بقربه أراض زراعية يقال لها الهمدانية ، ثم ترجع منه يمينا الى « بازان الحقابة » الذي على يمين الآتي من عرفات ، ثم تتوجه يمينا الى « بازان المعترضة » وبعد ذلك تسير القناة في سفح المأزمين على يسار القادم من عرفات ، ثم تسير الى مزدلفة وتتوجه منها في وادي النار وفيه عند رأس جبل على يسار الذهاب الى مكة بازان يقال له « فم الوبر » ومنه يكون المجرى متعلقا في الجبل الى « المنفجر » خلف منى ، وعنده أقيم الآن على المجرى آلة بخارية (ما كينة) عند الريع (المكان العالي) الذي يرداه أهل منى وهذه الآلة ترفع المياه من المجرى وتوصلها في أنابيب حديدية الى أحواض بمنى أنشئت أخيرا في عهد صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الأول والمجحاج يستقون من هذه الأحواض . (انظر الرسم ٧٩) الذي إذا تأملته رأيت فيه المجرى والأنابيب ، ثم يتوجه المجرى منحدرًا خلف جبل منى الى فتحات موازية لمدرج منى بجانبها مسجد وحوض لسقيا الدواب يسمى « حوض البقر الثاني » ومنه تسير القناة تحت الأرض الى بئر عظيمة طويت بأحجار كبيرة جدًا تسمى « بئر زبيدة » اليها تنتهي القناة ؛ وهي من الأبنية العظيمة (انظر مجرى عين زبيدة في الرسم ٨٠) ولعله كان في العزم توصيل تلك القناة الى مكة لتختلط بمجرى عين حنين ، ولكن حال دون ذلك ما لا نعلمه ؛ والمسافة بين هذه البئر وبين المنبع ٣٣٠٠٠ متر (رحلة صادق باشا ص ٦١) وبينها وبين منى مسيرة ساعة ركوبا ؛ ومن هذه البئر يشرب الآن الشريف والوالى وموظفو المحملين وسراة المجحاج بواسطة نقل الماء في قرب على ظهور الحيوانات .



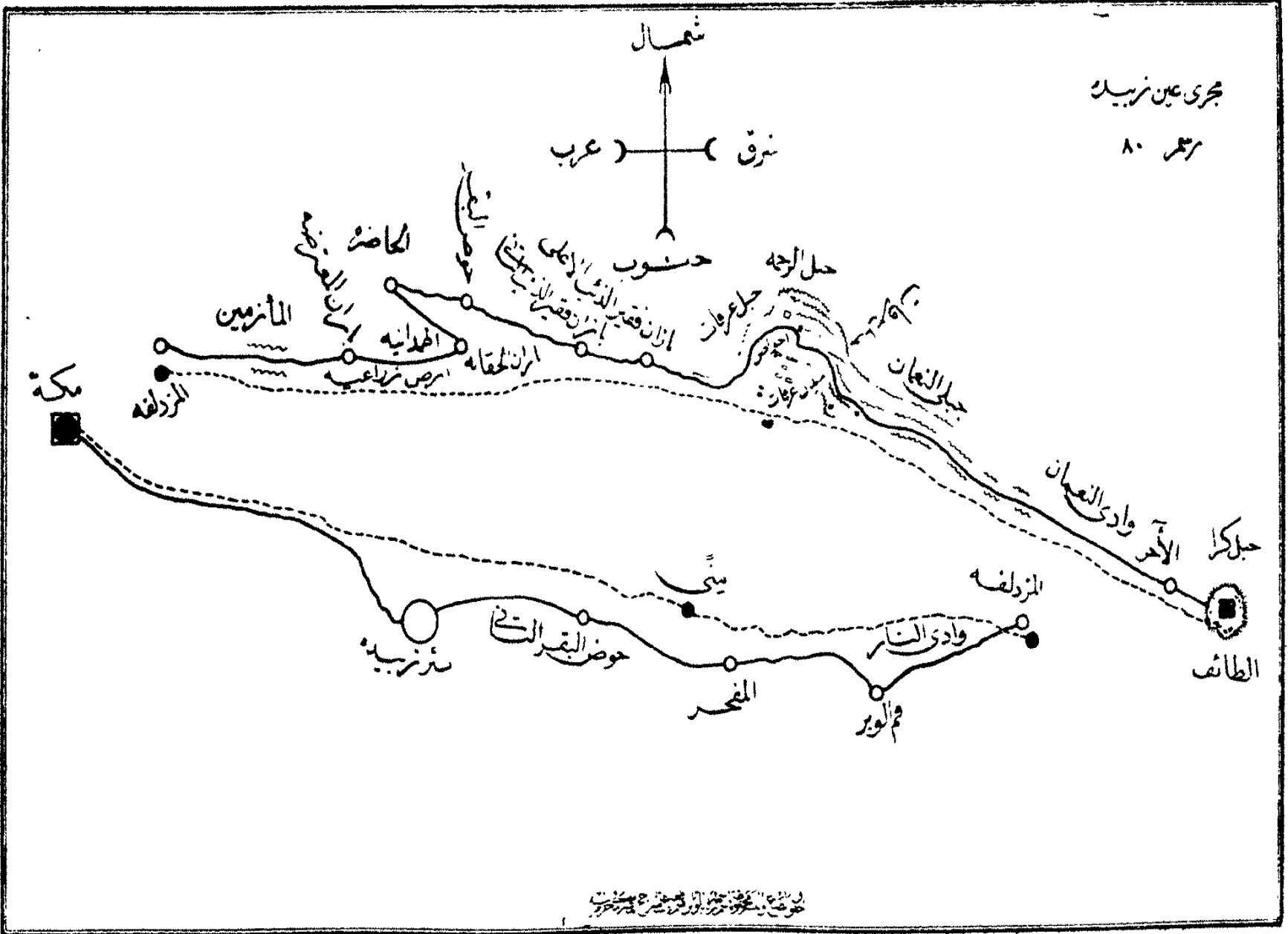
76. Pilgrims on Mount Arafat where a cistern of water from the well of Zobeida is found.



79. A water engine in El Matgar, behind a hill at Mina, to supply the pilgrims with water by means of pipes

مجرى عين زبيدة

٨٠ متر



(الخريطة نمرة ٨٠)

مجرى عين زبيدة

وصارت عين نعمان خاصة بعرفة ومنى في ذلك الزمن ، وقد أنفقت زبيدة على ذلك العمل ١٧٠٠٠٠٠ دينار أو مثقال من الذهب ، ويروى أنه لما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأحضروا دفاترهم لأجل الحساب ليبرئوا ذمتهم ويخرجوا من عهدة ما تسلموه من الخزينة لهذا العمل ، وكانت زبيدة ساعة ذلك في قصر عال مطل على الدجلة فأمرت بالدفاتر يلقى بها في الدجلة وقالت : (تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقى عنده شيء من بقية المال فهو له ومن بقى له عندنا شيء أعطيناها) وألبستهم الخلع الثمينة — شكرا لله لها سعيها ورحمها الرحمة الواسعة —

ثم أخذت عين مكة ينقطع ماؤها لقللة الأمطار وتهدم بعض من قنواتها وطغيان السيول عليها ، فأمر صالح بن العباس في سنة ٢١٠ هـ . أن تتخذ لها جملة برك في نواحي مكة تصل إليها مياهها ، ويذهب الفائض الى بركة ماجن أسفل مكة ؛ وقد كان الخلفاء والسلاطين كلما بلغهم حدوث خراب في هذه العيون أو قنواتها يرسلون من يعمرها ، ومن أولئك جعفر بن المعتصم (المتوكل على الله) أرسل مائة ألف دينار ذهباً الى مكة لاجراء ماء عين عرفات إليها ، وكان ذلك لما أن حصلت زلازل في سنة ٢٤١ هـ . غارت منها عيون مكة ، ومنهم إبراهيم بن خلكان عمّر عين زبيدة في سنة ٥٠٠ هـ . وقد وجدت في لوحة يجبل الرحمة على يمين الصاعد اليه هذه الكتابة : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى إمام الله ظل مولانا الإمام الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره ؛ أمر الإمام الاصفهتيلار الكبير نصير الدين بن زين الدين صاحب اربل — ولم أعرف ما بعد ذلك — سنة ٥٠٠ هـ . لأبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين أعز الله تعالى ببقائه الإسلام » .

ووجدت لوحة أخرى تدل على عمارة لأبي العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين سنة ٥٨٤ هـ . ونصها : « بسم الله الرحمن الرحيم أمر سيدنا ومولانا الإمام خليفة الله على كافة أهل الإسلام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره لعمارة عين عرفة والمصانع لحجاج بيت الله الحرام ،

أجزل الله ثوابه آمين ، وذلك على يد الأمير الأصفهتيلار الكبير مجير الدين أمير الحاج والحرمين طاستكين نصر أمير المؤمنين أدام الله توفيقه ، وذلك في سنة أربع وثمانين وخمسةائة .

وهناك لوحة ثالثة تدل على عمارة لأمير المؤمنين السابق وفيها « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله ، أمر بعمارة عين عرفة والمصانع التي بها ملتفة مولانا أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره وبلغه سؤله ومناه وأمله ومبتغاه في سلالة الطاهرة وعترته الزاهرة أمير الأمراء الأجل السيد الاصفهتيلار الكبير مظفر الدين بكيرى بن على صاحب اربل سيف أمير المؤمنين أيد الله سلطانه وأعلى أبدا شأنه سنة ٥٩٤ هـ . تقبل الله عن يد عبد الرحمن بن أبي جرمى عفا الله عنه . »

ورأيت لوحة رابعة فيها ما في اللوحة السابقة بالتاريخ عينه . والمستنصر العباسي عمر عين عرفات في سنة ٥٦٢٥ هـ . وفي سنة ٥٦٢٧ هـ . وفي سنة ٥٦٣٣ هـ . وبجبل الرحمة كتابة تدل على تعمير المستنصر العباسي ها كها [بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ] شرع لعمارة هذه البركة لوجه الله تعالى وأضيافه المباهي هم الملائكة صلى الله تعالى ورجاء عفوهم زِيَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وبالاربل الأشرف النبوي الامامى المستنصرى زاده الله تعالى شرفا ، وقد شاده حالالا المطوع بعمارة عين عرفة والبرك التي بها مائة بعد عطلها خرابا عشرين سنة ، المولى الأمير الكبير السيد المؤيد المظفر المجاهد شرف الدين جلال الدولة عميد الخلافة المعظم محيي الإمامة المكرمة ملك الملك ومليك المعالى زعيم الجيوش ملك الملك الإمام الأعز أبو الفضائل والمكارم اقبال الخالص النبوى المستنصرى خاص أمير المؤمنين مملوك سيدنا ومولانا الامام الأعظم المفتقر الى الطاعة على جميع الأمم عبد الله خليفة الله فى أرضه المستنصر بالله أمير المؤمنين] .

ومنهم جوبان أمير العراقيين من قبل السلطان أبى سعيد بن خربندا ملك التتار فانه أمر رسوله الأمير بازان بتعمير عين عرفة وزوده بخمسين ألف دينار فى سنة ٥٧٢٥ هـ . فلما انتهى موسم هذه السنة نادى فى الناس بمكة من أراد العمل فى العين فله ثلاثة دراهم يوميا ، فخرج اليه العمال وخرج بهم الى العمل وما زالوا يعملون أربعة أشهر

حتى جرى الماء الى مكة وظهر بين الصفا والمروة في ١٠ جمادى الأولى من سنة ٧٢٦ هـ . وقد زادت المياه عن الحاجة فصرفها الناس في زرع الخضراوات ، وبلغت نفقات ذلك ١٥٠٠٠٠ درهم ، قال الفاسي : والسبب في كفاية ذلك القدر ما وجد فيها حين عمارتها من القناة المعمولة المهيأة من قديم الزمن ، وهي أكثر من الثلث وأقل من النصف — ومن هنا نعرف أن بازان اسم لرجل سميت به الأحواض والآبار التي على مجرى العين لقيامه بإصلاحها — وفي سنة ٧٢٨ هـ أجرى الملك الناصر محمد ابن قلاوون عينا الى مكة سارت في مجرى عين بازان . وفي سنة ٧٤٤ هـ أجرى نائب السلطنة بمصر عينا من منى إلى بركة السَّلم ، وذلك من طريق منى وعمرت بعد ذلك مرارا ، وفي سنة ٨١٨ هـ عمرت عين بازان — حين — حتى وصل ماؤها إلى مكة بعد انقطاعه عنها . وفي سنة ٨٢٠ هـ انقطع الماء فانتدب الملك المؤيد صاحب مصر والشام والحرمين قائده علاء الدين لعمارة العين في سنة ٨٢١ هـ وزوده بألفى مثقال ذهباً ، فشرع في عمارتها في جمادى الآخرة وتممها في شعبان حيث وصل الماء الى مكة ، ولما انقضى موسم هذا العام قل الماء وارتفع سعره فانتدب علاء الدين ثانية في سنة ٨٢٢ هـ بعض العمال والمهندسين لتعمير ما لم يعمر منها وإصلاح ما خرب من عمارته الأولى ، فتم ذلك وبلغت المياه مكة في آخر صفر ، وفي سنة ٨٥٢ هـ عمرت عين حنين بمعرفة «بيرم خواجه» ناظر الحرمين الشريفين ، ثم خربت العيون بعد ذلك وأصاب الناس جهد جهيد . وبلغ ذلك الملك الأشرف قايتباي ، فأمر بتعمير عين مكة وعين عرفات سنة ٨٧٥ هـ . وبدأت العمارة في عين عرفات من جبل الرحمة الى وادي النعمان حيث وجدوا الماء هنالك بكثرة نخلوا سبيله الى عرفة فوصلها بعد أن انقطع عنها مائة وخمسين سنة ، كان الحجاج يقاسون فيها يوم عرفة الظم الشديد وقد أصلح البرك التي بعرفات وملاؤها بالماء ، وكذلك عمر عين حنين حتى وصلت مياهها إلى مكة وعمر أيضا عين خليص وأجرادها وبني قبتها .

وقد رأيت للشريف قايتباي خطبة نقش في لوح من الحجر وضع بجبل الرحمة على مقربة من القناة فنقلتها بالقلم الرصاص في ٩ ذى الحجة سنة ١٣١٨ هـ في مدة أربع

وفي سنة ٥٩١٦ هـ. عمر قانصوه الغوري آنحرمملك الجراكسة بمصر عين حنين حتى جرت ومألت بركة المعلى وبركة ماجن في درب اليمن من أسفل مكة، وارتفق الناس بذلك، وفي أوائل ملك الدولة العثمانية للأقطار المجازية بطات العيون لقلعة الأمطار وتهدمت القنوات وانقطعت عين حنين عن مكة، وصار أهلها يستقون من آبار حولها يقال لها العسيلات في علو مكة قريبة من المنحني، ومن آبار في أسفل مكة يقال لها الزاهر في طريق التنعيم، وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها حتى كان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الأمكنة النازحة، وكان فقراء الحجاج لا يطلبون يوم عرفة غير الماء لعزته، وكان بعض الأقوياء يستحضره من الأماكن النائية لبيعه فيرج فيه الأرباح الطائلة، قال العلامة قطب الدين الحنفي: وكنت يومئذ مرأهاقا في خدمة والدي رحمه الله وفرغ الماء الذي حملناه من مكة واشترت قربة صغيرة جدًا يحملها الانسان بأصبعيه بدينار ذهباً، والفقراء يضجون من العطش يطلبون من الماء مايلون به حلوقهم في ذلك اليوم الشريف، فشرب أهلنا منها وتصدقوا بباقي القربة على من كان مضطراً إليها من الفقراء، ثم عطشنا جميعاً عقب ذلك وجاء وقت الوقوف والناس في شدة الظمأ يلهفون فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله ورحمته والناس إذ ذاك واقفون تحت جبل الرحمة، فصاروا يشربون من السيل تحت أرجلهم ويستقون دوابهم، وحصل البكاء الشديد من الحجاج لما رأوا من رحمة الله بهم وإحسانه إليهم، ثم صدرت الأوامر السلطانية السلمانية باصلاح عين مكة (عين حنين) وعين عرفات، وعين للعيون ناظراً اسمه مصلح الدين مصطفى، وكان مجاوراً بمكة فبذل جهده في العمارة حتى جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها إلى بركة ماجن، وأصلح عين عرفات حتى صارت تملأ البرك بعرفات وكان ذلك في سنة ٥٩٣١ هـ. ثم اشترى «مصلح الدين» عبيدا سودا وأجرى عليهم الأطعمة من خزائن السلطنة وأماط بهم خدمة العين وإنحراج أتربتها من الدبول - جمع دبل وهو الجدول أى النير - والقنوات، ثم قلت الأمطار ويست العيون ونزحت الآبار في سنين متعددة من سنة ٥٩٦٥ هـ. وما بعدها حتى كانت سنوات تقارب سني يوسف

شدادا عجافا، ولم يبق من العيون إلا عين عرفات ولكن قل جريانها. ولما عرضت أحوال العيون على السدة السلطانية السليمانية صدر الأمر بتصليح ذلك، فاجتمع بمكة قاضيها عبد الباقي المغربي وحاكم جدة خير الدين وغيرها من الأعيان وتشاوروا في الإصلاح، فأجمع أمرهم على أن أقوى العيون عين عرفات وعقدوا النية على توصيل الماء من بئر زبيدة خلف منى إلى مكة وحسبوا أن تحت الأرض مجرى قديما إلى مكة وانهدم، وطلبوا من السلطنة ٣٠٠٠٠ دينار للتعمير سنة ٥٩٦٩. فالتفتت صاحبة الخيرات فاطمة هانم كريمة السلطان سليمان من أيها أن يأذن لها في القيام بهذا العمل الخيري فأذن لها، وانتدبت لذلك بعد استشارة الوزراء الأمير ابراهيم بن تكرين أمين الدفاتر بديوان مصر وأعطته ٥٠٠٠٠ دينار للقيام بالعمل، وقد وصل إلى جدة لثمان بقين من ذي القعدة سنة ٥٩٦٩. ثم برحها إلى مكة فقابله شريفها محمد بن نعي مقابلة جميلة وأكرم وفادته، وجاء للسلام عليه قاضي مكة حسين الحسني فعرض عليهما مهمته وزوداه بالآراء الصائبة وبحث عين عرفة بنفسه حتى أحاط بها خيرا، واستدعى من مصر والشام وحلب والأستانة واليمن طوائف المهندسين والخبراء بالعيون والآبار والحدادين والبنائين والمجارين والقطاعين والنجارين وغيرهم ممن يحتاج إليه في العمارة واستحضر آلاتها من مصر، وشرع بمعونة هؤلاء ومعونة ممالئكه الأربع المائة في إصلاح القناة مبتدئين من الأوجرحي وصلوا إلى بئر زبيدة، وهناك بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون إذ لم يجدوا بعد البئر دبلا تحت الأرض وعلموا إذ ذاك أن زبيدة اضطرت إلى ترك التوصيل إلى مكة اضطرارا لصلاية الحجر وصعوبة قطعه وطول مسافته، وأن لا سبيل إلى ذلك إلا بنقر دبل تحت الأرض في الحجر الصوان طوطا ألفا ذراع بذراع البنائين - ٧٥ سنتيمترا - حتى يتصل بدبل عين حنين وتتصل عين عرفة بمكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الأرض، فانه يحتاج إلى النزول في تخوم الأرض ٥٠ ذراعا عمقا فتجاذب الأمير ابراهيم عاملا اليأس والأمل، ولكن عامل اليأس قضى عليه صادق عزيمته فحفر وجه الأرض حتى إذا ما وصل إلى الحجر الصوان أوقد عليه ليلة كاملة ما يقارب مائة حمل من الحطب الجزل في مكان

طوله سبعة أذرع في عرض خمسة من وجه الأرض حتى تأكل من الحجر الصوان ١٢ من الذراع، ثم أعمل المعاول حتى صادف الحجر الصلب فأوقد عليه النيران كما فعل أولا حتى وصل الى عمق ٥٠ ذراعا، وبذلك حفر من القناة خمسة أذرع من ألفى ذراع ثم سار على هذا النمط حتى أتم ١٥٠٠ ذراع، وقد نفذ الحطب من الجهات الدانية والنائية وذهب خدمه وأولاده ومماليكه في سبيل ذلك، وأنفق ٥٠٠,٠٠٠ دينار ذهبا من الخزائن السلطانية واخترمه أجله بعد ذلك في رجب سنة ٩٧٤ هـ . فشيعته القلوب وأغدقت عليه صيب الدعوات ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد الى الأبطح، وخلفه على العمل أمير جدّة قاسم بك ولم يتم بكبير عمل لتصور فهمه ومد يده وتشبثه برأيه وتوفى، خلفه الأمير محمد بك فعاجلته المنية في رجب سنة ٩٧٩ هـ . ثم تولى العمل فاضى القضاة وناظر المسجد الحرام السيد حسين الحسنى، بحدّ جدّه ونشط نشاطه حتى أتم القناة في خمسة أشهر بعد أن قضى الأمراء السابقون في ذلك عشرة أعوام، بفرّت عين عرفات الى مكة وتفجرت ينابيعها في نواحيها لعشر بقين من ذى القعدة سنة ٩٧٩ هـ . وكان هذا اليوم عيدا أكبر للباس مدّت فيه الموائد للأكابر وخلعت الحلل الفاخرة على المهندسين والبائين، وتصدق على الفقراء والمساكين وزفت البشائر الى السلطان سليم وكرّمه ذات المجد الأثيل والخير العميم فاطمة هانم، فأقيمت الأفراح بالأستانة وأغدقت العطايا على فاضى القضاة الذى تم على يده ذلك المشروع العظيم الذى أحيا أم القرى بماء الحياة كما حييت من قبل بإشراق النبوة من نواحيها وجج الناس اليها من أدانى الأرض وأقاصيها، وتلك مأثرة للسلطان سليم تقرن بالحمد والثناء وتسطر في سجل أعماله الطيبة بحروف من نور ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

وقد حصل بعد ذلك فى العين ومجاريها تميرات فى سنى ١٠٢٠ و ١٠١٩ هـ و ١٠٢٥ هـ . ورأيت فى لوحة هذه الكتابة « أمر بتعمير عين عرفات مولانا السلطان الأعظم والخاقان الأنعم خادم الحرمين الشريفين السلطان أحمد خان

ابن السلطان محمد خان أيد الله سلطته الى آخر الزمان سنة ١٠٢٥ هـ . بمباشرة الفقير اليه سبحانه حسن باشا عفى عنه وكذلك عمرت في سنى ١٠٦٦ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ هـ . وقد رأيت مكتوبا على حجر رخام ثبت بجبل الرحمة على يمين الصاعد اليه العبارة الآتية : « يا محمد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حق حمده على إفضاله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله ، أمر حضرة السلطان الأعظم والخاقان الأنجم مولى ملوك العرب والعجم السلطان الغازى محمد خان ابن السلطان إبراهيم خان عز نصره أجرى عين عرفات وتعمير أبنيتها واتصاله الى الحرم المنيف ، بفضله تعمرت سنة أربع وثمانين وألف ١٠٨٤ من هجرة من له العز والشرف على يد عمدة أعيان الدولة الحاج على أغا بن مصطفى قهوجى باشا السلطان كان الله له ووفقه لمرضاة الله (وفى الآخر كلمتان لم أعرفهما) » .

وعمرت في سنة ١٠٨٩ و ١٠٩٢ هـ . وعملت إصلاحات هامة في سنة ١٠٩٣ هـ . بأمر السلطان محمد خان فنظفت البرك التي بالمعلى وزيد في ارتفاعها مقدار قامة وأقيم في وادى النعوان سد عظيم يمنع طغيان السيول على المجارى ، وبني على رأس القنوات الحواجز المسماة بالخرازات فبنى نحو عشرين خرزة وعمل قناة في أسفل مكة تذهب بمياه السيل الى بركة ماجن ، وفى يوم الاثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١٠٩٩ هـ . كسر من قنوات العين نحو ثلاثين ذراعا فبعث الشريف من فوره بالمهندسين فأصلحوا ذلك .

وفى سنة ١١٤٣ هـ . انقطع مأوها أجمع وصار الناس يستقون من آبار العسيلات والزاهر وغيرهما ، وقد أصابحت من طرف السلطنة وكذلك عمرت في سنة ١١٨١ هـ . وفى سنة ١٢١٩ هـ . بعد قطع الوهابيين المياه عن مكة حينما حاصروها وتخرب بعض قنواتها فأصلحت ذلك الدولة العثمانية ، وكذلك أصلحها السلطان محمود سنة ١٢٣٥ هـ . وفى سنة ١٢٤٢ هـ . انقطع الماء من مكة لخراب حدث بالقنوات بسبب السيول فأرسل الى مصر محمد على باشا من عمر القنارات ؛ وبعد ذلك بقيت عين مكة يقل

ماؤها بقلة الأمطار ويكثر بكثرتها حتى كانت سنة ١٢٧٨ هـ . إذ حدث سيل عظيم
 حرب بعض مجاريها فأصلح . وفي سنة ١٢٩١ هـ . كاد ينقطع ماؤها عن مكة فأصلح
 المجارى والى الحجاز من قبل السلطنة السيد محمد الشروانى باشا مع جماعة من أهل البر.
 وفى سنة ١٢٩٥ هـ . شكلت بمكة لجنة بسعى بعض الهنود لجمع الإعانات من كافة
 الأقطار الإسلامية خصوصا مصر والهند وإنفاقها فى إصلاح العيون ، وكان من
 أعضاء تلك اللجنة الشيخ رحمة الله الهنذى صاحب كتاب إظهار الحق ، فجمعت
 أموالا كثيرة واستقدمت من الهند المهندسين والصناع وخرجت بهم الى عرفة
 نذرعو المسافة بين مكة ومنبع عين زبيدة من وادى النعمان فاذا هى تنيف على
 ١٧٠٠٠ متر^(١) ورأوا أن يبدءوا العمل فى عين زبيدة من جهة عرفة ، فأصلحوا نحو
 ٦٠٠ ذراع فى المجرى من بعد حدود عرفة الى وادى النعمان ، وبنوا فيها عدة خرزات
 ستروا بعضها وكشفوا باقىها ليستقى منها العربان ، وكان شروعهم فى العمل من جهة
 مكة بتنظيف الدبول وتعمير ما تخرب منها حتى وصلوا الى المفجر ، ووصلوا الماء
 منه الى منى بآلة بخارية أقاموها هنالك ، ونحتوا لأجل ذلك بعض الجبال ولم يزالوا
 فى عمالهم حتى وصلوا الى عرفة ، وبنوا فى عملهم هذا عدة خرزات فى طريق مكة ،
 وبازانات بمكة منها : بازان الشعب ، وبازان سوق الليل ، وبازان القشاشية ،
 وبازان جياذ ، وبازانان بحارة المسفلة ، وبازان بحارة الباب ، وبازان الشبيكة ،
 وبازان الشامية ، وبازان بسوق المعلى يسمى بازان التمارة ، وعمروا ما كان خرابا
 وزادوا موارد الماء بالبلدة وقطعوا الجبل الطويل الذى بأول مكة وبنوا به دبلا
 يجرى فيه الماء الى حارة جرول التى بنوا فيها بازانان عظيما يستقى منه الناس ، وكذلك

(١) هذا ما فى رسالة الرواوى وهو يخالف ما فى رحلة صادق باشا من أن المسافة بين المنبع وبين بئر
 زبيدة ٣٣ كيلومترا فاذا هى بين مكة والمنبع أكثر من ذلك وهذا هو الصحيح ، فان صادق باشا يرجع
 من الطائف مر بمبدأ المجرى وقطع المسافة بين البسدا وبين على الحرم من جهة عرفة فى ٢ س و ١٦ ق
 وتقطع المسافة بين العدين ومكة فى ساعة و ٥٠ ق ، فاذا لاحظنا أن المجرى يسير حذاء الطريق فى الأثر وأن
 المسافة بين مكة وعلى الحرم ١٨ كيلومترا تقريبا كانت المسافة بين العدين ومبدأ المجرى ٢٢ كيلومترا أى أن
 المجرى طوله ٤٠ كيلومترا من مبدئه الى مكة فهذه المسافة التى نسبها الزواوى الى المهندسين تخالف الواقع

عمروا بعض التعمير في العين الأصلية (عين حنين) بعد أن أهملت منذ وصلت عين عرفة إلى مكة. وفي سنة ١٢٩٧هـ. أرسل إلى اللجنة من مصر ٢٥٠٠٠ جنيه مع أحد معاوني الداخلية وكان برفقته أحد المهندسين لمباشرة العمارة الجارية مع المعمرين ، وقد مكثت اللجنة تشتغل ثلاث سنين دأبا تحت رئاسة الحاج عبد الواحد الميمنى ثم أخذ الفتور يدب في أعضائها وتناولت الحكومة بعض مال اللجنة من صندوقها وأنفقته في غير مصالح العين فأساء ذلك أهل الهند وقطعوا الإعانات ، فوقفت اللجنة عملها وأستعفى رئيسها وأكثر أعضائها وتشكلت لجنة أخرى أستولت على ما بقى بصندوق العين ويقال : إنه كان ٥٧٠٠٠ جنيه ، وسارت في العمل كسابقتها ولكن هذه وجهت كبير عايتها الى إصلاح عين حنين وكانوا يرون أنها عين مكة الأصلية ثم أنقطع العمل في العينين فأنقطع ماء عين حنين وقل ماء عين زبيدة وكاد ينقطع في سنة ١٣٢٤هـ. فتكونت لجنة تحت رئاسة الشريف وجمعت إعانات جبرية من مكة والطائف وجدة وكتبت إلى الدولة مستجدية بجمعت عشرات الألوف من الخنيمات ، وقدم من الإستانة مهندسون فقاموا بإصلاح كبير خصوصا في منابع العين من جهة وادى النعمان ، وفي سنة ١٣٢٦هـ. قدم مهندس ومفتش من قبل الدولة لتعرف أحوال عين زبيدة فوضها لها خريطة عظيمة من منبعها الى مكة تركا صورة منها في مقر اللجنة وأخذا أخرى الى الإستانة ، وفي أوائل شهر المحرم سنة ١٣٢٧هـ. شكل أمير مكة الشريف الحسين باشا بن على هيئة جديدة لإصلاح العيون أعضاؤها من أجناس مختلفة ووكل إليها الإصلاح وجعلها حرة في عملها فاستنهضت هم المسلمين في الأقطار المختلفة فعمروها بالبرعات ولا سيما الهند ومصر وجاوة وبدأت في الإصلاح ، وفي آخر سنة ١٣٢٨هـ . جاء سيل عظيم ملاً المجرى حتى طفت وهدم كثيرا منها فقل الماء ولجأ الناس الى الآبار القديمة وإنها لكثيرة ، فقام شريف مكة وأنجاله وأهل مكة بالإصلاح بأموال من صندوق اللجنة حتى وردت المياه مكة . وفي ١٨ المحرم سنة ١٣٣٠هـ . هجم سيل شديد من وادى نعمان وهجان وسد دبول عين زبيدة بالتراب ، وقطم الماء عن عرفات ، فقامت اللجنة بتعمير المتخرب حتى عاد الماء الى مجراه.

وأنشأت مستغلات جديدة، وقد مكثت هذه اللجنة ثلاث سنين مجدة في عملها فظاهرت المجارى وكشفت عن عيون محتبئة وبنيت خزانات كثيرة وأصلحت عدة بازانات وعمرت مستغلات عين زبيدة وأحدثت لما مستغلات أخرى فلها شكرنا الوافر وثاؤنا المستطاب .

وقد أطلنا عليك أيها القارئ الكلام مع تعمدا الأختصار ولكنها النفوس الطيبة والأعمال الخيرة تأبى إلا أن تنقش على صفحات كل كتاب سيار حتى يكون للناس منها قدوة حسنة فيكون لها علما — زيادة الى أجره — أجر من عمل بها الى يوم القيامة .

وإنا نبتهل الى جميع المسلمين في أن يتقدموا بأموالهم ورجالهم الى تلك العيون التي يستقى منها سكان بيت الله والوفود عليه من كل فج والتي تعب سلفنا الصالح في إنشائها وتعميرها ولم يرضوا عليها بمال أو رجال ندعوهم ليقوموا نحو هذه العيون بعمل خالد يأمن معه صدمات الاليل وهجوم السيول ويطمئن به أهل مكة وحجاجها على الماء الذي به حياة كل شيء قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَالله يَقْرِضُ وَيَسْطُرُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١) .

الحرم

قال تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ اعلم أنه يحيط بالكعبة ثلاث دوائر: الأولى دائرة المسجد، والثانية دائرة الحرم، والثالثة دائرة المواقيت فلا يعدو أمرؤ الدائرة الثالثة قاصدا دخول مكة إلا إذا أحرم — لبس ثياب الإحرام وأهل بالنبوة فحرمت بذلك عليه محرمات الإحرام — وهي ذو الحليفة لأهل المدينة، والمخنفة لأهل الشام، وقرن لأهل نجد، ويملم لأهل اليمن، وذات

(١) روجع في كتابة المياه بمكة الى الأصل ص ٤٢ والى رحلة صادق باشا ص ٦١ والى شفاء الغرام

ص ٢٥٩ والى رسالة السيد محمد صالح الزواوى مفتى المالكية بمكة المكرمة .

عِرق للعراقيين . وذو الحليفة على عشر مراحل من مكة ، والمحففة على ثلاث ، وقبلها بقليل رابع ، وذات عِرق على مرحلتين ، وكذلك قرن المنازل ويلمم . والدائرة الثانية دائرة الحرم وقد نصبت عليها أعلام في جهاتها الأربع ، وقد ذكر المسافات بينها وبين المسجد الحرام التي القاسى في كتابه شفاء الغرام ، ونحن نذكرها نقلا عنه مبينين مقدارها بالأمتار ، فحد الحرم من جهة الطائف على طريق عرفة من بطن عُرنة $\frac{2}{7}$ ٣٧٢١٠ ذراع بذراع اليد ، أى ١٨٣٣٣ متر وذلك من جدر باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة لحد الحرم من جهة عرفة ، وحدّه من جهة العراق من جدر باب بنى شيبة إلى العلمين اللذين هما علامة لحد الحرم في طريق العراق واللذين هما بجمادة وادى نخلة — ٢٧٢٥٢ ذراع بذراع اليد ، وتعادل $\frac{5}{13353}$ متر . وحدّه من جهة التنعيم وهى طريق المدينة وما يليها ١٢٤٢٠ ذراع بذراع اليد ، أى ٦١٤٨ متر وذلك من جدر باب العمرة إلى أعلام الحرم التى فى الأرض من هذه الجهة لا التى على الجبل . وحد الحرم من جهة اليمن من جدر باب إبراهيم إلى علامة حد الحرم فى هذه الجهة $\frac{4}{7}$ ٢٤٥٠٩ ذراع بذراع اليد ، وتعادل ذلك $\frac{12009}{75}$ مر ، وعلى حد الحرم من جهة الجنوب مكان يقال له : أضاة ، ومن الغرب بميل قليل إلى الشمال قرية الحديدية وهى التى تمت بها بيعة الرضوان ، ومن الشرق على طريق الطائف مكان يقال له : الجعرانة^(٢) أحرم منه النبى صلى الله عليه وسلم مرجعه من الطائف بعد فتح مكة (انظر الرسم ٨٢) وهذه الدائرة جعلها الله مثابة للناس وأمنابيل آمن فيها الحيوان والنبات فحرم التعرض لصيدها ومنع أن يُحتلّ خلاها (حشيشها) أو يعضد شوكتها .

وأقول من نصب علامات على حدود الحرم إبراهيم عليه السلام بإرشاد جبريل تعظيما للبيت وتشريفا ، ثم قُصَى بن كلاب ، وقيل : قبله اسماعيل ، ويروى هذا عن

(١) ذراع الحديد $\frac{1}{7}$ ٥٦ ستيا كما حررته من قياس جدر الكعبة بالمتر ، ومقارنتها بقياس النامى .

وذراع اليد ٤٩ ستيا بالتقريب استنتجته من قياسه لبعض الأماكن بالذراعين ذراع الحديد وذراع اليد .

(٢) الجعرانة بكسر الجيم وسكون العين وبكسرها وكسر العين وتشديد الراء .

آبن عباس ، وقيل : إن عدنان بن أذ أول من وضع أنصاب الحرم ، ونصبتها قريش بعد ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل هجرته ، ونصبها النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح ، ثم عمر بن الخطاب في سنة ١٧ هـ ، ثم عثمان بن عفان في سنة ٢٦ هـ ، ثم معاوية رضى الله عنهم ثم عبد الملك بن مروان ، ثم المهدي العباسي ، ثم أمر الراضى بعارة العلمين الكبيرين اللذين بالتنعيم في سنة ٣٢٥ هـ . قال الفاسي : وأسمه عليهما مكتوب ثم أمر المظفر صاحب إربيل بعارة العلمين اللذين هما حد الحرم من جهة عرفة سنة ٦١٦ هـ ، ثم الملك المظفر صاحب اليمن سنة ٦٨٣ هـ ^(١) .

المسجد الحرام

وصف عام للمسجد — أبواب المسجد — مآذنه — توسعته وعماراته وتاريخ ذلك — مواقف الأئمة في المسجد الحرام — كيفية الصلاة فيها — مقام إبراهيم عليه السلام — منبر المسجد الحرام وتاريخه — بئر زمزم — سقاية العباس — الماشي الأربع — مزاويل المسجد — قناديله — موظفوه — أعمدة المطاف .

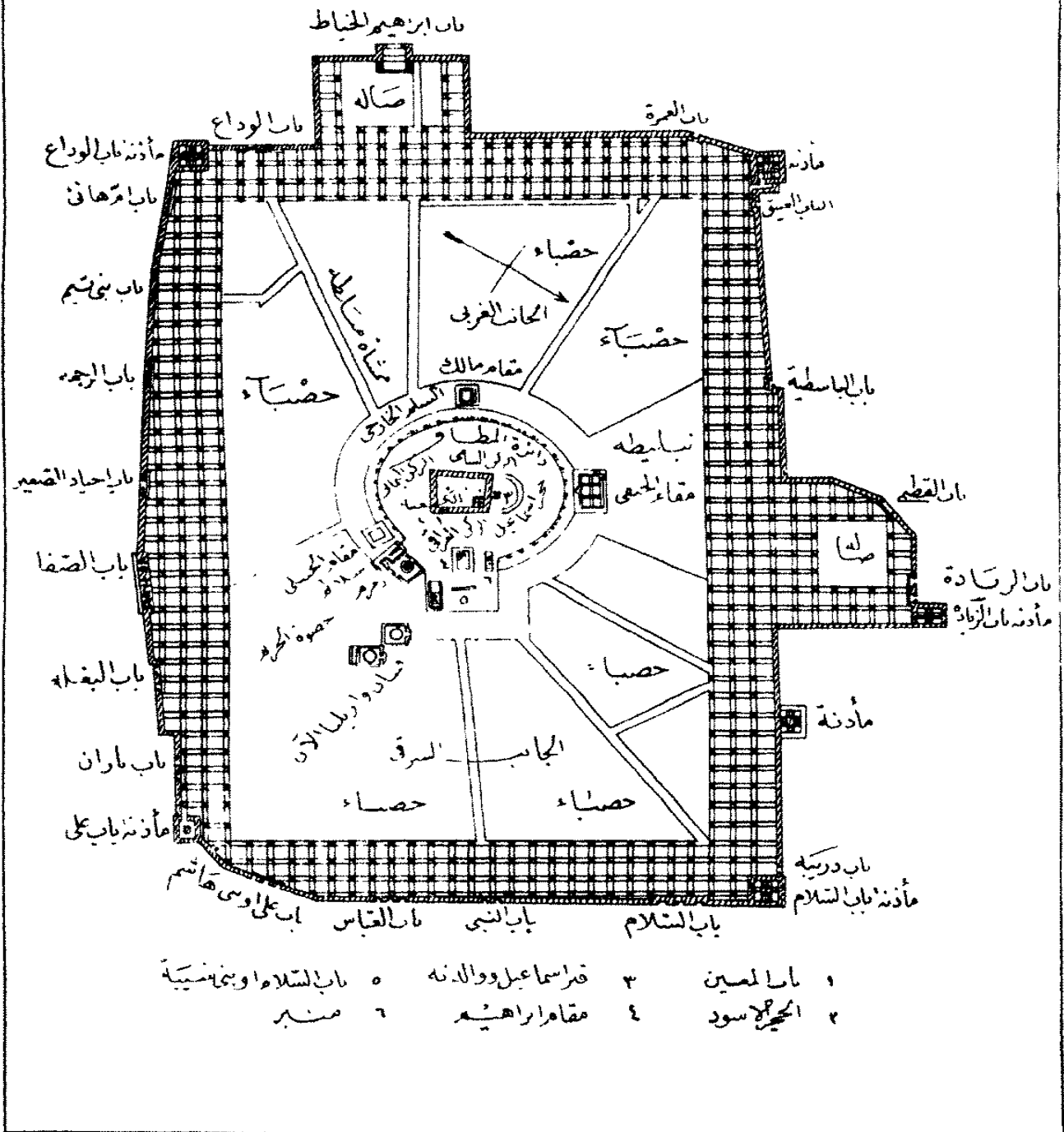
وصف عام للمسجد الحرام — المسجد الحرام وسط مكة وشكله مربع تقريبا . وضلعه الشمالية المقابلة للحطيم ١٦٤ مترا وطول الضلع الجنوبية المقابلة للأولى ١٦٦ مترا، وضلعه الشرقية التي فيها باب السلام ١٠٨ مترا، والغربية طولها ١٠٩ مترا، فيكون مسطحة من الداخل ١٧٩٠٢ مترا أي أربعة أفدنة وربع تقريبا أما من الخارج فمتوسط طوله ١٩٢ مترا وعرضه ١٣٢ مترا، وفي وسط المسجد يميل إلى الجنوب بيت الله أي الكعبة المكرمة . ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع ثلاثة أروقة (بواكي) في الأكثر، يفصل بين كل رواق وآخر صف من الأعمدة مواز لحد المسجد، ووصل بين كل عمودين بعقد من البناء المتين وأقيم على كل أربعة

(١) لم نشر على تاريخ الأعلام بعد ذلك مع شدة حرصنا على الوقوف عليه مع أنه لا بد أن تكون

عمرت بعد ذلك مرارا فان بناها القائم ليس بناء سبعة قرون أو تزيد .

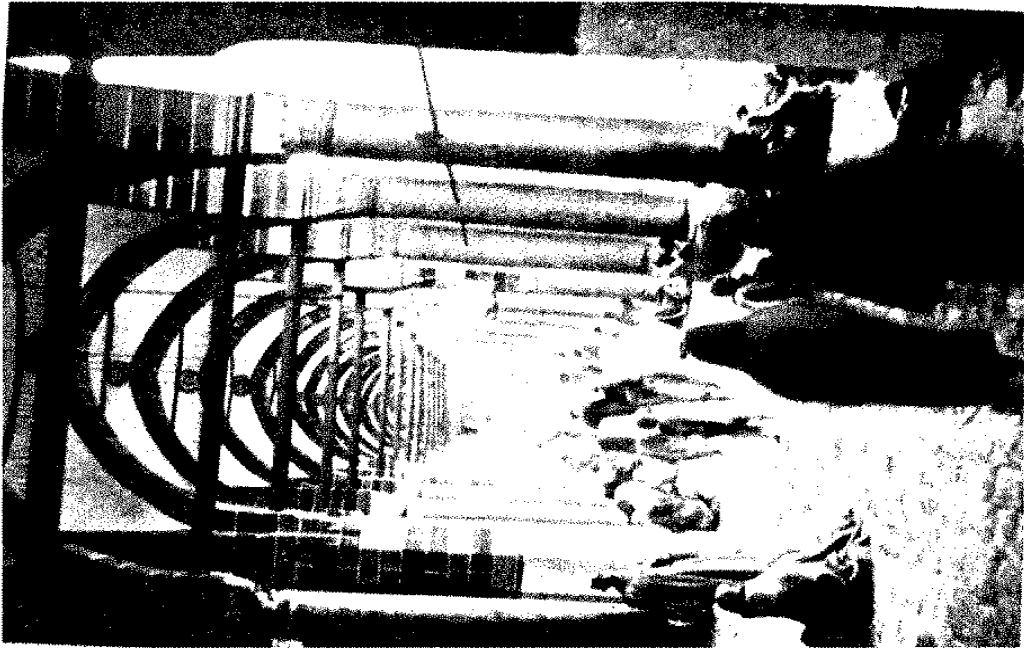
أعمدة قبة محكمة البناء فنشأ من ذلك قباب متجاورة منها تكون سقف تلك الأروقة ، وعدد العقود في الجهة الشمالية من الجدار الشرقي الى الغربي ٤٢ عقدا في كل صف على استقامة واحدة ، أما العقود العرضية في هذه الجهة فتلاثة ثلاثة إلا في الطرفين فان العرض عقدان ، وعدد العقود طولا في الجهة الجنوبية ٤٠ في أطول صف من الجدار الشرقي الى الغربي ، وعددها عرضا ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة في الوسط ، وفي الطرف اثنان وواحد ، وعددها من الجهة الشرقية طولا بطول الصحن فقط ٢٤ عقدا في كل صف ، والعرضية ثلاثة ثلاثة إلا في الطرف الجنوبي فاثان لانحراف الجدار ، وفي الجهة الغربية قبالة الصحن فقط ٢٤ طولا في كل صف ، والعقود العرضية أربعة أربعة وقليل ثلاثة ثلاثة ، وتجد عقودا أخرى في الجهة الشمالية في مدخل باب الزيادة وكذلك في الجهة الغربية في مدخل باب إبراهيم ، وجملة الأعمدة المقامة عليها تلك العقود ٥٤٥ عمودا منها ٣٠١ من الرخام ومنها ٢٤٤ من الحجر الشميسي الأحمر ، ومعلق بين كل عمودين خمسة قناديل كبار - فناير - توضع فيها المصابيح ، وفي صرة كل قبة قنديل فاذا ما أضيئت كل هذه مع ما حول الكعبة أحدثت منظرا يملأ النفس بهجة وسرورا . (أنظر المسجد الحرام في الرسم ٨٣) والجهة الشمالية في الرسم ما فيها باب الزيادة والشرقية ما فيها باب النبي صلى الله عليه وسلم الخ ، وانظر العقود (البواكي) في (الرسم ٨٤) وترى في العوارض الخشبية مسامير لمنع وقوف العصافير والحمام عليها آتقاء لقدرها ، وما عدا هذه الأروقة من المسجد فصحن واسع توسطته الكعبة (الرسم ٨٥) يحيط بها المطاف المرصوف بالرخام قد أقيم عليه صف من الأعمدة المصنوعة من النحاس الأصفر وصل بينها بعوارض الحديد تعلق فيها المصابيح وأقيم بخارج المطاف تجاه كل ضلع من أضلاع البيت - عدا الضلع الشرقية - سقيفة قامت على أعمدة الرخام يصل في الشمالية منها إمام الحنفية وهي ذات طبقتين وفي الغربية إمام المالكية وفي الجنوبية إمام الحنبلية أما إمام الشافعية فيصل خلف مقام إبراهيم شرقي الكعبة أو فوق البناء المقام على زمزم . ويجوار المطاف في الجهة الشرقية المنبر وفي جنوبيه قبة أقيمت على بئر زمزم ، وبشمالى البئر باب

المسجد الحرام مكة المكرمة



والله اعلم بالصواب

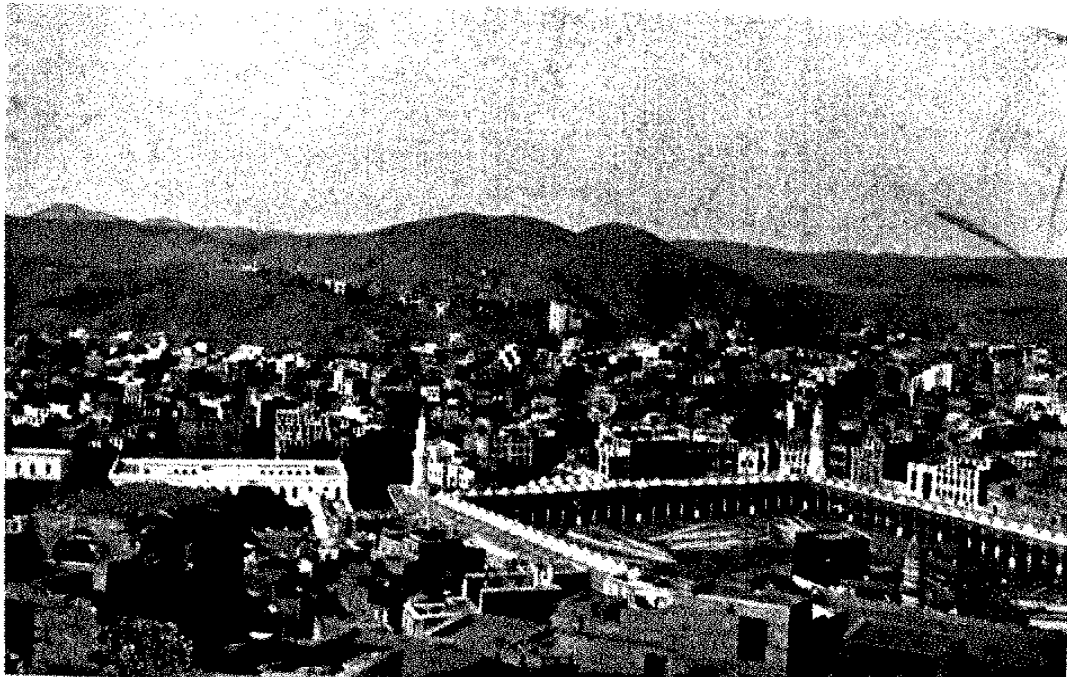
83. The map of El Haram Mosque in Mecca.



84. Arcades of El Haram Mosque as seen from the interior.

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰى اٰلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَصَلِّ وَسَلِّمْ

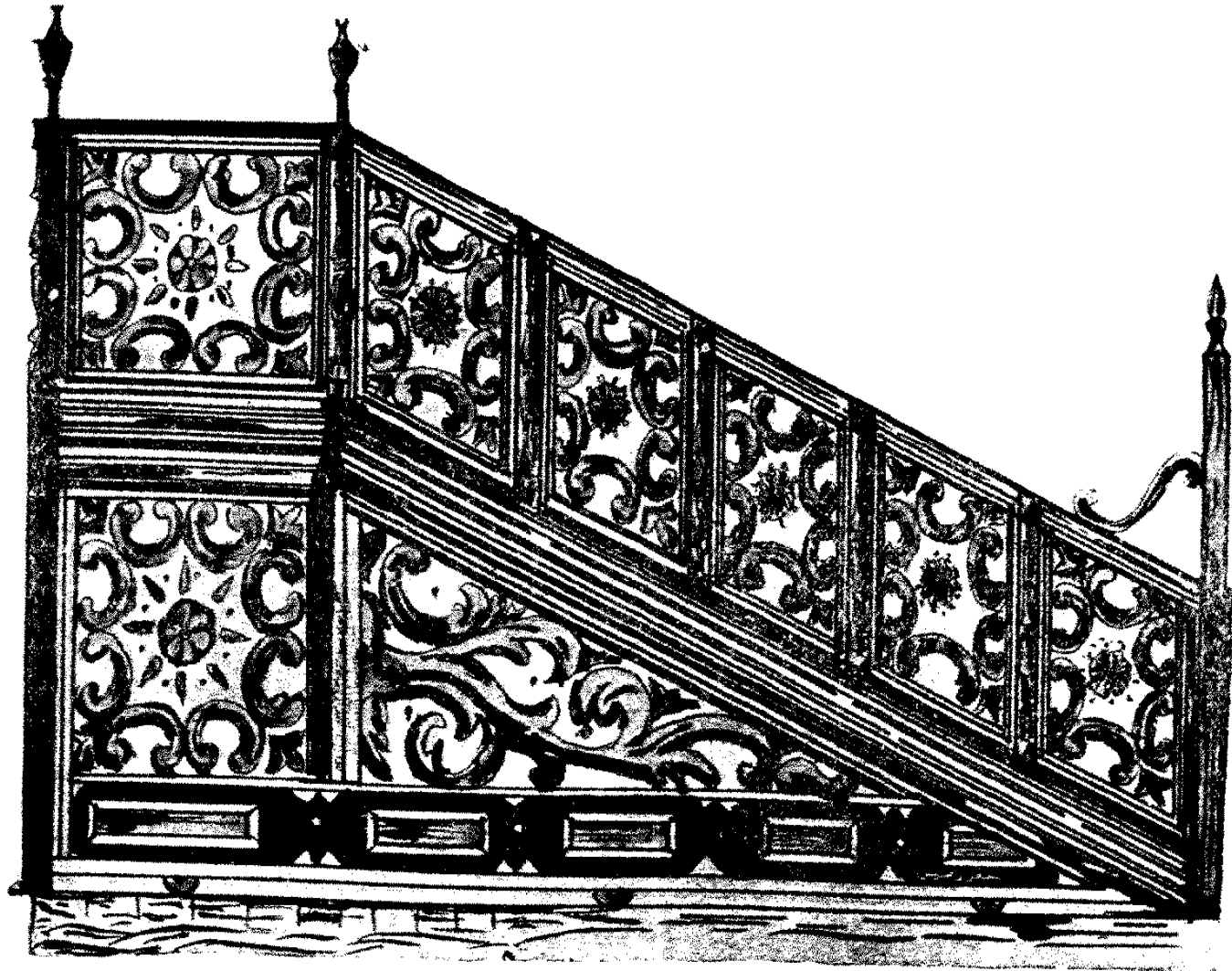
الحرم المكي في حجة الشتاء والعرب والمسلمين



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰى اٰلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَصَلِّ وَسَلِّمْ

85. The Southern, Western and Northern view of the Mosque of Mecca.

صلى الله عليه وسلم



سَلِّمٌ لِلصَّالِحِينَ عَلَيْهِمْ لِدَاخِلِهَا إِلَى الْكَعْبَةِ

87. Stairs to ascend to the Interior of Kaaba.

بنى شيبة يعلوه عقد أقيم على عمودين من الرخام، وقد كتب على باب بنى شيبة تحت الهلال ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾ وكتب على العقد ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ وذلك بماء الذهب، وكتب في الجهة المقابلة لمقام إبراهيم والكعبة «الله جل جلاله» ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ «محمد عليه السلام» (أنظر باب بنى شيبة في الرسم ٨٦ الذى أخذته سنة ١٣٢٥ هـ . والمجراج مجتمعون بالمسجد لصلاة الجمعة) وأرض المسجد منخفضة عن الأرض المحدقة به بنحو ثلاثة أمتار ويصعد من أرضه إلى الأبواب التى على الشوارع بسلام، والبيت منحدر تدريجا عن هذه الأرض بنحو متر، وصحن المسجد سقفه السماء وفرشه الحصباء إلا ما تخلله من الماشى التى تصل بين الأبواب والأروقة من جهة والمطاف وما يليه من ناحية الكعبة من جهة أخرى فإنها مرصوفة بحجارة الجص كالأروقة ليسلكها الناس ويتجنبوا الحصباء التى كثيرا ما تكون مبللة بمياه الوضوء، ولذلك فإن المطوفين إذا ما دنت صلاة العصر بسطوا «الأكمة» والسجادات على هذه الحصباء ليجلس عليها المجاج، على أن كثيرا من الناس يفترش الحصباء الساعتين والثلاث أنتظارا للصلاة خصوصا فى يوم الجمعة فتراهم يبكون ويجلسون على الحصباء وقد آشتد القيظ وتسلط على الأدمغة طيب الشمس كل هذا حرصا على سماع الخطبة، وعرض تلك الماشى قريب من متر ويجلس عليها بعض النساء الفقيرات يبعن الحبوب للمجاج ليقدموها إلى حمام الحمى الذى يوجد بكثرة فى المسجد ولونه أزرق غامق به نقط رمادية وخطوط سود وهو مطوق بالخضرة المحمرة، والقطاط مسلطة عليه تصطاده، وكذلك يوجد بالمسجد طير الأبايل كما يسميه المكيون — وهو أشبه بما نسميه عصفور الجنة — وهذه الطيور لا تنفر من المجاج لأن الله كتب لها الأمن فى حرمه كما كتبه للناس (انظر الرسم ٨٧) تجد الحمام وهو يلتقط الحب .

وللمسجد خمسة وعشرون بابا، منها بالشمال ثمانية أبواب وبالشرق خمسة وبالجنوب سبعة وبالغرب خمسة، من هذه ستة أبواب صغيرة (خوخات) والباقي

أبواب كبيرة منها ذو الفتحة والفتحتين والثلاث والخمس ، وفي المسجد سبع منارات في كل زاوية منارة ، وثنان في الشمال وواحدة في الشرق .

أبواب المسجد الحرام ووصفها

في الشرق : (١) باب السلام - ويعرف بباب بني شيبه وبياب بني عبد شمس وهو ذو فتحات ثلاث ، وكتب عليه ما يأتي : أمر بإنشاء هذا البيت الشريف السلطان الملك المظفر سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان محمود خان بن السلطان مراد خان بن السلطان محمد خان ابن السلطان بايزيد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان أرخان بن السلطان عثمان خان ، وكتابة ذلك في سنة ٩٣١ هـ . وهي منقوشة على الحجر الأبيض ، وهذا الباب يدخل منه الحجاج لأداء طواف القدوم .

(٢) باب قايتباي - وهو خوخة ولا سلم له .

(٣) باب الجنائز - سمي بذلك لأن الجنائز تخرج منه في الغالب الى مقبرة المعلى ، وذكر الأزرقي : أنه باب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج منه ويدخل الى منزله دار خديجة رضي الله عنها في زقاق العطارين ، ولهذا الباب فتحتان وينزل منه الى مستوى المسجد بثلاث عشرة درجة ارتفاع الدرجة ربع المتر .

(٤) باب العباس بن عبد المطلب - سمي بذلك لأنه يقابل داره بالمسعى وسماه ابن الحاج في منسكه باب الجنائز ولعل ذلك لأنه كان يصلى فيه على الجنائز ، وهذا الباب ذو فتحات ثلاث للدخول منها ، وله إحدى عشرة درجة ومكتوب على يسار الداخل منه على الحائط بخط الثلث الجميل (الله . مجد . أبو بكر . عمر . عثمان) رضوان الله عليهم أجمعين سنة ١٢٩٩ هـ . وفوق ذلك كتب بالخط الثلث الدقيق (قد وقع هذا الانشاء الشريف بإشارة السلطان الأعظم السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان أيد الله ملكه سنة ٩٨٨ هـ) .

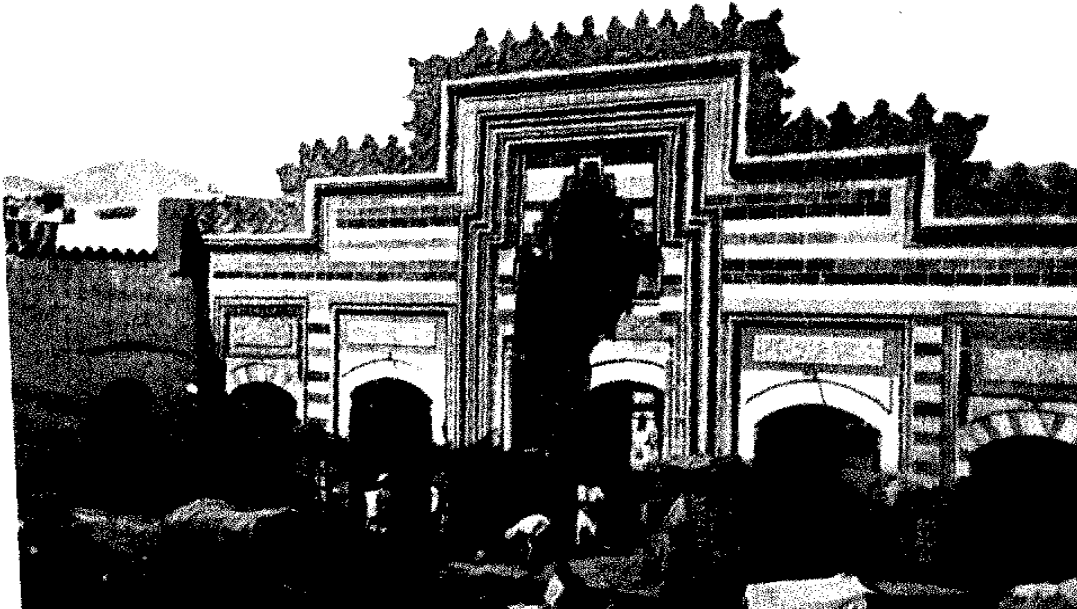
بیتن ابن علی الجورانی



88. Door of Aly in Mecca Mosque.

مذاب الصفا بحرم المکی

بیتن ابن علی الجورانی



89. View of the door of El Safa at Mecca.

(٥) باب عليّ - ويعرف بباب بني هاشم، قال الأزرقى : وباب البطحاء أيضا وفيه ثلاث فتحات وارتفاعه عن أرض المسجد ١٣ درجة ارتفاع الواحدة منها ٢٨ سنتيمترا وعليه كتابة جميلة للسلطان مراد سنة ٩٨٤ هـ . (انظر الرسم ٨٨ الذي أستعمرناه من خليل افندى قازانلى المصوّر بالمدينة) .

وبالجهة الجنوبية : (١) باب بازان - سمي بذلك لأن عين مكة المعروفة ببازان قربها - كل محل ينزل اليه بدرج ويكون مستطيلا يسمى بازان - قاله جمال الدين محمد بن محمد نور الدين في كتابه الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف - وسماه الأزرقى باب بنى عائد ويسمى الآن أيضا باب القره قول (المخفر) لأنه أمامه ، وهذا الباب ذو فتحتين ، وله ١٣ درجة ، ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُؤْفُونَ بِالْندَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعَمُونَ الْأَطْعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ سنة ٩٨٤ هـ . للسلطان مراد بن السلطان سليم خان .

(٢) باب البغلة - وهو ذو فتحتين قال الفاسى : ولم أدر ما سبب هذه الشهرة ، وعرفه الأزرقى بباب بنى سفيان ، وله إحدى عشرة درجة ينزل منها الى أرض المسجد ، ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُغْنِيكَ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ صدق الله العظيم . والحمد لله رب العالمين . وذلك بالخبط الثلث .

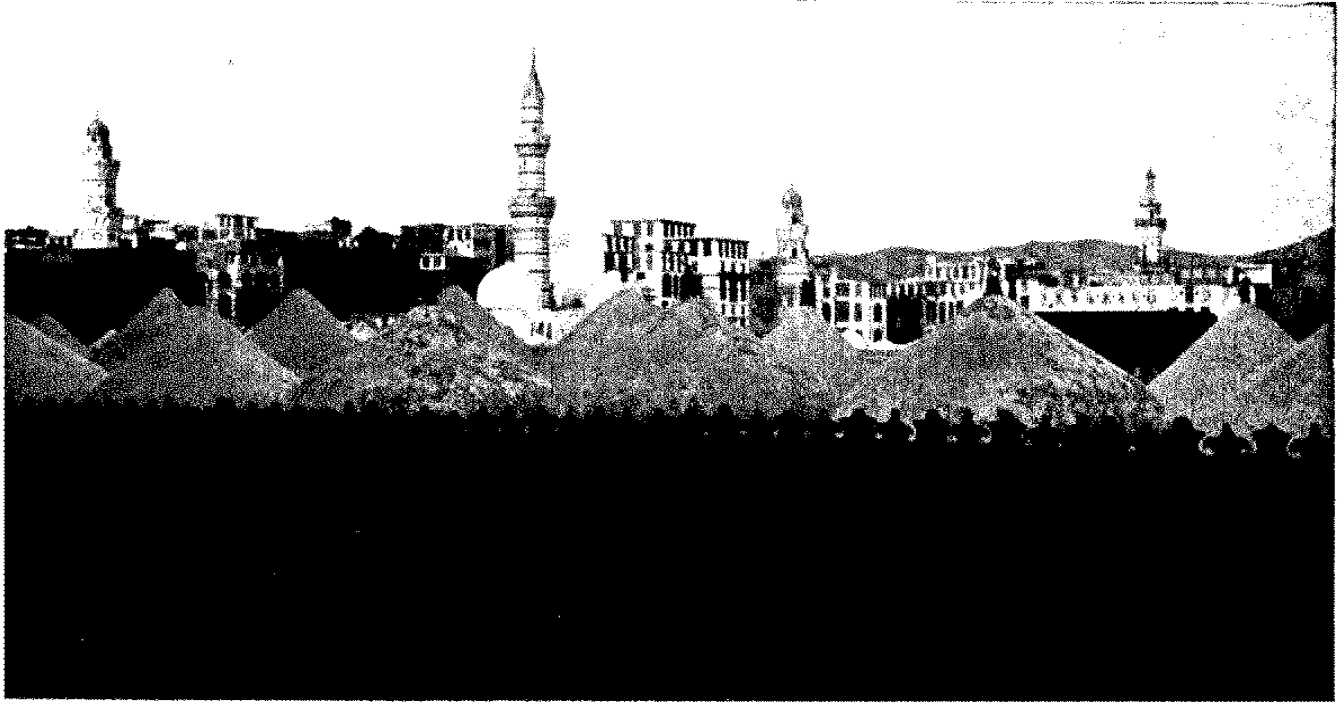
(٣) باب الصفا - سمي بذلك لأنه بلى الصفا وعرفه الفقهاء في المناسك بباب بنى مخزوم وكذا عرفه الأزرقى وهو ذو خمس فتحات أو طاقات أو أبواب وله أربع عشرة درجة ينزل منها الى أرض المسجد ومكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (انظر الرسم ٨٩) وترى فيه أقباصا تحفظ فيها أحذية الداخلين .

(٤) باب إحياد الصغير — كذا سماه ابن جبير وسماه أيضا باب الخلفيين ولا يعرف السبب في هذا وسماه الأزرق أيضا باب بنى مخزوم وهذا الباب له طاقان ويتزل منه الى المسجد بتسع درجات .

(٥) باب المجاهدية — وأطلق ذلك عليه لأن عنده مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن كذا عرفه الفاسي ويقال له : باب الرحمة ولم يعرف سبب هذه التسمية (انظر الرسم ٧٤) ، وذكر الأزرق : أنه من أبواب بنى مخزوم فتلك أبواب ثلاثة متجاورة يطلق على كل منها باب بنى مخزوم لكونهم كانوا ساكنين بتلك الجهة .

(٦) باب مدرسة الشريف عجلان — سمي بذلك لأنها بجانبه كذا عرفه الفاسي وعرفه الفاسي بباب بنى تيم ويقال له : باب التكية لأن أمامه التكية المصرية وله فتحتان ويتزل منه الى أرض المسجد بأحد عشر سلما ، ومكتوب عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَوَهَبْنَا لِداوودَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(٧) باب أم هانئ — بنت أبي طالب وبذلك عرفه الأزرق وذكر الفاسي أنه يسمى بباب الملاعبة لأنه بحذاء دار تنسب للقواد الملاعبة يعنى في زمنه ، وعرفه الأقسهرى بباب الفرج ويطلق عليه الآن باب الحميدية (دار الحكومة التركية) لأنها أمامه وأشهر أسمائه الأسم الأول لأن ما يليه من المسجد كان دارا لأم هانئ زوج هبيرة بن عمرو المخزومي ، وكان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار والبئر في المسجد في زيادة المهدي الثانية ، وحضر المهدي عوضها بئرا عند باب الوداع (الحزورة) ولهذا الباب متفدان أو طاقتان وله سلم ١٢ درجة يتزل منه الى أرض



90. The Great Mosque at Mecca as seen from Ibrahim's Mausoleum.



91. The Northern Western view of the Mosque of Mecca.

المسجد الحرام ، ومكتوب عليه باللون الأصفر بالخط الثلث الجميل ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ .

وبالجانب الغربي : (١) باب الحزورة — قال الفاسي : المصحف الآن بباب عزورة والحزورة أسم لسوق في الجاهلية كانت في هذا المكان ودخلت في المسجد الحرام عند توسعته ويسمى باب البقالية ، قال الأزرقى : ويقال له باب بنى حكيم بن خزام وبنى الزبير بن العوام ، والغالب عليه باب الخزامية لأنه يلي خط الخزامية ، ويقال له الآن : باب الوداع لأن الناس يخرجون منه عند سفرهم ، ولهذا الباب فتحتان وسلم من الداخل ذو درجات عشر وعليه بين البابين تاريخ لملك الناصر فرج بن السلطان الشهيد الظاهر أبو سعيد برقوق سنة ٨٠٤ هـ . ومكتوب على الباب يا مبدئ يا معيد . ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ . ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ .

(٢) باب إبراهيم — قال الفاسي : وإبراهيم المنسوب إليه هذا الباب كان خياطاً بحاس عنده على ما قيل كما ذكره البكري في كتاب المسالك والممالك ، وإن العوام نسبوه إليه . ووقع للمحافظ أبي القاسم بن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء ما يقتضى أنه الخليل عليه السلام وهو بعيد لا وجه له اهـ . وهذا الباب في الزيادة التي في هذا الجانب ، وهو ذو فتحة واحدة كبيرة وهو أكبر أبواب المسجد ، ومكتوب على يمين هذا الباب ﴿ وَعَلَىٰ آلِهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وعلى اليسار « أمر بعمارة هذا الباب المعظم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى » بدون تاريخ ، انظر داخل المسجد الحرام من جهة باب إبراهيم في (الرسم ٩٠) الذى ترى فيه قباب المسجد وشرفاته .

(٣) باب صغير — بمدرسة الشريف عبد المطلب .

(٤) باب الداودية — صغير أيضا وله ١٣ سلما .

(٥) باب العمرة — وسمى بذلك لأن المعتمرين من التنعيم يخرجون ويدخلون منه في الغالب وسماه الأزرقي باب بنى سهم ، وهو ذو طاق واحد وينزل منه الى مستوى المسجد بثتى عشرة درجة .

وفي الجانب الشمالى : (١) باب عمرو بن العاص — ويقال له : باب السدة لكونه سد ثم فتح ، ويقال له : الباب العتيق ، وهو ذو فتحة واحدة صغيرة ويعلو أرض المسجد بنحس عشرة درجة .

(٢) باب الزمامية — وهو باب صغير ذو فتحة واحدة وله تسع درجات تصل بك الى أرض المسجد .

(٣) باب العجلة — لكونه عند دار العجلة ولا يدري ما هذه العجلة ، ويقال له باب الباسطية لأنه مجاور لمدرسة عبد الباسط وله فتحة واحدة واثنى عشرة درجة .

(٤) باب القطبي — ويقال له : باب الزيادة لكونه غربى الزيادة التى فى شمالى المسجد ، وهو ذو فتحة واحدة وله ١٣ درجة .

(٥) باب سويقة — وهو فى صدر زيادة دار الندوة أى فى شمالها ، ويعرف الآن بباب الزيادة ، وكان يقال هذا على باب القطبي ، ولباب سويقة ثلاث فتحات وينزل منه الى أرض المسجد بثلاث عشرة درجة .

(٦) باب المحكمة — وهو صغير ذو فتحة واحدة ولا سلم له .

(٧) باب الكتبخانة — ويقال له : باب المدرسة ذو فتحة واحدة .

(٨) باب دريبة — وهو فى الطرف الشمالى الشرقى وذو فتحة واحدة .

مآذن المسجد الحرام — له سبع مآذن : (الأولى) مئذنة باب العمرة فى ركن

المسجد الشمالى الغربى ، وقد بناها المنصور العباسى فى عمارته للمسجد سنة ١٣٩ هـ .

وجددتها وزير صاحب الموصل سنة ٥٥١ هـ . وأصلحت في سنة ٨٤٣ هـ .
 في ولاية السلطان چقمق ، وفي سنة ٩٣١ هـ . أمر السلطان سايمان بهدم هذه
 المنارة وإعادة بنائها محكما ، (الثانية) مئذنة باب السلام عمرها المهدي العباسي
 سنة ١٦٨ هـ . (الثالثة) مئذنة باب عليّ عمرها المهدي أيضا في التاريخ السالف ،
 وجددت بالمجر الأصفر في عمارة السلطان سليمان للمسجد . (الرابعة) مئذنة باب
 الحزورة (باب الوداع) عمرها المهدي أيضا، ثم عمرت زمن الأشرف شعبان صاحب
 مصر ، وكانت سقطت سنة ٧٧١ هـ . فعمرت في السنة التالية . (الخامسة) مئذنة
 باب الزيادة عمرها المعتضد العباسي لما بنى الزيادة سنة ٢٨٤ هـ . ثم جددتها
 الأشرف برسباي في سنة ٨٢٦ هـ . (السادسة) مئذنة قايتباي بالمدرسة المعروفة
 باسمه ، وهي مجاورة لباب السلام على يسار الداخل الى المسجد وقد عمرت في حدود
 سنة ٨٨٠ هـ . (السابعة) مئذنة السليمانية في المدرسة المعروفة باسمها ، وكل هذه
 المآذن حصلت فيها زيادات وترميمات في العمارة الكبيرة التي قام بها السلطان سليم
 الثاني وأبوه في المسجد كما ستقف على ذلك بعد ، وكذلك رمت في سنة ١٠٧٢ هـ .
 على يد سليمان بك والى جدّة والحرم من قبل السلطان محمد كزلار الأغا وكل هذه
 المآذن يؤذن عليها الآن في الأوقات الخمس وشيخ المؤذنين أو الميقاتي يؤذن على قبة
 زمزم فيتبعه باقي المؤذنين على المآذن ومثبت في الحائط الجنوبي لهذه القبة مزولة
 أهداها رجل مراكشي الى المسجد وهي في غاية الضبط والإحكام وعليها ميقاتهم
 في النهار . أنظر في (الرسم ٩١) ست مآذن من السبع .

توسعة المسجد الحرام وعمارته وتاريخ ذلك — ذكر الأزرق والامام

أبو الحسن الماوردي وغيرهما أن المسجد الحرام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
 وأبي بكر الصديق رضي الله عنه ليس عليه جدار يحيط به ، وكانت الدور محذقة به
 من كل جانب وبين الدور أزقة يدخل منها الناس ، وكانت حدوده حدود المطاف
 الآن وهو على ذلك من عهد إبراهيم عليه السلام ، فلما أن استخلف عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه أشترى دورا هدمها ووسع بها المسجد — وكانت تلك أول زيادة —

وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وامتنع من البيع فوضع^(١) أثمانها في خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك، وقال لهم عمر: إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها ولم تنزل الكعبة عليكم ثم جعل سيدنا عمر على المسجد جدارا قصيرا محيطا به دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه فكان عمر أول من اتخذ للمسجد جدارا ووضع له المصابيح، وذكر القاضي في جامعه: أن أول من استصبح لأهل الطواف عتبة بن الأزرق وكانت داره لاصقة بالمسجد فكان يضع في جداره مصباحا كبيرا يضئ لمن يطوف بالبيت . ولما كان زمن عثمان وكثر الناس اشترى دورا وسع بها المسجد وقد أبى قوم أن يبيعوا فهدم عليهم فصاحوا به فقال لهم: إنما جرأكم على حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد ثم أمر بهم إلى الحبس حتى شفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجهم . وجعل عثمان للمسجد أروقة فكان أول من اتخذ الأروقة له وكانت توسعه عمر في سنة ١٧ هـ . وتوسعة عثمان في سنة ٢٦ هـ . وفي سنة ٦٤ هـ . اشترى عبد الله بن الزبير دورا وسع بها المسجد من جانبيه الشرقى والجنوبى توسعه كبيرة ، ومن جملة ما اشتراه بعض دار الأزرق جد الأزرق صاحب تاريخ مكة وكانت شرق المسجد، وقد اشترى بعضها هذا ببضعة عشر ألف دينار، وفي سنة ٧٥ هـ . حج عبد الملك بن مروان وعمر المسجد ولم يزد فيه ولكن رفع جدره وسقفه بالساج، وجعل في رأس كل أسطوانة ٥٠ مثقالا من الذهب ثم وسعه ابنه الوليد ونقض عمل أبيه وعمله عملا محكما وسقفه بالساج المزخرف وأزَّر المسجد من داخله بالرخام وجعل له شرفا ، وجعل على رأس الأساطين الذهب على صفايح الشبه من الصفر (الشَّبه والشَّبه نوع من النحاس) وجعل في وجوه الطيقان من أعلاها الفسيفساء وهو أول من جعلها بالمسجد الحرام وأول من نقل إليه أساطين الرخام . وفي ولاية زياد بن عبد الله الحارثي على مكة أمره أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس

(١) تفعل حكومتنا مثل هذا . فن أخذت منه شيئا للصاحبة العائمة وأبى أخذت منه أودعته خزينته

بزيادة المسجد الحرام فوسعه من جانبه الشمالى ومن جانبه الغربى ، ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين إلا رواقا واحدا ، وكان آتداء عمل ذلك فى المحرم سنة ١٣٧ هـ . والفراغ منه فى ذى الحجة سنة ١٤٠ هـ . وكانت زيادته ضعف ما كان عليه المسجد وقد زينته بالذهب وأنواع النقوش وبني مئذنة بنى سهم . ولما حج المنصور سنة ١٤٠ هـ . رأى حجارة الحجر بادية فأمر عامله زيادا المذكور بتغطيتها بالرخام ليلا حتى اذا أصبح لا يراها إلا مغطاة وقد فعل ما أمر به على السراج قبل أن يصبح الصباح ثم إن المهدي بن أبى جعفر وسع المسجد الحرام بعد موت أبيه من أعلاه ومن الجانب اليمانى ومن الموضع الذى آتته إلى أبوه فى الجانب الغربى حتى صار على ما هو عليه اليوم ما عدا الزيادتين فانهما أحدثتا بعده كما سياتى . وكانت عمارة المهدي فى نوبتين الأولى فى سنة ١٦١ هـ . وزاد فيما زاده أبوه رواقين ، والثانية فى سنة ١٦٧ هـ . وكان أمر بها لما حج حجته الثانية فى سنة ١٦٤ هـ . ورأى الكعبة فى شق من المسجد فكره ذلك وأحب أن تكون فى وسطه ، فدعا المهندسين وشاورهم فى ذلك فمقدروا ذلك فاذا هو لا يستوى لهم من أجل الوادى والسيل ، وقالوا : إن وادى مكة له سيول قوية العزم ونخشى ان حوّلنا الوادى عن مكانه أن لا يتم لنا ما نريد ، فقال المهدي : لا بد لى من سعة المسجد حتى تكون الكعبة فى وسطه ولو أنفقت فيه جميع ما فى بيوت المال وعظمت نيته فى ذلك وقوى عزمه ، فقدر المهندسون ذلك وهو حاضر ونصبوا الرماح على الدور من أول موضع الوادى الى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل فى المسجد من ذلك وما يبقى فى الوادى ، ثم خرج المهدي الى العراق وخلف الأموال فاشتروا من الناس دورهم ووسعوا المسجد ولم يكمل ذلك إلا فى خلافة آبنه موسى الهادى . لمعالجة المنية للمهدي ، وكان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليمانى وبعض الغربى . وأنفق المهدي رحمه الله فى ذلك أموالا عظيمة بحيث صار ثمن الذراع المربع مما دخل فى المسجد الحرام خمسة وعشرين دينارا — اثنى عشر جنيها ونصفا — وثمانه مما دخل فى الوادى خمسة عشر دينارا ، ونقل الى المسجد الحرام أساطين الرخام

من مصر وغيرها في السفن حتى أنزلت بجدة وحملت منها على العجل الى مكة ، قال الأزرق : ووسع المهندسون باب بنى هاشم الذي يستقبل الوادى وجعلوا إزاءه بابا في الجهة الأخرى يقابل خط الخزامية - وهو باب الحزورة أو البقالين - وقالوا إذا جاء سيل عظيم ودخل المسجد نخرج من ذلك الباب .

وفي خلافة هارون الرشيد عمل أمير مكة عبد الله بن محمد بن عمران الطلحي مظلة للمؤذنين التي على سطح المسجد ليؤذنوا فيها يوم الجمعة وكانوا يؤذنون قبل ذلك في يومها على سطح المسجد صيفا وشتاء .

ولم يزد في المسجد الحرام بعد عمارة المهدي سوى زيادة دار الندوة في الجانب الشامي (الشمالى) وزيادة باب إبراهيم في الجانب الغربى ، وكان سبب الزيادة الأولى كما فصله الفاسى عن إسحاق الخزاعى أن بعض أهل الخير كتب الى وزير الخليفة المعتضد العباسى يحسن له جعل ما بقى من دار الندوة مسجدا ويقول له : إن هذه مكرمة لم تنهأ لأحد من الخلفاء بعد المهدي ، فلما بلغ ذلك المعتضد عظمت رغبته وأخرج لذلك مالا عظيما فأخرجت القمام - جمع قمامة وهى الكفاسة - من دار الندوة وجعلت مسجدا ووصلت بالمسجد الكبير وعمره بأساطين وطاقات وأروقة مسقفة بالساج المزخرف ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثنا عشر بابا بعقود ستة كبار، تحت كل عقد منها باب سعته خمسة أذرع في ارتفاع أحد عشر، وبين العقود الكبيرة ستة صغيرة تحت كل عقد باب سعته ذراعان ونصف في ارتفاع ثمانية أذرع وثلاث ، وجعل في هذه الزيادة من الخارج ثلاثة أبواب ، بابان طاقان وباب طاق واحد شارعة الى الطريق التي حولها وجعل سقفها مسامتا لسقف المسجد الكبير وبني فيها مثذنة وشرفا ، وفرغ من ذلك في ثلاث سنين ، وذرع هذه الزيادة طولاً أربعة وستون ذراعا من الشمال الى الجنوب ، وذرعها عرضا من وسط الجدار الشرقى الى وسط الغربى سبعون ذراعا بذراع الحديد . ولم يبين إسحاق الخزاعى السنة التي فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة ولعل ذلك كان في سنة ٢٨٤ هـ . على مقتضى ما ذكره إسحاق من أن الكتابة الى المعتضد بسبب إنشائها كانت في سنة ٢٨١ هـ . ثم ذكر

أن القاضي محمد بن موسى لما كان إليه أمر البلد غير الطاقات (الأبواب) التي كانت في جدار المسجد الكبير وجعل ذلك بأساطين حجارة مدوّرة عليها ملاين - كتل خشبية في نهاية الأعمدة ومبدأ العقود - ساج بعقود من الآجر والحص الأبيض ، فوصل الزيادة بالمسجد الكبير وصولاً أحسن من الأول حتى صار من في دار الندوة من مصل ومستقبل يرى القبلة كلها وكان ذلك في سنة ٣٠٦ هـ . وقد كانت دار الندوة منزلاً للخلفاء والأمراء في صدر الإسلام إذا حجوا ، ولكن أهمل أمرها في منتصف القرن الثالث فأخذ يتهدم بناؤها وألقيت فيها القمام حتى أضيفت إلى المسجد .

وأما الزيادة التي في الجانب الغربي المعروفة بزيادة باب إبراهيم فنقل الفاسي رحمه الله أنه لما كانت أيام جعفر المقتدر بالله أمير المؤمنين أمر أن يجعل هذا المحل مسجداً ويوصل بالمسجد الكبير ، فعمل على ما هو عليه اليوم فاتسع الناس به وصلوا فيه وكان ذلك سنة ٣٧٦ هـ . والمسقى الذي بالزيادة المذكورة من عمل الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون وكان إنشائه في حدود سنة ٧٥٩ هـ . أو في السنة التي بعدها ، وطول هذه الزيادة ٥٧ ذراعاً إلا ربعاً وعرضها اثنان وخمسون ذراعاً وربع .

وفي سنة ٦٤١ هـ . أجرى صاحب اليمن علي بن عمر عمارة داخل باب السلام ووقف كثيراً من الكتب للمسجد الحرام . وفي سنة ٧٨١ هـ . أرسل الأمير زين الدين العثماني من مصر مملوكه سودون باشا لعمارة المسجد الحرام وكان مما عمله تحلية الباب والميزاب وتبييض سطح الكعبة .

وفي ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة ٨٠٢ هـ . ظهرت نار من رباط رامشت المعروف الآن برباط ناظر الخالص عند باب الحزورة المعروف بباب عزورة بالجانب الغربي من المسجد الحرام ، فلم يكن غير لحظة حتى تعلقت النار بسقف المسجد وعمّ الحريق الجانب الغربي وبعض الرواقين المقدمين من الجانب

الشامى بما فى ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعاً وانتهى الحريق إلى محاذة باب العجلة وصار ما احترق أكواماً عظيمة تمنع من الصلاة فى موضعها ومن رؤية البيت الشريف ثم من الله بعمارة ذلك فى مدة يسيرة على يد الأمير بيسق الظاهرى ، وكان قدومه لذلك سنة ٨٠٣ هـ . فلما رحل الحاج من مكة شرع فى رفع الأكوام حتى فرغ منها ، ثم ابتداء فى العمارة حتى عاد ذلك كما كان ، وكان الفراغ من ذلك فى أواخر شعبان سنة ٨٠٤ هـ . وعجب الناس كثيراً من سرعة العمارة فى هذه المدة لأن من رأى ذلك قبل العمارة يقطع بأن هذه العمارة إنما تتم فى مدة سنتين باعتبار العادة فى العمارات ، فسهل الله فراغها فى تلك المدة وجعلت الأساطين فى الجانب الغربى كلها من حجارة منحوتة وكذلك الجانب الشامى . ا خلا أساطين يسيرة فى مقدمه فانها رخام مكسر ملصق بالحديد ، ولم يبق من ذلك محتاجاً للعمارة إلا سقف الجانب الغربى وما أخرجه عن إتمام ذلك إلا فقده خشب الساج ولو وجده لأتم ذلك قبل موسم سنة ٨٠٤ هـ . ولما كان المحرم مفتتح شهر سنة ٨٠٧ هـ . قدم الى مكة الأمير بيسق فأخذ يجمع الخشب ويعده للسقف ثم وضعه فى محال بسرعة ، وكان ذلك الخشب من العرعر جىء به من الطائف الى مكة ، وقد عمر فى تلك السنة مواضع من المسجد كانت متشعبة وسقوفا فيه ونقشه وكان ذلك فى أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق . وفى هذه السنة عمرت سقاية العباس بالحجر وكانت بالخشب عمرها الجواد الأصهبانى وزير صاحب الموصل .

وفى سنة ٨١٥ هـ . عمرت أماكن بالمسجد ، وفى سقفه وكان القائم بذلك قاضى مكة جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة من مال تطوع به أهل الخير . وقد كثر بعد ذلك الخلل والتشعب فى جدر المسجد وعمده وأبوابه وسقفه فقيض الله لإصلاح ذلك الأمير زين الدين مقبلاً القديدى موفداً من قبل ملك مصر وصاحبها الأشرف برسباى ، فقام بعمارة كبيرة فى كل المسجد فأقام عشرات العقود وجدد كثيراً من أبواب المسجد وعمرت سقوفه وطلبت بالنورة وكان ذلك فى سنتى ٢٥ و ٢٦ بعد الثمانمائة .

وفي سنة ٨٤٢ هـ . عمر الأمير سيدوم سقف المسجد ، وفي سنة ٨٥٢ هـ .
رمم بعض أماكنه بمرم خواجه ناظر الحرمين من قبل السلطان چقمق .

وفي سنة ٧٧٨ هـ . عمر السلطان الغورى باب إبراهيم بجعل له عقدا بعد أن
لم يكن ، وجعل فى أعلاه قصرا وفى جانبيه سكنين وبيوتا تغل بالكراء وبني ميسأة
خارج باب إبراهيم .

وفي سنة ٩٧٩ هـ . صدر أمر السلطان سليم خان ببناء المسجد الحرام على
أكل درجات الاتقان وأن يعتاض عن السقف بقبب دائرية وأرسل الى سان باشا
صاحب مصر ليعث من يقوم بهذا العمل من الكجار ، فعين الباشا أحمد بك فكان
تعييننا صادف أهله فإنه طبع على حب الخير وعدم الاكترات بالدنيا وشدة العطف
على الفقراء ، وقد وصل مكة سلخ ذى الحجة سنة ٩٧٩ هـ . ومعه الإجازات السلطانية
بمباشرة البناء على أن يكون تحت إشراف القاضى حسين مدبر المملكة الحسينية وسفير
الأقطار الحجازية ، واستصحب أحمد بك شيخ المهندسين بمصر المعلم محمدا المصرى ،
وقد بدأ بالهدم يتلوه التعمير من باب السلام وكان ذلك فى الرابع عشر من ربيع الأول
سنة ٩٨٠ هـ . ولم يزل يبنى على الشكل الذى نراه الآن حتى أتم الجانين الشرقى
واليمانى . وقد أتى نعى السلطان سليم خان وتولية ابنه السلطان مراد ، وورد منه أمر
لأحمد بك بأن يستمر فى عمارة المسجد ويستنجزه الاتمام ، بخد جدته فى العمارة حتى
أتم المسجد فى أواخر سنة ٩٨٤ هـ . فكان تزهة الناظر وجلاء الخاطر وبلغ ما أنفق
فى هذه العمارة ١١٠٠٠٠ دينار (٥٥٠٠٠٠ جنيه تقريبا) ومائة ألف من الذهب
الإبريز ، وذلك عدا ما وصل من مصر من مواد البناء مثل الخشب والحديد وأهلة
القباب المطلية بالذهب ، وهذا الشكل هو الذى تراه بالمسجد الى يومنا هذا وقد
وصفناه لك قبلا .

وفى هذه العمارة خفض العمال أرض الشارع الموصل الى المسفلة بحيث صار
يصرف ماعساه يدخل الى المسجد من مياه السيول التى كثيرا ما كانت سببا فى نقض

أركانها وهدم بنيانه وقد رُم المسجد الحرام في سنة ١٠٧٢ هـ . سليمان بك والى جدة وشيخ المسجد الحرام بمال زوّده به سلطان مصر محمد كزلاز الأعا .

هذا وقد كانت الزيادات التي تتخلف من الدور التي دخلت في تربع المسجد في كل عماراته يبنى بعضها مدارس وبعضها أروقة يسكن فيها فقراء طلبة العلم في المسجد، وكان لها أوقاف جمة ولكن كثيرا ما تغيرت أوقافها واستبدل بها غيرها أو خرجت من يد واقف الى يد آخر أقوى منه ، ومن ذلك مدرسة قايتباي التي لا تزال للآن على يسار الداخل الى المسجد من باب السلام فانها بعد أن كانت مدرسة تدرس فيها علوم الدين ولها أوقاف بمصر تصرف غلاتها عليها ضعفت أوقافها شيئا فشيئا فتقلوها من دار علم الى دار ضيافة كان ينزل فيها أمراء الحج المصري ثم سار يسكنها بعض أشرف بني غالب .

مقام إبراهيم عليه السلام — (١) ما المراد به . قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وقال تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ قال شيخ المفسرين ابن جرير في تفسيره اختلف أهل التأويل في مقام إبراهيم فقال بعضهم : مقامه هو الحج كله (أى مشاعره) ، وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وعطاء ، وقال آخرون : مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار ، وحكى ذلك عن هؤلاء الثلاثة أيضا ، وقال آخرون : مقام إبراهيم الحجر الذي قام عليه إبراهيم حين ارتفع بناؤه وضعف عن رفع الحجارة وأسنده الى ابن عباس ، وقالت طائفة رابعة : بل مقام إبراهيم هو مقامه المعروف في المسجد الحرام وعزا ذلك الى قتادة وعمار والسدي ، ثم قال ابن جرير : وأولى هذه الأقوال بالصواب عندنا ما قاله القائلون إن مقام إبراهيم هو المقام المعروف بهذا الاسم الذي هو في المسجد الحرام ، لما روينا عن عمر بن الخطاب أنه قال : قلت يا رسول الله ! لو اتخذت المقام مصلى فأنزل الله ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ولما حدثنا يوسف بن سليمان قال : حدثنا حاتم بن إسماعيل قال : حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : استلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركن فرمل ثلاثا ومشى أربعا

ثم تقدم الى مقام ابراهيم فقرأ ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ لجعل المقام بينه وبين البيت فصلى ركعتين ، فهذان الخبران يثبتان أن الله تعالى ذكره إنما عنى بمقام ابراهيم الذى أمرنا الله باتخاذَه مصلى هو الذى وصفنا ، ولو لم يكن على صحة ما اخترنا فى تأويل ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان الواجب فيه من القول ما قلنا ، وذلك أن الكلام محمول معناه على ظاهره المعروف دون باطنه المجهول حتى يأتى ما يدل على خلاف ذلك مما يجب التسليم له ، ولا شك أن المعروف فى الناس بمقام ابراهيم هو المصلى الذى فيه قال الله تعالى ذكره ﴿وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ وقد روى الخبرين اللذين ذكرهما ابن جرير البخارى فى صحيحه الأول فى كتاب التفسير والثانى فى كتاب الحج ونرى أن الآية صريحة فى أن المصلى بعض من المقام أى موضع التيام والحجر لا يصلح أن يكون مصلى لصغره فالمقام مكان غيره أكبر منه ولعل الحجر المعروف الآن بمقام ابراهيم كان موضوعا فى مكان قيامه علامة عليه .

(٢) قياس المقام - (الحجر) وتحليته . قال القاضى عز الدين بن جماعة :

حررت لما كنت مجاورا بمكة سنة ٧٥٣ هـ . مقدار ارتفاع المقام عن الأرض فكان $\frac{1}{8}$ الذراع ، وأعلى المقام مربع من كل جهة $\frac{3}{4}$ الذراع ، وموضع غوص القدمين ملابس بالفضة ، وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط من ذراع القماش المستعمل فى مصر . اهـ .

وأول ما حلّى المقام فى خلافة المهدي العباسى لأنه رفع فأنشئ لرخاوة حجره ، فكتب الحجة الى المهدي يعرفونه بذلك وأنهم يخشون عليه أن يتفتت ، فبعث المهدي فى سنة ١٦١ هـ . بألف دينار أو أكثر فضبوا بذلك المقام من أعلاه وأسفله ، فلما كان فى خلافة المتوكل زاد فى تضييب المقام سنة ٢٣٦ هـ . ومقدار ما زاده ٨٠٠٠ مثقال من الذهب و ٧٠٠٠٠ درهم من الفضة وكان ذلك فوق حليته الأولى ثم أن جمعفر بن الفضل عامل مكة ومحمد بن حاتم قلعا حلية المتوكل وضرباها دنانير ليستعينا بها على ما قيل فى حرب إسماعيل بن يوسف العلوى الذى خرج وأفسد بمكة والمجاز فى سنة ٢٥١ هـ . ولم تزل حلية المهدي على المقام الى أن قلعت عنه

في محرم سنة ٢٥٦ هـ . لأجل إصلاحه لأن المنجبة ذكروا لعامل مكة على بن الحسن العباسي أن المقام وهى وتسالت أحجاره ويخشى عليه ، وسألوه في تجديد عمله وتضيبه حتى يشتد فأجابهم لسؤالهم وزادهم ذهباً وفضة الى حلته الأولى ، فعمل له طوقان من ذهب فيهما ١٩٩٢ مثقال ، وطوق من فضة ، وأحضر المقام الى دار الإمارة وأذيت له العقاقير بالزئبق وشد بها شداً جيداً حتى التصق ، وكان قبل ذلك سبع قطع زال عنها الالتصاق لما قلعت الحلية عنه سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦ هـ . لأجل إصلاحه ، وكان الذى شدته بيده فى هذه السنة بشر الخادم . ولى أمير المؤمنين المعتمد العباسي وحمل المقام بعد لصقه وتركيب الحلية عليه لشدته الى موضعه وكان ذلك فى يوم الاثنين ٨ ربيع الأول سنة ٢٥٦ هـ .

(٣) موضع المقام والمصلى خلفه — قال التقي الفاسي : روى الأزرقى

— توفى سنة ٢١٧ هـ — عن ابن أبي مليكة أن موضع المقام الآن هو موضعه فى الجاهلية وفى عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخليفين بعده إلا أن السيل — سيل أم نهشل سنة ١٧ هـ — ذهب به فى خلافة عمر رضى الله عنه فجعل فى وجه الكعبة — الجهة الشرقية التى فيها الباب — حتى قدم عمر فردّه الى مكانه بمحضر من الصحابة . ونقل المحب الطبرى عن مالك فى مدوّنته أنه قال : كان المقام فى عهد ابراهيم عليه السلام فى مكانه اليوم وكان أهل الجاهلية الصقوه بالبئيت خيفة السيل ، فكان كذلك فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، فلما ولى عمر ردّه بعد أن قاس موضعه بخيوط قديمة قيس بها حتى أنحروه ، قال التقي الفاسي : وهذا يخالف قول الأزرقى وحديث جابر الصحيح ، ثم قال بعد كلام طويل : فيتحصل فيمن ردّه الى موضعه الآن — سنة ٨١٢ هـ — ثلاثة أقوال : أحدها أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، والثانى أنه عمر ، والثالث أنه غيرهما ، ثم قال : موضع المقام الآن هو موضعه فى عهد الخليل عليه السلام من غير خلاف أعلمه فى ذلك ، وأما الخلاف فى موضعه اليوم هل هو

موضعه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن أبي مليكة أو لا كما قال مالك، ثم قال وكان ردّ عمر للمقام الى موضعه هذا لما غيره عنه السيل سنة ١٧ هـ .

قال التقي الفاسي : المقام الآن تحت قبة عالية من خشب قائمة على أربعة أعمدة دقيقة من حجارة منحوتة بينها أربعة شبابيك من حديد بين كل عمودين شباك، ومن الجهة الشرقية يدخل الى المقام، والقبة مزخرفة من باطنها بالذهب، ومما يلي السماء مبيضة بالنورة، وأما المصلى الذي هو خلف المقام فعليه ظلة قائمة على أربعة أعمدة منها عمودان عليهما القبة إذ هي متصلة بالقبة، والظلة مزخرف سقفها من الباطن بالذهب ومبيض من أعلاه بالنورة، وأحدث وقت صنع فيه ذلك شهر رجب سنة ٨١٠ هـ . واسم الملك الناصر فرج صاحب الديار المصرية والشامية مكتوب فيه بسبب هذه العمارة، واسم الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر مكتوب في الشباك الشرق بسبب عمارته له سنة ٧٢٨ هـ . ومقام ابراهيم في وسط القبة بين شبابيكها الأربعة الحديدية، ويحيط بالمقام قبة من الحديد - مقصورة - مثبتة في الأرض برصاص مصبوب بحيث لا يستطيع قلع القبة التي فوقه إلا بالمعاول وشبهها، ولعل هذه القبة الحديدية هي التي كانت توضع فوقه عند قدوم الحاج الى مكة صونا له لكونها أشدّ تحملا للآزدحام والاستلام على ما ذكر ابن جبير في رحلته سنة ٥٧٩ هـ . وقد ذكر ما يدل على أن المقام لم يكن ثابتا بل كان تارة يجعل في الكعبة وتارة في موضعه الآن في قبة من خشب، فاذا كان الموسم أبدل بها القبة الحديدية، قال التقي الفاسي وما عرفت متى جعل المقام ثابتا في القبة على صفته التي هو عليها الآن، وأما القبة التي فوق القبة الحديدية التي في جوفها المقام فافظن أن الملك المسعود صاحب اليمن ومكة أول من بناها . ١٠ هـ .

وقد جددت قبة المقام في سنة ٩٠٠ هـ . وكذلك في سنة ١٠٤٩ هـ . ونقشها بالذهب في سنة ١٠٧٢ هـ . سليمان بك والى جدّة ومكة من قبل سلطان مصر محمد

كزلار ، وقد رأيت مكتوبا على القبة من الجهة الجنوبية « أمر بتجديد هذا المقام الشريف مولانا العبد الفقير الى الله تعالى سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى عز نصره فى ١٥ شهر رجب الفرد سنة ٥٩٠٠ هـ . ومكتوبا عليها فى الجهة الغربية المقابلة لباب الكعبة « أمر بتجديد هذا المقام المعظم سيدنا ومولانا السلطان المظفر سليم خان بن السلطان بايزيد خان — وعلى الجهة الشمالية بقية أجداده — سنة ١٠٤٩ هـ » . وقد قست المسافة بين المقصورة التى على المقام وجدار الكعبة الذى فيه الباب من الوسط فاذا هى ١٥٤٠ مترا ، ودخلت المقصورة مع المطوف فوضع من ماء زمزم على أثر القدمين وشربنا منه فى حجتنا هذه سنة ١٣١٨ هـ . وكان خليقا بى وبالمطوف أن نتجنب التبرك بالآثار والشرب من مواطئ الاقدام وأن ندع هذه البدعة جانبا ولا نفعل عند هذا الأثر سوى ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة عنده أمثالا لأمر الله تعالى ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ولكنى كنت فى هذا الوقت لما تنضج معلوماتى الدينية فى الحج ومشاعره ولم أكن وقفت تمام الوقوف على تأثير البدع السيئ فى الدين ، وقد دعانى الإنصاف الى ذكر الواقع ودعانى البصر بالدين الى انكار ما حصل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ .

وقد رسمت المقام فى حجتى سنة ١٣٢٥ هـ . وهو الذى تراه فى (الرسم ٣٣) بجوار الكعبة والمنبر ، وبالتأمل فى الرسم تجد فى كل جهة شباكين وترى فى وسط المقام القبة . وفى (الرسم ٩٣) الجانب الأمامى من كسوة المقام التى تصنعها مصر ، وفى الجدول الآتى ما سطر على كسوة المقام :

ما سطر على كسوة مقام إبراهيم عليه السلام

الوجه الرابع	الوجه الثالث	الوجه الثاني	الوجه الأول
للطائفين والمعاكفين والركع السجود	وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي	مائة الناس وما اتخذوا من مقام إبراهيم صلى	بسم الله الرحمن الرحيم . وإن جعلنا البيت
واعلم أن الله عزيز حكيم . صدق الله ربنا وخالفنا العزيز الرحيم	إليك ثم اجعل على كل جبل منين جزاء ثم ادعهم بأثنيك سبعاً	قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن لبطمئن قلبي قال فخذوا بعه من الطير فصرهن	بسم الله الرحمن الرحيم . وإن قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى
إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين	دخاه كان آتناً والله على الناس حج البيت من استطاع	بيكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن	بسم الله الرحمن الرحيم . إن أول بيت وضع للناس للذي
حسن رضى الله عنه حسين رضى الله عنه	عثمان رضى الله عنه علي رضى الله عنه	أبو بكر رضى الله عنه عمر رضى الله عنه	الله جل جلاله . محمد صلى الله عليه وسلم
ابن السلطان	السلطان محمد خان الخامس ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان	بسم الله الرحمن الرحيم هو الذي أرسل رسوله بالهدى	بسم الله الرحمن الرحيم قل كل يعمل على
أحمد خان خلد الله خلاقه	ابن السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد خان	ودين الحق ليظوره على الدين كله وكفى بالله شهيدا	شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا
ونهاية الدوران سنة ١٣٢٧ هـ			

المقامات الأربع أو مواقف الأئمة في الصلوات المفروضة

قال التقي الفاسي في كتابه شفاء الغرام :

مقام الشافعي خلف مقام إبراهيم بينه وبين جدار الكعبة الشرقي $\frac{1}{4}$ ٣٩ ذراعا
بذراع الحديد وبينه وبين الأسطوانتين المؤخرتين من سباط مقام إبراهيم $\frac{1}{4}$ ٩ أذرع
— وأقول إن هذا المقام لا وجود له الآن وإمام الشافعية يصلي في مقام إبراهيم
أو على سطح زمزم قال : ومقام الحنفي بين جدار محرابه الى وسط جدار الحجر
 $\frac{5}{6}$ ٣١ ذراعا ، ومن جدار محرابه الى حد حاشية المطاف $\frac{1}{4}$ ١٠ أذرع بالعتبة ،
وعرض العتبة نصف ذراع وقيراطان ، ومقام المالكي من جدار محرابه الى وسط
جدار الكعبة الغربي $\frac{2}{3}$ ٣٧ ذراعا ومن جدار المحراب الى حاشية المطاف بالعتبة
 $\frac{1}{4}$ ١٠ أذرع ، ومقام الحنبلي من جدار المحراب الى الحجر الأسود في الجنوب
 $\frac{2}{3}$ ٢٧ ذراعا بعتبة الحاشية « ذراع الحديد $\frac{1}{4}$ ٥٦ ستيا كما سيأتي بيانه » .

(١) مقام الحنفي قال التقي الفاسي : في أواخر سنة ١٨٠١ هـ . وأوائل سنة ١٨٠٢ هـ .
بنى مقام السادة الحنفية وهو قائم على أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون
مزخرف ، وأعلاه مما يلي السماء مطلى بالنورة وبين الأسطوانتين المقدمتين محراب
مرخم ، ثم قال : وأنكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء منهم الشيخ العلامة
زين الدين الفارسكوري الشافعي وألف في ذلك تأليفا حسنا ، والشيخ سراج الدين
البلقيني وولده جلال الدين قاضي القضاة بالديار المصرية وكذلك القضاة وأفتوا
بهدم هذا المقام وتعزير من أفتى بجواز بنائه على هذه الصفة ، ورسم ولي الأمر بهدمه
فعارض في ذلك بعض ذوى الهوى فلم يتم الأمر ، وسبب الإنكار ما حصل من شغل
الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه وما يتوقع من إفساد أهل اللهوفيه لأجل
سترته لهم ، وسبب المعارضة أن بعض علماء الحنفية إذ ذاك أفتى بجواز بقائه لما
فيه من تظليل المسلمين من الحر ووقايتهم من البرد والمطر ، وحكمه في ذلك حكم
الأروقة والأساطين التي في المسجد ، وفي سنة ١٨٣٦ هـ . كشف الأمير سودون

المحمدي سقف المقام المذكور وعمره وزخرفه أحسن مما كان ووضع عليه من أعلاه قبة خشب مبيضة ترى من فوق ولا أثر لها داخل المقام، وفرش فيه حجارة حمراء من حجر الماء ثم جدد مرارا بعد ذلك، وآنحمر مرة في سنة ٩١٧ هـ. واستمر على ذلك الى سنة ٩٢٤ هـ. فلما حج الأمير مصالح الدين الرومي في موسم سنة ٩٢٣ هـ. بدا له أن يهدمه فهدمه في مفتح سنة ٩٢٤ هـ. وجعله قبة كبيرة شامخة على أربع بتر (قوائم مبنية) عراض جدًا بأربعة عقود، وكل ذلك عمل بحجر الماء المنحوت ذي اللون الأحمر فالأصفر، وهذا الحجر يؤتى به من جهة الحديدية ويقال له: الشميسي، وزاد في طول المقام وعرضه وانتهى بحجراه الى إفريز حاشية المطاف وبقيت هذه القبة حتى سنة ٩٤٩ هـ. فأمر بهدمها السلطان لأنها أخذت بناء كبيرا من المسجد، فنفذ الأمر الأمير خشقلدي نائب جدة ومباشر العمائر السلطانية فهدم هذه القبة في أوائل شهر رجب سنة ٩٣٩ هـ. ثم شرع في بناء مقام عظيم للحنفية، وشكله أربع بتر جميلة في الأركان أخذت من أنقاض القبة الأولى وهي من حجر الماء، وستة أعمدة مئمة من حجر الصوان كل عمود قطعة واحدة، فمن ذلك عمودان بين البترتين المقدمتين وآخران بين المؤخرتين وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة وآخرين البترتين من جهة باب السلام مقابل للأول، وعلى ذلك عشرة عقود لطاف، وعلى ذلك سقف مزخرف من خشب الساج مصنوع صناعة ظريفة، وفوق هذا السقف ظلة للبلغين بأربع بتر، وستة أعمدة ألطف من الأعمدة التحتية وعلى شكلها في الوضع، وعلى جميعها سقف مزخرف فوقه جملي (جملون) غطي بالرصاص لدفع المطر وفي وسط السقف الأوقل طاقة يرى المبلغ منها الإمام، وفي المقام سلم جميل يصعد عليه المبلغ الى الظلة في أوقات المكتوبة وقد أتم هذا البناء في ١٣ رمضان من السنة المذكورة، وفي سنة ٩٧٤ هـ. رخم مقام الحنفية بأمر السلطان أحمد خان، وفي سنة ١٠١٠ هـ. رخم محراب هذا المقام وفي سنة ١٠٧٢ هـ. بنى سليمان بك والي جدة وشيخ الحرم وناظر عمارته من قبل السلطان محمد كزلار الأغا - المقام الحنفي بالحجر الصوان المنحوت وبالحجر الأصفر وصفح أعلى سقفه بالرصاص المطلي

بالذهب ، وجعل عليه رصافتين طليتا بالذهب كما جعل أمامه أربع رصافيات مطلية بالذهب وتتمش نقوشا جميلة بماء الذهب والأصباغ البديعة انظر (الرسم ٩٢) وفيه ترى الجهة الشمالية والشرقية من المسجد والكعبة في وسط الصحن ، والذي في يسار الرسم مقام الحنفي ذو الطبقتين ومقام المالكي ثم أعمدة المطاف ثم الحجر على شكل نصف دائرة بجوار الكعبة ، والذي على يمينها مقام إبراهيم فالقبة فباب بنى شيبه فزمزم عليها قبة أيضا ، ويلاصقها سقاية العباس ، والذي في جنوب السقاية مقام الحنبلي .

(٢ و ٣ و ٤) مقامات الشافعي والمالكي والحنبلي . عمر الأمير يسبق هذه المقامات الثلاث في سنة ٨٠٧ هـ . وكان كل مقام منها عبارة عن بترتين عليهما عقد لطيف في أعلاه ثلاث شرارييف وفيه خشبة معترضة علقت فيها الخطاطيف للقناديل ، وبين البترتين من أسفل جدار لطيف بنى من حجارة ونورة فيه محراب إلا مقام الشافعي فانه لا محراب فيه ، قال الفاسي في كتابه شفاء الغرام : وقد ذكرنا صفتها القديمة في أصل هذا الكتاب ولكن هذا الأصل لم يوجد بعد الفاسي ولا اثر عليه قال ابن ظهيرة في كتابه الجامع اللطيف : مقام الشافعي كذلك الى يومنا هذا ، وأما مقام المالكي والحنبلي فقد أدركتهما كذلك ثم غيرا بعد سنة ٩٣٠ هـ . بأحسن مما كانا عليه في أيام السلطان سليمان خان ، قال : ووصفهما الآن كل مقام بأربع أساطين مئمة الشكل ، كل أسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان المكي ، وتحت كل أسطوانة قاعدة منحوتة بتربيع وتئين ، وفوقها أخرى كذلك من الحجر الصوان فوق ذلك سقف من الخشب المدهون المزخرف فوقه أخشاب بهيئة جملي (جملون) عليها صفايح الرصاص لدفع المطر ، وفي كل مقام محراب فيما بين الأسطوانتين المقدمتين الى جهة القبلة ، وهما كذلك الى هذا التاريخ وكان المباشر لذلك عبد الكريم اليازجي الرومي ، وفي سنة ٩٧٤ هـ . رمت المقامات الثلاث بأمر السلطان أحمد خان .

وفي سنة ١٠٧٢ هـ . نقشت الثلاثة بماء الذهب والأصباغ الجميلة وذلك بأمر سليمان بك والى جدّة السابق ذكره، وكذلك جعل في أعلى كل مقام منها رصافية مطلية بالذهب وأمام كل منها ثلاث كذلك .

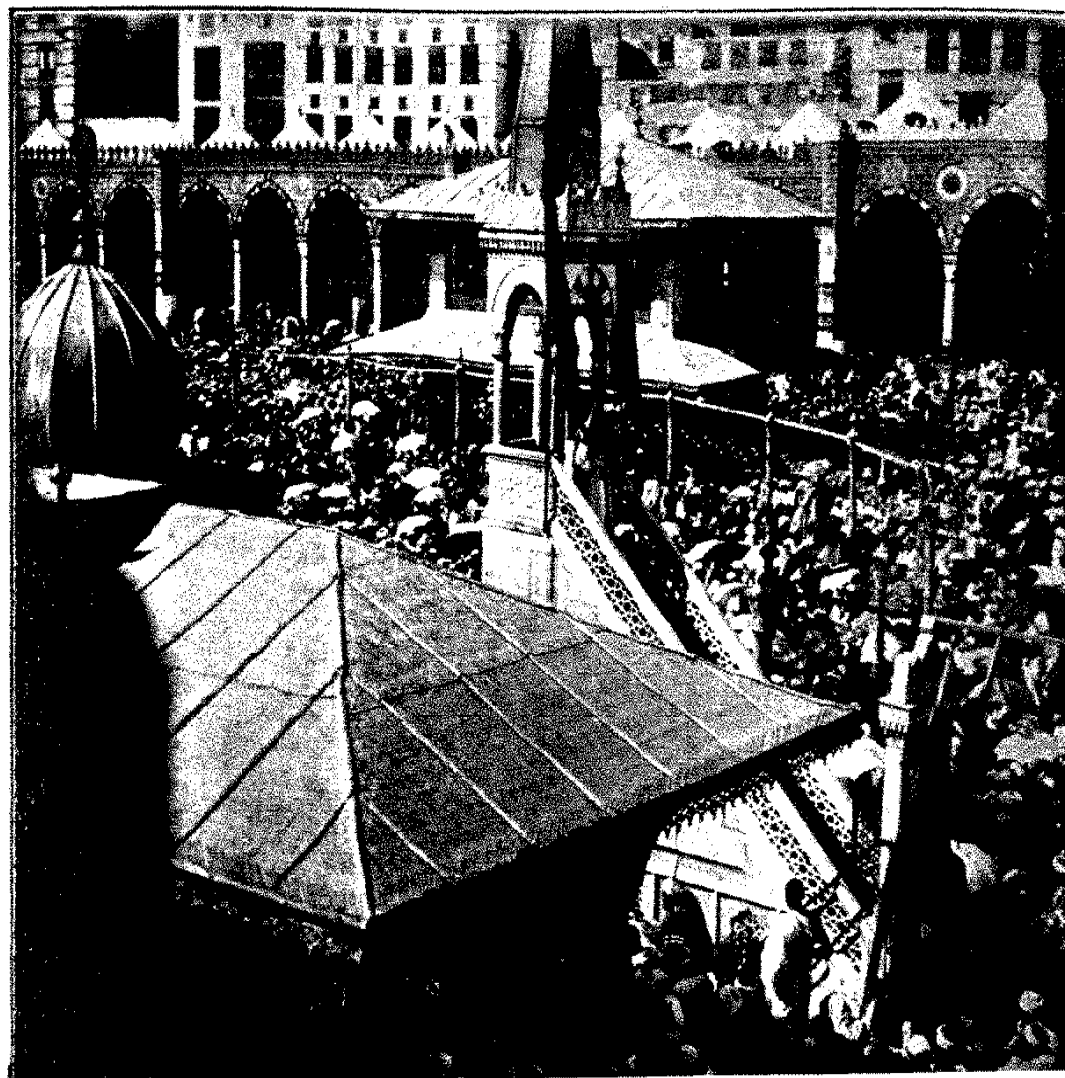
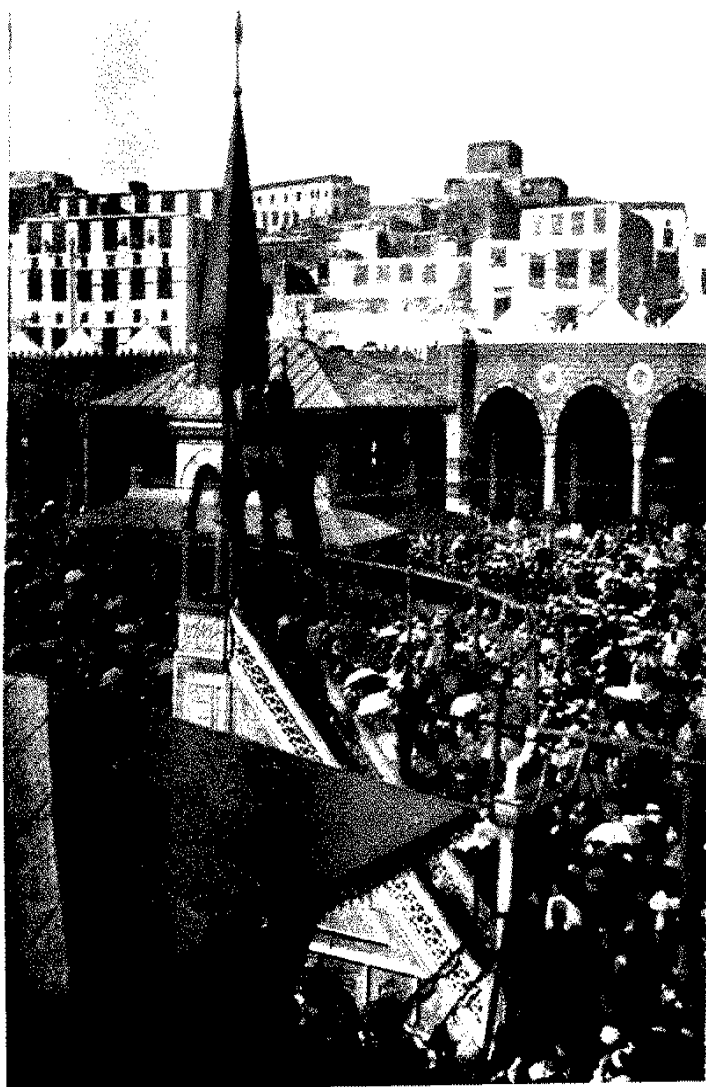
كيفية الصلاة في المقامات الأربع — قال ابن ظهيرة في كتابه الجامع اللطيف : أما كيفية الصلاة فانهم في زماننا — منتصف القرن العاشر — يصلون مرتين الشافعي في مقام الخليل عليه السلام ، ثم إمام الحنفية بعده في مقامه ، ثم إمام المالكية بعده في مقامه ، ثم إمام الحنبلية بعدهم في مقامه ، وهذا في الفجر والظهر والعصر والعشاء ؛ وأما في صلاة المغرب فكان فيما أدركناه قريبا يصلي الحنفي والشافعي في وقت واحد فحصل بذلك التخليط والتشويش على المصلين من الطائفتين بسبب اشتباه أصوات المبلغين فأنهى ذلك الى مولانا السلطان سليمان فبرز أمره بالنظر في ذلك وإزالة هذا التخليط ، فاجتمع القضاة والأمير على بك نائب جدّه في الحطيم وقضوا بأن يتقدّم الحنفي في صلاة المغرب وعند التشهد يدخل إمام الشافعي وكان هذا في حدود سنة ٩٣١ هـ . واستمر الى وقتنا هذا — عام ٩٤٩ هـ — بجزى الله الساعى في ذلك خيرا ؛ وأما المالكي والحنبلي فلا يصلون المغرب أئمة فيما أدركناه ؛ وأما كيفية الصلاة فيما تقدم من الزمان فكانوا يصلون مرتين كما في الأربع الفروض المتقدمة إلا أن المالكي كان يصلى قبل الحنفي مدة ، ثم تقدم عليه الحنفي بعد سنة ٧٩٠ هـ . ونقل الفاسي عن ابن جبير أنه اضطرب كلاهما في الحنفي والحنبلي ، لأنه ذكر ما يقتضى أن كلا منهما كان يصلى قبل الآخر ، أما صلاة المغرب فكان الأئمة الأربعة يصلونها جميعا في وقت واحد فيحصل للمصلين بسبب ذلك لبس كبير من اشتباه أصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين فأنكر العلماء ذلك وسعى جماعة من أهل الخير عند ولى الأمر إذ ذاك وهو الناصر فرج بن برقوق الحركسي صاحب مصر فبرز أمره في موسم سنة ٨١١ هـ . بأن إمام الشافعية بالمسجد الحرام يصلى المغرب وحده فنفذ أمره بذلك ، واستمر الى أن تولى الملك المؤيد صاحب

مصر فرسم بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا فنفذوا ذلك في ليلة السادس من ذى الحجة سنة ٨١٦ هـ . وكذلك يجتمع الأئمة الثلاثة غير الشافعي على صلاة العشاء في رمضان ويجتمع الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة بالمسجد الحرام في صلاة التراويح ويحصل بسبب اجتماعهم التشويش على المصلين الذي كان يقع دائما في صلاة المغرب وأعظم لكثرة الأئمة .

هذا وقد أنكر العلماء من كل المذاهب تعدد لأئمة في الصلوات الخمس ، واستشنعوا ذلك خصوصا في صلاة المغرب إذ يصلى الكل دفعة واحدة أنظر (شفاء الغرام) ١٠٠ في وقتنا هذا (سنة ١٣١٨ هـ) . فالحنفي يتدئ بالصلاة في جميع الأوقات ويتلوه المالكي ثم الشافعي ثم الحنبلي إلا صلاة الصبح فيبدأ بها الشافعي ويتأخر بها عنهم الحنفي .

وأما الوقت الذي حدث فيه تعدد الأئمة في الصلوات المفروضة فقال القاسي : لم أعرفه تحقيقا ثم نقل ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا مع الشافعي في سنة ٤٩٧ هـ . وأن الحنبلي لم يكن في ذلك الوقت وإنما كان إمام الزيدية ، ثم قال : ووجدت ما يدل على أن إمام الحنبلية كان موجودا في عشر الأربعين وخمسمائة راجع الرسالة التي كتبها الشيخ جمال الدين القاسمي في بدعة تعدد الأئمة .

منبر المسجد الحرام — كان الخطباء من الخلفاء والولاة يخطبون بالمسجد الحرام يوم الجمعة قياما على الأرض في وجه الكعبة وفي الحجر حتى كانت سنة ٥٤٤ هـ . إذ قدم معاوية بن أبي سفيان من الشام حاجا وصحبته منبر من خشب ذو درجات ثلاث خطب عليه بالمسجد الحرام وتركه وكان كلما تحرب عمر ، ولم يزل يخطب عليه حتى حج هارون الرشيد فأهدى له عامله على مصر موسى بن عيسى منبرا من خشب ذا درجات تسع ونقش بديع ، فكان منبر المسجد ونقل الأهل الى عرفه ، ثم أمر الوائلي العباسي بعمل منبر للمسجد وأحرلني وثالث لعرفه ولما حج المنتصر بن المتوكل العباسي في خلافة أبيه جعل له منبر عظيم فخطب عليه بمكة ثم خرج وخلفه بها



44. The praecher in the Pulpit during Friday Prays at Mecca Mosque.

جاء في تاريخ مكة

95. The pulpit of the Mosque of Mecca 1325 A. H.

وجعل للمسجد بعد ذلك عتدة منابر، فمن ذلك منبر عمله وزير المقتدى العباسي وأرسله من بغداد وكان منقوشا عليه بالذهب « لا إله إلا الله محمد رسول الله الإمام المقتدى بالله أمير المؤمنين » وقد بلغت نفقاته ألف دينار (٥٠٠ جنيه) ولما وصل الى مكة أحرقه المصريون ولم يبد اعتراضا على ذلك أمير مكة محمد بن جعفر، وأول من قطع الخطبة للملوك مصر وخطب للملوك بنى العباس بعد أن قطعت الخطبة لهم نحو مائة سنة وأبي أهل مصر إلا أن تكون الخطبة للاستنصر العبيدي صاحب مصر نخطب له . ثم كان بعد ذلك يخطب حينما لبني العباس وحينما للملوك مصر يقدم منهم من يجزل له العطاء ، وكانت عادة الخطباء بمكة أن تكيل الشاء للملوك كيلا من ذلك ما كان يقال للملك الكامل في الخطبة (صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزائر ووليدها سلطان القبلةين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين الملك الكامل خليل أمير المؤمنين) . ومنها منبر عمل في دولة الملك الأشرف شعبان صاحب مصر في سنة ٧٦٦ هـ . وقد أصلح مرارا ، قال التقي القاسبي هو باق يخطب عليه الآن — سنة ٨١٥ هـ . وما حوالها — ومنها منبر حسن أنفذه الملك المؤيد صاحب مصر في موسم سنة ٨١٨ هـ . وخطب عليه في سابع ذي الحجة وهجرت الخطبة على الذي قبله، وفي السنة السابقة أرسل شيخو صاحب مصر منبرا من خشب خطب عليه في يوم التروية .

وفي سنة ٨٦٦ هـ . أرسل الملك الناصر « خوشقدم » صاحب مصر منبرا من خشب خطب عليه بالمسجد في ثاني ذي الحجة من السنة المذكورة ، وفي سنة ٨٧٧ هـ . أرسل الملك الأشرف قايتباي الظاهري منبرا من خشب خطب عليه في أول ذي الحجة سنة ٨٨١ هـ . وفي سنة ٩٦٦ هـ . بعث السلطان سليمان خان بالمنبر الرخام القائم الآن بفناء المسجد وهو آية في الاحكام ودقة الصناعة ودليل على ما للصناع من البراعة، وتراه في (الرسم ٩٤) كاملا، وفي (الرسم ٩٥) إذا دققت النظر رأيت الخطيب على المنبر يلبس جبة وقباء (قفطانا) وقد لف على صدره مع رأسه « شالا » .

وقد كتب على المنبر من جهة الكعبة « الحمد لله رب العالمين قد بنى سليمان منبرا لبلد أمين » وعلى الجهة المقابلة لها « إنه من سليمان وإنه بسم الله صدق الله جل اسمه سنة ٩٦٦ هـ . » وقد أرخ القاضي صلاح الدين بن ظهيرة القرشي المكي سنة ورود هذا المنبر بقوله :

شيد الله ملك من * أسبغ الله ظله
وبأم القرى لقد * ضاعف الله نزه
إن ذا المنبر الذي * قدحوى الحسن كله
هاك تاريخه الذي * شهد الخلق فضله
لسليمان منبر * بالدعا شاهد له

سنة ٩٦٦ هـ

وأول خطبة خطبت عليه خطبة عيد الفطر قالها السيد أبو حامد النجارى ، وفى الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ١٠٢٠ هـ . شرع فى تركيب هلال المنبر الذى أرسله السلطان وكان أعلى المنبر مبنيًا بالأجر فهدم ذلك وجعل له ألواح ركبت فيها الفضة المطلية بالذهب .

وقد كان الخطباء إذا أرادوا الخطبة فى المسجد وضعوا المنبر لصق جدار الكعبة بين الركن الأسود والركن اليمانى ، فاذا أراد الخطيب أن يخطب استلم الحجر أولاً ، ثم دعا وصعد المنبر ، وبعد الخطبة كان ينقل المنبر الى مكانه بجوار زمزم ، فلما أهدى السلطان سليمان الى المسجد الحرام منبره المذكور بقى مكانه واستمرت الخطبة عليه الى اليوم ، وترى فى (الريم ٩٦) الستارة التى تسدل على باب المنبر وهى من صنع مصر .

والعادة الآن بل ومن قديم الزمان أنه اذا أراد الخطيب أن يخطب للجمعة يقبل بين شخصين من الأغوات يتراذى بينهما بيد كل منهما راية ، ثم يعمد الى الحجر الأسود فيقبله ويدعو عنده ، ثم يقصد الى المنبر بين الأذوين وأمامه شخص يضرب بالفرقة — عود به جلد رقيق — فى الهواء فيسمع من فى داخل المسجد وخارجه

صلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة

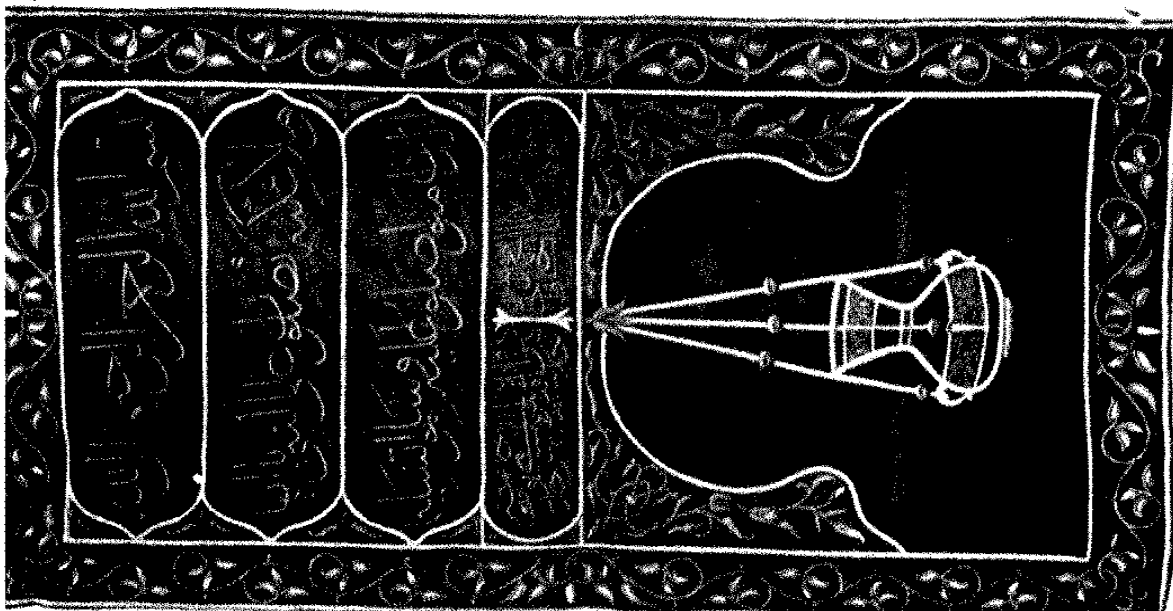


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوَابُ طَلَبِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

97. Pilgrims attending the Friday Prayers round the Kaaba.

صحة ٢٥٤

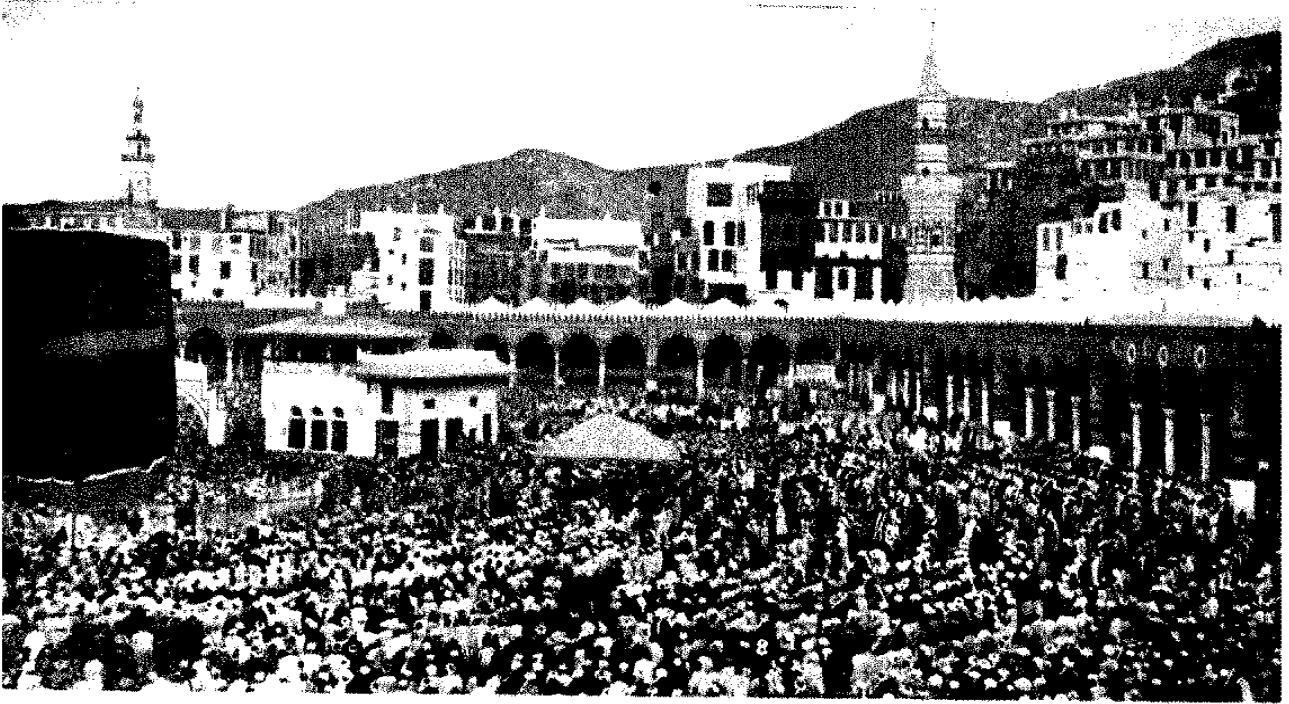
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوَابُ طَلَبِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ



96. A view of the curtain of the door of the pulpit in the Mosque of Mecca.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 جَوَابُ طَلَبِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

صلاة الجمعة حول الكعبة المشرفة

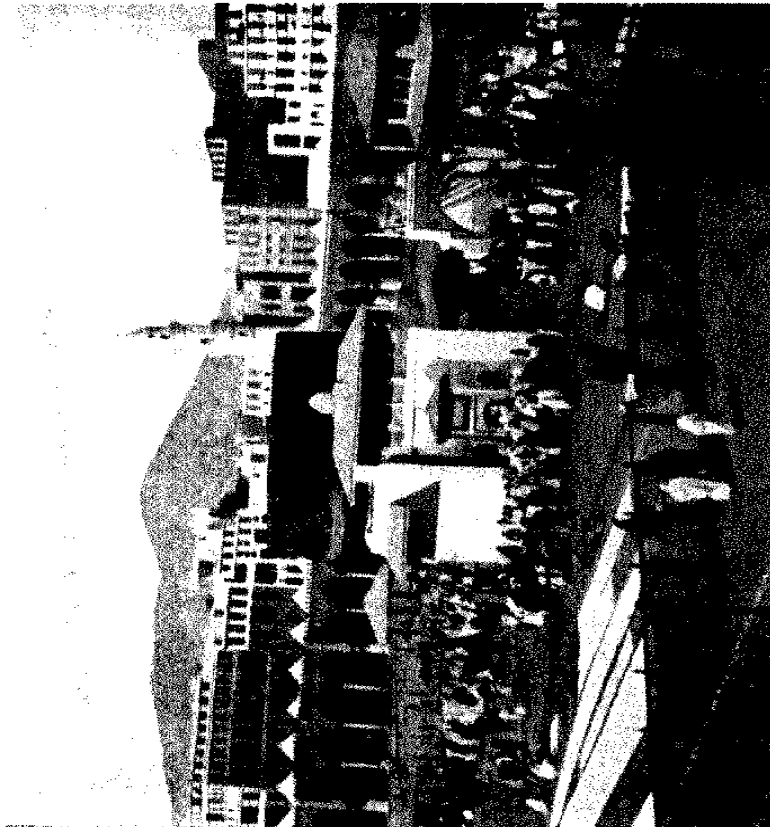


98. A view of the Friday Prayer in the Mosque of Mecca in El Hegga in 1325.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
 لولا كنا لولنا لعجزنا عن العمل
 والحمد لله رب العالمين

صحيفة ٢٥٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
 لولا كنا لولنا لعجزنا عن العمل
 والحمد لله رب العالمين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لهذا
 لولا كنا لولنا لعجزنا عن العمل
 والحمد لله رب العالمين

99. A view of Zamzam with the pilgrims drinking from it.

صوتها الشديد، ويقصد بذلك إعلام الناس بخروج الخطيب، فإذا ما كان على باب المنبر ناوله شخص هناك سيفاً وثبتت الرايتان بجانب المنبر، فإذا ما رقى الدرجة الأولى ضربها بسيفه ضربة مسعرة، وكذلك يفعل في الدرجة الثانية والثالثة، فإذا ما وصل إلى العليا فعل بها كذلك ثم يدعو بدعاء خفي ويسلم على الناس يمينا وشمالا فيردون عليه، ثم يأخذ المؤذنون على ظهر زمزم في الأذان الثاني وبعد الفراغ منه يشرع في الخطبة ومما يقوله فيها: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف ويشير بأصبعه إلى الكعبة ويدعو للخلفاء الأربعة وعمى النبي صلى الله عليه وسلم وسبطيه وأمهما وجدتهما وكذلك يدعو للخليفة وأمير مكة وإذا فرغ من الخطبة صلى وانصرف بجانبه حاملا الرايتين وبين يديه المفرقع يعلم الناس بانتهاء الخطبة والصلاة ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ ويرى في (الرسم ٩٧) الناس وهم يصلون الجمعة بالمسجد الحرام في ذى الحجة سنة ١٣٢٠ هـ . والذي على يمين الكعبة مقام ابراهيم فباب بنى شيبة فزمزم والسقاية — السقاية الآن مخزن لأدوات المسجد — وفي (الرسم ٩٨) منظر صلاة الجمعة في ذى الحجة سنة ١٣٢٥ هـ .

بئر زمزم — هذه البئر تقع جنوبي مقام إبراهيم بحيث إن الزاوية الشمالية الغربية من البناء القائم عليها محاذية للحجر الأسود على بعد ١٨ مترا منه، وماؤها طعمه قيسوني والبناء القائم عليها مربع من الداخل طول ضلعه ٥,٢٥ أمتار وهو مفروش بالرخام . وهذا البناء طبقتان : في الأولى منهما خدمة البئر، وفي الثانية خدمة من الخصيان (الأغوات) ويصعدا إليه من يريد الاستحمام على سلم من الخشب انظر (الرسم ٩٢) تجد بناء زمزم في شرقيه داخل المسجد . ويرى في (الرسم ٩٩) بناء زمزم والحجاج يدخلون إليه يستقون .

وهي بئر قديمة العهد ترجع إلى زمن إسماعيل عليه السلام، فإن أمه هاجر لما نزلت به في مكان البيت وظاعى ولدها إسماعيل طلبت الماء فلم تجده بغاء جبريل عليه السلام وبحث الأرض بعقبه، في رواية غمزها بعقبه — وكنتاهما في صحيح

البخارى — فنبع الماء على وجه الأرض ، فكان ذلك نشأة زمزم ، وأدارت هاجر عليه حوضاً خيفة أن يفوتها الماء قبل أن تملأ قربتها ، قالوا : ولو تركته لكانت زمزم عينا تجرى على وجه الأرض — على ماورد في الصحيح — وذكر الفاكهي ما يدل على أن ابراهيم عليه السلام حفر بئر زمزم بعد أن نبعت العين . وإذ ذلك بدأت عمارة مكة ولم يكن لأحد فيها قبل ذلك قرار فسكنتها قبيلة جرهم رغبة في مائها ، وقد غلب ذو القرنين ابراهيم على زمزم ردحا من الزمن ومازال ماؤها ينتفع به سكان مكة حتى استخفت جرهم بحرمة الكعبة وحرمها فدرس موضعه حتى صار لا يعرف ، وقيل إن جرهما طمست البئر حين نبيت من مكة ، ولما كان زمن عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم أرى في المنام مكان زمزم فاستبانها وحفرها قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد مدة طويلة أخذ ماؤها يتمل حتى كاد ينقطع في سنة ٢٢٣ هـ . لأن البئر أهملت وهدم كثير من جوانبها فأخذ رجل من أهل الطائف يقال له محمد بن بشير يعمل فيها . قال الأزرقي : وقد صليت في قعرها وفيه ثلاث عيون : عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبي قبيس والصفاء وعين حذاء المروة ، قال : وكان ذرع غورها من أعلاها الى أسفلها ٦٩ ذراعا ، منها ٤٠ مبنية و ٢٩ نقر في الجبل من أسفلها ، قال التقي الفاسي : وقد قيس بحضوري ارتفاع فم البئر عن سطح الأرض وقطره ومحيطه فكان الارتفاع ذراعين إلا ربعا والقطر أربعة ونصفا والمحيط خمسة عشر ذراعا إلا قيراطين ، وذلك بذراع الحديد ٥٦ ستيا — قال التقي الفاسي : — أوائل القرن التاسع — وزمزم الآن داخل بيت مربع في جدرانها تسعة أحواض للماء تملأ من بئر زمزم ليتوضأ الناس منها ، وفي الحائط المقابل للكعبة شبايبك ، وفوق هذا البيت ظلة للؤذنين ولم أدر من أقام ذلك على هذه الصفة ، ثم ذكر أنه في سنة ٨٢٢ هـ . أجرى إصلاح كبير بل عمارة جديدة في هذا البيت وأحواضه والظلة التي فوقه للؤذنين وأن ذلك كان على نفقة الجنب العالى الكبير الشيخ على بن محمد بن عبد الكريم الجيلاني نزيل مكة .

وفي سنة ٩٣٣ هـ . عمل لدائرييت زمزم طراز مذهب وكتب فيه اسم مولانا السلطان الملك المظفر سليمان نخبه آل عثمان .

وفي سنة ٩٤٨ هـ . جدد بيت زمزم على يد الأمير خشقلدى فرنحت أرضه وجعل عليه سقف فوقه مظلة مسقوفة بالخشب المنحرف عليه جملي (جمالون) في وسطه قبة مصفحة بالرصاص .

وفي سنة ١٠٢٠ هـ . وضع بأمر السلطان أحمد خان شبكة من الحديد بداخل البئر ومنخفضة عن سطح الماء بمتراً ، لأن بعضاً من المجازيب كانوا يلقون أنفسهم فيها ليموتوا فداء حسب تصوّرهم وتجد الآن — ١٣١٨ هـ . — مكتوباً على الشباك الشمالى من جهة الباب « ماء زمزم شفاء من كل داء^(١) » « آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم^(٢) » السلطان عبد الحميد خان سنة ١٣٠١ هـ . وتجد مكتوباً على بابها ما يأتى :

سرور لسلطان البسيطة والورا * عبد الحميد البر بحر المكارم
ونصر له أيضاً وفتح ورفعته * بتعمير هذا المآثر المتقادم
حفيرة ابراهيم يوم ابن هاجر * وركضة جبريل على عهد آدم

وعلى الشباك القبلى « ماء زمزم لما شرب له^(٣) . لا يجمع ماء زمزم ونار جهنم في جوف عبد^(٤) » (السلطان عبد الحميد خان سنة ١٣٠١ هـ) .

وقد ورد كثير من الأحاديث في فضل ماء زمزم ، فمن ذلك ما رواه الطبرانى في معجمه بسند رجاله ثقات . وفي صحيح ابن حبان من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم « خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم » وذكر البخارى في صحيحه : أنه لما شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم غسل بماء زمزم

(١) رواه الديلمى في مسند الفردوس وهو حديث ضعيف . (٢) رواه الحاكم وابن ماجة والبخارى في تاريخه . (٣) رواه أحمد في مسنده والبيهقى في سمه وشعبة وابن أبى شيبة عن جابر بن عبد الله بن عمرو . (٤) لم نر من نرجح هذا الحديث .

قال العلامة ابن القيم في كتابه زاد المعاد في باب الطب : ماء زمزم سيد المياه وأشرفها وأجلها قدرا وأحبها الى النفوس وأغلاها ثمنا عند الناس ، وهو هزيمة جبريل وسقيا اسماعيل وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي ذر : وقد أقام بين الكعبة وأستارها أربعين ماين يوم وليلة وليس له طعام غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنها طعام طعم» وزاد غير مسلم باسناده وشفاء سقم وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماء زمزم لما شرب له » وقد ضعف هذا الحديث طائفة بعبد الله بن المؤمل راويه عن محمد بن المنكدر ، وقد روينا عن عبد الله بن المبارك أنه لما حج أتى زمزم فقال : اللهم إن ابن أبي الموالى حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال « ماء زمزم لما شرب له » فإني أشربه لظما يوم القيامة وابن أبي الموالى ثقة ، فالحديث اذا حسن وقد صححه بعضهم وجعله بعضهم موضوعا ، وكلا القولين فيه مجازفة ، وقد جربت أنا وغيرى من الاستشفاء بماء زمزم أمورا عجيبة وآستشفيت به من عدة أمراض فبرأت باذن الله وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريبا من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعا ويطوف مع الناس كأحدهم ، وأخبرنى أنه ربما بقى عليه أربعين يوما وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مرارا ، انتهى كلامه فليس فى الاستشفاء به مطعن لا من جهة الحديث ولا من جهة الطب وما الطب إلا التجارب ، وقد جرت عادة الناس بنقل هذا الماء الى الجهات البائية تبركا به ، قال التقي الفاسى : والأصل فى جواز نقله ما روينا فى جامع اترمذى عن عائشة رضى الله عنها أنها حملت من ماء زمزم فى القوارير ، وقالت : حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأداوى والقرب وكان يصب على المرضى ويسقيهم ، وروينا فى شعب الايمان للبيهقى وفى سننه وقال : قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه .